



المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

قسم التاريخ

الأخلاق النبوية وأثرها في انتشار الإسلام

إعداد الطالبة

حمدة بنت عبد ربه عبيدان السلمي

الرقم الجامعي: (٤٢٨٨٠١٦٩)

إشراف فضيلة الدكتور

أ.د/ محمد بن صامل السلمي

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م



تقديم

بقلم: د. محمد بن صامل السلمي

سيرة النبي ﷺ منهج حياة لكل مسلم فهو الرسول المبلغ عن الله وهو الأسوة والإمام والقدوة ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١] وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ.....الآية﴾ [النساء: ٦٤] قال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيفًا﴾ [النساء: ٨٠]. فالله سبحانه وتعالى أمر بطاعة الرسول ﷺ وأخبر أن طاعته طاعة الله عز وجل والرسول هو البشر والقدوة الماثلة أمام الخلق في كيفية العبادة والسلوك والتعامل حسبما شرع الله وأراد لخلقه، ولهذا فإن سيرته تطبيق عملي للوحي الذي أنزل إليه، وفي فهم الكتاب العزيز والسنة المطهرة نحتاج لسيرته الفعلية والقولية والتقريرية حتى نوقع النصوص مكانها ونحقق مقاصدها ومناطاتها.

وقد كان رسول الله ﷺ داعية بهيئته وسلوكه وخلقته وتعامله كما كان داعية بقوله وأمره ونهيه، ومن هنا اتسعت سيرته لتشمل كافة جوانب الحياة وحاجات الإنسان المتعددة بحسب الأحوال والأزمان.

وفي دراسات السيرة النبوية كانت العناية بالمنهجية في الدراسة وتحقيق النصوص والوقائع مع نشر كتب التراث واستخراج ما فقد منها،

ثم كانت الدراسات التطبيقية ثمرة هذا الجهد العلمي في توجيه الدراسات والبحوث العلمية لخدمة السيرة النبوية، وقد تضافرت عليه همم ثلة من الأساتذة والرواد في هذا العصر من أمثال شيخنا المفضل الدكتور أكرم ضياء العمري الذي حمل الراية وعلق الجرس فتجاوبت لندائه أصداءً فحملت الراية وشقت الطريق، وقد أصبحت اليوم دراسات السيرة النبوية ذات منهجية علمية واضحة تنفخ الروح في النصوص لتحيتها وتحيي بها القلوب المؤمنة العاملة بدينها والمتأسية بإمامها وقودتها رسول الله ﷺ .

وهذه الدراسة التي نقدم لها هي من الدراسات التطبيقية لأخلاق النبي ﷺ وأثرها في قبول الإسلام وانتشاره، وما أحوج الأمة اليوم إلى مثلها لتعيد الصلة والربط بين العلم والعمل (إذ مقتضى العلم العمل).

وما تفرق المسلمون وتأخروا إلا حين حصل الفصام النكد بين العلم والعمل، حيث صار العلم حرفة وصناعة من الصنائع يكتسب بها المرء في دنياه، وأقصد بذلك العلم الشرعي الذي مقصودة وغايته العمل والانصباع به حتى يكون هوية وممارسة سلوكية ومهارة تربوية اجتماعية.

وهذه الدراسة اجتهدت الباحثة تحت إشرافي في جامعة أم القرى، لإظهار نصوصها وإثبات وقائعها لتكون قدوة للمسلمين وتطبيقاً ماثلاً لأثر خلق النبي ﷺ في المحبة والتأليف والتأسي والافتداء ، وقد وفقت - والله الحمد - في عرض نصوص ووقائع السيرة المتعلقة بالشمائل والأخلاق النبوية وبيان أثرها في قبول الإسلام وانتشاره في الزمن النبوي

ثم استمر أثرها وصداها بعده على أيدي من سلكوا سلوكه وتأسوا
بأخلاقه قروناً عدة.

وهذه الدراسة صنو لدراسة أخرى أعدت تحت إشرافي أيضاً عن
أثر دلائل النبوة في انتشار الإسلام في العهد النبوي ، وستنشر قريباً إن
شاء الله.



المقدمة

المقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَسْتَهْدِيهِ، وَنَعُوذُ
بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،
وَمَنْ يَضِلَّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا
شَرِيكَ لَهُ، خَصْنَا بِخَيْرِ كِتَابٍ أَنْزَلَ، وَأَكْرَمْنَا بِخَيْرِ نَبِيٍّ أَرْسَلَ، وَجَعَلْنَا
بِالْإِسْلَامِ خَيْرَ أُمَّةٍ أَخْرَجْتَ لِلنَّاسِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ،
وصفيه وخليله من خلقه، أَرْسَلَهُ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ
وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه وسار على نهجه إلى يوم الدين،
اللَّهُمَّ أَحْيِنَا عَلَى سُنَّتِهِ وَأَمْتِنَا عَلَى مِلَّتِهِ، وَاحْشِرْنَا فِي زَمْرَتِهِ مَعَ النَّبِيِّينَ
وَالصِّدِّيقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسِّنْ أَوْلَئِكَ رَفِيقًا .

أما بعد:

فإنَّ أَحَقَّ مَا يَعْتَنِي بِهِ الْبَاحِثُونَ، دِرَاسَةَ سِيرَةِ رَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ،
وَرَحْمَتِهِ إِلَى النَّاسِ أَجْمَعِينَ، نَبِينَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فهو سيد الدعاة وإمامهم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ
شَهِدًا وَبَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ (١).

(١) سورة الأحزاب، آية: ٤٥-٤٦.

وهو عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ القدوة والأسوة الحسنة، كما قال تعالى:
﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾^(١).

ومن لوازم ذلك، لزوم سبيله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدعوة، قال تعالى:
﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾^(٢).

ولزوم الاقتداء به في أخلاقه وشأنه التي امتدحها القرآن الكريم
حيث قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٣).

كما أنَّ سيرة المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تحوي جوانب شتى، وتثير
الاهتمام من وجوه عدة، حيث جعل الله تعالى في شخصيته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
سعة وشمولاً لأحوال وأدوار متعددة.

* فهو الداعي الأول إلى دين الله، الذي نجح في دعوته، وشهد له
بذلك الأتباع والأعداء.

* وهو صاحب الخلق الرفيع الذي استطاع بهذه الأخلاق الفاضلة
نشر الإسلام وتمكينه في قلوب أتباعه.

* وهو المؤسس لمجتمع غاية في الرقي السلوكي الأخلاقي
والاجتماعي.

(١) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٢) سورة يوسف، آية: ١٠٨.

(٣) سورة القلم، آية: ٤.

- * وهو نبي أمة تساقطت أمامها كيانات ودول كثيرة.
- * وهو القائد المظفر في ميدان المعركة.
- * وهو القاضي الذي يفصل في الخصومات بعلم وعدل.
- * وهو المعلم والمربي الذي يربي فئات متنوعة؛ لتقوم بحمل الرسالة وإحسان تطبيقها.
- * وهو الأب الذي استغرب بعض جفاه العرب عاطفته، وحسن تربيته، وتعامله مع أبنائه.
- * وهو الزوج الذي اجتمع عليه بيته ففضلنه زوجاته على متع الحياة الدنيا.

فالاطلاع والتزود من سيرة النبي الكريم ﷺ وخاصة الوقائع التاريخية المتعلقة بأخلاق النبي ﷺ، يدفع المسلم والمسلمة نحو إسلامه ويشوقه إلى معرفة الكثير عن هذه الشخصية العظيمة، التي كان لها الأثر الكبير في نجاح وانتشار الدعوة والسبب هذه الأخلاق الرائعة التي اتصف بها سيد المرسلين.

وهنا تكمن أهمية هذه الدراسة التاريخية في معرفة أثر أخلاق النبي محمد ﷺ في انتشار الإسلام ، فهي دراسة تاريخية دعوية، سواء وجهت الدعوة إلى المسلمين لزيادة إيمانهم وتحقيق صدق متابعتهم للرسول ﷺ، أم وجهت لغير المسلمين الذين يمكن التأثير فيهم من خلال بيان هذه الأخلاق والشئال الفاضلة التي تميز شخصيته

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ومن المعلوم أن من الأمور التي تؤثر في المدعو، معرفته وتأثره بأخلاق صاحب الرسالة، وكثيراً ما يبدأ الناس بالتعرف على الأديان والمذاهب من خلال النظر في أخلاق وشمائل أعلامها وقادتها.

التمهيد

كمال أخلاق النبي ﷺ وشمائله، وفيه
مبحثان :

✽ المبحث الأول : التعريف بالنبي ﷺ.

✽ المبحث الثاني : أخلاقه ﷺ قبل البعثة وبعد
البعثة.

المبحث الأول: التعريف بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

هو محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان^(١).

وأمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي: آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، وهي يومئذ تعد أفضل امرأة في قريش نسباً وموضعاً، وأبوها سيد بني زهرة نسباً وشرفاً^(٢).

توفي عبدالله بن عبدالمطلب والد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وآمنة أم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حامل به^(٣).

(١) ابن هشام، أبو محمد، عبد الملك بن هشام المعافري: السيرة النبوية، (ط ٢، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م)، ج ١، ص ٢٥.

(٢) ابن سعد، محمد بن سعد البصري: الطبقات الكبرى (تحقيق: محمد عبد القادر عطية، ط ٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧)، ج ١، ص ٤٩.

(٣) البيهقي، أبو بكر، أحمد بن الحسين: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة (تعليق: عبد المعطي قلعجي، ط ٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ - ٢٠٠٨م)، ج ١، ص ١٨٧.

وعندما وضعت أمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرسلت إلى جده عبدالمطلب، ودخل به الكعبة، فقام يدعو الله ويشكر له ما أعطاه، ثم خرج به إلى أمه، فدفعه إليها، والتمس لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرضعا^(١).

وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع أمه آمنة بنت وهب وجده عبدالمطلب بن هاشم، في كلاءة الله وحفظه ينبتة الله نباتاً حسناً، لما يريد به من كرامته، فلما بلغ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ست سنين توفيت أمه آمنة بنت وهب، وكفله جده عبدالمطلب بن هاشم، وكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه، لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالاً له، فكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأتي وهو غلام، حتى يجلس عليه، فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه، فيقول عبدالمطلب إذا رأى ذلك منهم دعوا، ابني فوالله إن له لشأناً، ثم يجلسه معه على الفراش، ويمسح ظهره بيده، ويسره ما يراه يصنع^(٢).

فلما بلغ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثماني سنين هلك عبدالمطلب بن هاشم فتكفله عمه أبو طالب، فرعاه وآواه وحفظه ولم يسلمه للأعداء، فَشَبَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والله تعالى يكلؤه ويحفظه ويحوطه من

(١) السهيلي، أبو القاسم، عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد بن أبي الحسن، الخثعمي: الروض الأنف (تعليق: مجدي بن منصور بن سيد الشوري، (ط١)، دار الكتب

العلمية، بيروت، د.ت)، ج١، ص٢٨٤.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص١٧٠.

أقذار الجاهلية، لما يريد به من كرامته ورسالته، حتى بلغ أن كان رجلاً
أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقاً، وأكرمهم حسباً، وأحسنهم
جواراً، وأعظمهم حليماً، وأصدقهم حديثاً، وأعظمهم أمانة، وأبعدهم
من الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال تنزهاً وتكرماً، حتى كان
اسمه في قومه الأمين لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة^(١)، ثم أكرمه
الله سبحانه وتعالى بالنبوة والرسالة وأنزل عليه القرآن فامتثل
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما أوحى إليه حتى وصفت أم المؤمنين عائشة خلقه
بقولها: «كان خلقه القرآن»^(٢).



(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ١، ص ١٨٣.

(٢) النووي: محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف الدين: المنهاج شرح صحيح مسلم بن
الحجاج، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو
مرض، (تحقيق خليل مأمون شيحا، ط ١٧، دار المعرفة، بيروت، ١٤٣٠ هـ -
٢٠٠٩ م)، ج ٦، ص ٢٦٨، ح (١٧٣٦-١٣٩).

المبحث الثاني: أخلاقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل البعثة وبعد البعثة

أولاً: أخلاقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل البعثة:

كانت حياته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل البعثة قائمة على الرعي، يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما من نبي إلا وقد رعى الغنم» قيل: وأنت يا رسول الله؟ قال: «نعم، كنت أرهاها على قراريط لأهل مكة»^(١).

ولقد كانت هناك إرهاصات تنبئ بنبوته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منها على سبيل المثال:

أولاً: الرؤيا الصادقة:

فعن السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «إن أول ما بدىء به رسول الله من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح»^(٢).

(١) البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسننه وأيامه (تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، ط ١، دار الرسالة العالمية / دمشق، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م، كتاب الإجارة، باب رعي الغنم على قراريط، ج ٢، ص ٢٧٧ ح (٢٢٦٢).

(٢) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ج ١، ص ٤ ح (٣)؛ ابن هشام: السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٢٦.

ثانياً: تسليم الحجر عليه:

فعن جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجْرًا بِمَكَّةَ كَانَ يَسْلُمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أَبْعَثَ إِنِّي لَا أَعْرِفُهُ الْآنَ»^(١).

ثالثاً: حُبُّ إِلَيْهِ الْخَلَاءِ وَالتَّحَنُّنُ:

لقول السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي الْحَدِيثِ السَّابِقِ: « ثُمَّ حُبُّ إِلَيْهِ الْخَلَاءِ، فَكَانَ يَخْلُو بَغَارَ حَرَاءٍ يَتَحَنَّنُ -يَتَعَبَّدُ- فِيهِ اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ»^(٢).

* حَدِيثُ حَلِيمَةَ السَّعْدِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَمَّا رَأَتْهُ مِنَ الْخَيْرِ بَعْدَ تَسْلِمِهَا لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

كَانَتْ حَلِيمَةُ بِنْتُ أَبِي ذُوَيْبٍ السَّعْدِيَّةُ أُمَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي أَرْضَعَتْهُ تَحَدَّثَتْ أَنَّهَا خَرَجَتْ مِنْ بَلَدِهَا مَعَ زَوْجِهَا وَابْنِهَا صَغِيرٍ تَرْضَعُهُ فِي نِسْوَةٍ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ، تَلْتَمِسُ الرُّضْعَاءَ، قَالَتْ:

(١) النووي: محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف الدين: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (تحقيق خليل مأمون شيخنا، ط ١٧، دار المعرفة، بيروت، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩) كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الحجر عليه، ج ١٥ - ١٦، ص ٣٨، ٣٩، ح (٥٨٩٨)؛ ابن هشام: السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٢٦.

(٢) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب بدء الوحي، باب كان بدء الوحي إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ج ١، ص ٤ ح (٣).

"وذلك في سنة شهباء لم تبق لنا شيئاً، قالت: فخرجت على أتان لي قمرءاء، معنا شارف لنا والله وما تبض بقطرة، وما ننام ليلنا أجمع من صبينا الذي معنا من بكائه من الجوع، وما في ثديي ما يغنيه، وما في شارفنا ما يغذيه ولكن كنا نرجو الغيث والفرج، حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعاء، فما منّا امرأة إلا وقد عُرِضَ عليها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتأباه، إذا قيل لها: إنه يتيم، وذلك إنا كنا نرجو المعروف من أبي الصبي، فكنا نقول: يتيم! وما عسى أن تصنع أمه وجده؟ فكنا نكرهه لذلك، فما بقيت امرأة قدمت معي إلا أخذت رضيعاً غيره، فلما أجمعنا على الانطلاق، قلت لصاحبي والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحيبي ولم آخذ رضيعاً، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلاأخذه، قال: لا عليك أن تفعلي عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة، فلما وضعته في حجري أقبل علي ثدياي بما شاء من لبن، فشرب حتى روي، وشرب معه أخوه حتى روي، ثم ناما وما كنا ننام معه قبل ذلك، وقام زوجي إلى شارفنا تلك فإذا إنها الحافل، فحلب منها ما شرب، وشربتُ معه حتى انتهينا رياً وشبعنا، فبتنا بخير ليلة، قالت: يقول صاحبي حين أصبحنا « تعلمي والله يا حليلة لقد أخذت نسمة مباركة » قالت: فقلت: والله إني لأرجو ذلك، قالت: ثم خرجنا وركبت أنا أتاني وحملته عليها معي فوالله لقطعت بالركب ما يقدر عليها شيء من حمرهم حتى إن صواحيبي ليقلن لي: ... يا ابنة أبي ذؤيب وَيَحْكُ اِرْبَعِي عَلَيْنَا ، أَلَيْسَتْ هَذِهِ أَتَانُكَ الَّتِي كُنْتَ خَرَجْتَ عَلَيْهَا ؟ فَأَقُولُ لَهْنَّ بَلَى

وَاللَّهُ إِنَّمَا هِيَ فَيَقْلَنَ وَاللَّهُ إِنَّ لَهَا لَشَأْنًا . قَالَتْ ثُمَّ قَدِمْنَا مَنَازِلَنَا مِنْ
بِلَادِ بَنِي سَعْدٍ وَمَا أَعْلَمَ أَرْضًا مِنْ أَرْضِ اللَّهِ أَجْدَبَ مِنْهَا ، فَكَانَتْ
غَنَمِي تَرْوُحُ عَلَيَّ حِينَ قَدِمْنَا بِهِ مَعَنَا شِبَاعًا لُبْنًا ، فَخَلْبُ وَنَشْرَبُ وَمَا
يُخْلَبُ إِنْسَانٌ قَطْرَةً لَبَنٍ وَلَا يَجِدُهَا فِي ضَرْعٍ حَتَّى كَانَ الْحَاضِرُونَ مِنْ
قَوْمِنَا يَقُولُونَ لِرُعِيَانِهِمْ وَيَلْكُمُ اسْرَحُوا حَيْثُ يَسْرَحُ رَاعِي بِنْتِ أَبِي
ذُوَيْبٍ ، فَتَرْوُحُ أَغْنَانُهُمْ جِيَاعًا مَا تَبْضُ بِقَطْرَةٍ لَبَنٍ وَتَرْوُحُ غَنَمِي
شِبَاعًا لُبْنًا . فَلَمْ نَزَلْ نَتَعَرَّفُ مِنَ اللَّهِ الزِّيَادَةَ وَالْخَيْرَ حَتَّى مَضَتْ سَنَتَاهُ
وَفَصَلْتُهُ وَكَانَ يَشَبُّ شَبَابًا لَا يَشَبُّهُ الْغِلْمَانُ فَلَمْ يَبْلُغْ سَنَتِيهِ حَتَّى كَانَ
غُلَامًا جَفْرًا . قَالَتْ فَقَدِمْنَا بِهِ عَلَى أُمِّهِ وَنَحْنُ أَحْرَصُ شَيْءٍ عَلَى مُكْثِهِ
فِينَا ، لِمَا كُنَّا نَرَى مِنْ بَرَكَتِهِ . فَكَلَّمْنَا أُمَّهُ وَقُلْتُ لَهَا : لَوْ تَرَكْتَ بُنَيَّ
عِنْدِي حَتَّى يَغْلُظَ فَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْهِ وَبَاءَ مَكَّةَ ، قَالَتْ فَلَمْ نَزَلْ بِهَا حَتَّى
رَدَّتْهُ مَعَنَا ^(١) .

وهكذا رجع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى بني سعد، حتى إذا كان
بعده بأشهر وقعت حادثة شق الصدر، فقد روي مسلم عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه
فصرعه، فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال:
(هذا حظ الشيطان منك)، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم
لأمه أي جمعه وضم بعضه إلى بعض، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ١، ص ١٦٦؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ١،
ص ٩١-٩٢؛ البيهقي: دلائل النبوة، ج ١، ص ١٣٣، ١٣٤.

يسعون إلى أمه، فقالوا: إن محمداً قد قُتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون.. قال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وقد كنت أرى أثر ذلك الخيط في صدره»^(١).

فرجعت حليلة به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أمه خشية أن يكون قد أصيب، فأعادته إلى أهله خوفاً عليه.

فلما بلغ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ست سنين توفيت أمه آمنة بنت وهب، فصار مع جده عبدالمطلب بن هاشم ، وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جليلاً مفضلاً لدى جده عبدالمطلب ، وكان يؤثره على أولاده.

وفيا يلي بعض الجوانب من أخلاقه العظيمة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل أن يبعث ما يدل على صدقه صلوات الله وسلامه عليه.

لقد بعث الله محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهدف واضح ومحدد وهو: أن يتمم مكارم الأخلاق التي بدأها الأنبياء، وهي الدين الحق وتوحيد الله وإقامة العدل والقسط في الأرض.

لذا فإن من الطبيعي أن يكون هو نفسه تام الخلق، قدوة في مكارم الأخلاق ومفطوراً على محاسنها^(٢).

(١) النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على السماوات، ج ١، ص ٣٨٣ ح (٣٣٢)؛ البيهقي: دلائل النبوة، ج ١، ص ١٤٧.

(٢) وقد ورد عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنما بعثت

إن نظرة متأنية إلى حياة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لتشير إلينا بحقيقة واضحة، وهي أن حياته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منذ ولادته قد تضمنت إعداداً ربانياً، تماماً كما أعد الله ﷻ من قبله كل من اصطفاهم لحمل رسالته^(١).

ولعل هذا الإعداد للنبي الخاتم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتجلى في: اشتهاره بين قومه بحُسن السيرة والثقة في مرجعيته، حتى أنه « عُرِف صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل البعثة بالصادق الأمين »^(٢)

فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو من أوسط العرب نسباً، فقد تمثل فيه هذا الخلق بأبهى صورة منذ بزوغ نجمه ونعومة أظفاره، وما كان صدقه لأغراض شخصية أو اجتماعية، إنما كان صدقاً فطرياً خلقه الله تعالى فيه، ليؤهله لما يقصده منه من حمل الرسالة وتبليغها للبشرية.

وقد شهد له بهذا الخلق العظيم: فالله خير الشاهدين، كما شهد له بذلك أعداؤه، وشهد له به المؤمنون في مواقف متعددة ومقامات مختلفة.

= = لأتمم صالح الأخلاق» أحمد بن حنبل: مسند الإمام أحمد بن حنبل، (ط ٢)، مؤسسة الرسالة، بيروت)، ج ١٤، ص ٥١٣ ح (١٩٥٢).

(١) انظر: أمانى زكريا المرادي، أخلاق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحرب، بحث منشور في

موقع نصره رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <http://rasoulallah.net/index.php/ar>

(٢) المصدر نفسه.

* شهادة الله تعالى لنبهه صلى الله عليه وسلم بخلق الصدق:

أما شهادة الله تعالى لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بهذا الخلق العظيم بخصوصه، زيادة على شهادته سبحانه له بعظمة الأخلاق عامة، فهي شهادات حسية ومعنوية.

أما الشهادات الحسية:

ففي آيات من كتابه المبين منها قوله سبحانه: ﴿وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾^(١).

وقوله: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾^(٢).

وغير ذلك من الآيات الكثيرة الواردة في القرآن الكريم والدالة على صدقه -صلوات الله وسلامه عليه-، أما الشهادة المعنوية فهي تأييده ﷺ له بالمعجزات الكثيرة كالقرآن الكريم، وانشقاق القمر، وتسبيح الحصى، وحنين الجذع، وتكثير الطعام، والإخبار بالمغيبات...^(٣).

(١) سورة الأحزاب، آية: ٢٢.

(٢) سورة الزمر، آية: ٣٢.

(٣) الحداد، أحمد بن عبدالعزيز بن قاسم: أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن والسنة (بيروت، ط ٢، دار الغرب الإسلامي، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩)، ج ١، ص ٤١٣.

فهذه هي شهادة الله تعالى لنبية محمد ﷺ بهذا الخلق بخصوصه، كما شهد له به ضمن شهادته بعظمة أخلاقه عامة، والصدق في مقدمة تلك الأخلاق.

*شهادة أعدائه ﷺ له بالصدق:

أعداء النبي ﷺ لم يقدرُوا على إخفاء أخلاقه العظيمة، بل اضطروا إلى بيانها والشهادة بها في مواقف عديدة:

١- فأبي سفيان لما سأله هرقل عن صدقه وقال له: « هل كنتم تتهمونونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال أبو سفيان: لا، هكذا يشهد له بهذه الحقيقة التي لا تُغالب، فعندئذٍ قال له هرقل: « وسألتك هل كنتم تتهمونونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله »^(١).

والمعنى: أنه لو كان متهمًا بالكذب، لظهر ذلك من كذبه على الناس، إذ لا يمكن أن يكذب على الله ولا يكذب على الناس، لأن الكذب على الناس أهون من الكذب على الله تعالى فكيف يترك الأهون ويعمد إلى الأشد؟ فاستدل على صحة نبوته بهذا الخلق العظيم وهكذا كانت أخلاقه منبئة عن نبوته وهي علم من أعلامها، وذلك عندما تجد عقولاً نيرة خالية من الكبر والعناد، أما إذا كبرت وعاندت

(١) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب الوحي، باب كيف بدء الوحي على رسول الله

ﷺ، ج ١، ص ٧ ح (٧).

فإنه لا ينفع مع ذلك برهان كما كان من أهل مكة حينما أقام عليهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحجة بما يعلمونه عنه من صدق وأمانة وكمال في الأخلاق، وأذعنوا لذلك وأقروا له، بها ولما دعاهم إلى الإيمان به وبما جاء به: عاندوا وتنكروا لتلك الحقيقة^(١).

٢- فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: لما نزلت ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٢).

« خرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى صعد الصفاء، فهتف يا صباحاه، فقالوا: من هذا؟ فاجتمعوا إليه، فقال: أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي، قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، وفي رواية قال لهم: « أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟ قالوا: ما جربنا عليك كذباً!!، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد »^(٣).

٣- قال النضر بن الحارث^(٤): « يا معشر قريش إنه والله قد نزل

(١) الحداد: أخلاق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في القرآن والسنة، ج ١، ص ٤١٤.

(٢) سورة الشعراء، آية: ٢١٤.

(٣) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب التفسير باب: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٢١٤).

ج ٣، ص ٦٤٢ ح (٤٧٧)؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٦١.

(٤) هو النضر بن الحارث: بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار، أحد صناديد

بكم أمر ما ابتليتكم بمثله، لقد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً، أرضاكم عقلاً، وأصدقكم حديثاً، وأعظمكم أمانة حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب، وجاءكم بما جاءكم قلمت: ساحر؟ لا والله ما هو بساحر قد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم، وقتلتم: كاهن؟ لا والله ما هو بكاهن، قد رأينا الكهنة وحالهم وسمعنا سجعهم، وقتلتم: شاعر؟ لا والله ما هو بشاعر، لقد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها: هزجه ورجزه وقريضه وقتلتم: مجنون؟ لا والله ما هو بجنون لقد رأينا الجنون، فما هو بخنقة ولا سوسته ولا تخليطه ثم قال لهم: يا معشر قريش، انظروا في شأنكم فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم»^(١).

فهذا كلام النضر بن الحارث الذي كان شيطاناً من شياطين قريش، ومن كان يؤذي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وينصب ليه العداوة.

وكذا قال غيره كلاماً نحو ذلك من إثبات صدق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكماله الخلقي والخلقي، كالوليد بن المغيرة وعتبة بن

= قريش وأعلامها، اشتهر بمعاداته لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان إذا جلس رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مجلساً فدعا فيه إلى الله تعالى وتلا فيه القرآن وحذر فيه قريش ما أصاب الأمم الخالية خلفه في مجلسه إذا قام فحدثهم عن رستم واسفنديار وملوك فارس ثم يقول: والله ما محمد بأحسن حديثاً مني وما حديثه إلا أساطير الأولين فأنزل الله فيه ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [القلم: ١٥]؛ انظر:

ابن هشام: السيرة النبوية، ج ١، ص ٣٣.

(١) البيهقي: دلائل النبوة، ج ٥، ص ٢٠٢.

رببعة وغيرها.

* تمثل خلق الأمانة في النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

إذا كانت الأمانة خلقاً عظيماً في سائر الناس لما لها من الأثر العظيم في صلاح الدين والدنيا، ولذا كانت واجبة على كل مسلم، فإنها في أنبياء الله ورسله أعظم، وفي حقهم أوجب وألزم، بل هي من الأخلاق الأساسية الأربع التي يجب توفرها فيهم وهي (الصدق، والأمانة، والتبليغ، والفتانة) وقد فطرهم الله تعالى عليها ليرشحهم بها لحمل رسالاته إلى خلقه، وقد كانوا مضرب المثل في التحلي بهذه الأخلاق العظيمة^(١).

ونبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد كان في ذروة الذري من هذه الأخلاق، وكماله فيها فاق كل كمال، كما تشهد لذلك الوقائع التالية:

نشأ يتيماً مطبوعاً على الصدق والأمانة لا يعرف لهما بديلاً منذ نشأته وترعرعه، وهو لا يكاد يعرف في أوساط قومه إلا بالأمين، فيقولون: جاء الأمين وذهب الأمين، حتى حل محل الرضا من قلوبهم وعقولهم، كما دل على ذلك احتكاكهم إليه في قصة رفع الحجر الأسود عند بنائهم الكعبة المشرفة بعد تنازعهم في استحقاق شرف رفعه ووضعه في محله، حتى كادوا يقتتلون لولا اتفاقهم على تحكيم أول داخل يدخل المسجد الحرام فكان ذلك الداخل هو محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) أحمد الحداد، أخلاق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في القرآن والسنة، ج ٢، ص ٥٣٨.

« فلما رأوه قالوا: هذا الأمين رضينا هذا محمد، فلما انتهى إليهم، وأخبروه الخبر قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هلم إلى ثوباً، فأُتي به فأخذ الركن فوضعه فيه بيده الطاهرة، ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعاً ففعلوا، حتى إذا بلغوا به موضعه، وضعه هو بيده ثم بنى عليه، قال ابن هشام: وكانت قريش تسمي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل أن ينزل عليه الوحي الأمين»^(١).

هكذا كان خلق الأمانة سبباً لرضاهم بحكم هذا الشاب اليتيم وحل فتنة كادت تشتعل بين بطون قريش فتودي بحياة كثير منهم لولا أن الحكمة العظيمة من صاحب الأمانة العظيمة أطفأتها، وما كان لهذه الحكمة أن تبرز لو لم يكن خلق الأمانة قد مهد الطريق أمامها، مما جعلهم يرضون بحكمه دون أن يتسرب إليهم شك في محاباة أو مداينة فئة على أخرى، لعلهم بعظيم أمانته وثقتهم به، بل لقد جعلتهم ثقتهم الكبيرة بأمانته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينقلون إلى بيته أموالهم ونفائس مدخراتهم لتكون وديعة عنده، فكان ليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده، لما يعلم من صدقه وأمانته، ولم يزل ذلك دأبهم حتى بعد معاداته بسبب دعوته لهم إلى الإيمان بالله تعالى وترك عبادة الأوثان لا يختلجهم شك في أمانته، وهم له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معادون، كما دل على ذلك تركه علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مكة بعد

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٨؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٤٤٦.

هجرته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ليردوا ودائع الناس التي كانت عنده « فأقام علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمكة ثلاث ليال وأيامها حتى أدى عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الودائع التي كانت عنده للناس، حتى إذا فرغ منها لحق برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(١) .

ولقد شهد له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالأمانة الأعداء والأصدقاء على حد سواء، وذلك دليل على شيوع هذا الخلق فيه، وتسليم الكل له به.

✽ فأبي سفيان زعيم مكة لما كان قبل إسلامه أمام هرقل ملك الروم، لم يستطع أن يخفي هذا الخلق العظيم، وهو الحريص على أن يظلمه حقه أو يطعن فيه بدافع العداء له حينئذ، ولكن لما سأله عما إذا يأمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أجابه أبو سفيان بأنه:.. يأمر بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة».

-وأما الأصدقاء: فمنه ما قالته خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا له عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عند ابتداء تنزل الوحي: «.. فوالله إنك لتؤدي الأمانة وتصل الرحم وتصدق الحديث....» ^(٢) .

وهكذا نشأ الحبيب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متصفاً بكمال الأخلاق ثم أكرمه الله بالنبوة والرسالة التي عززت مكارم الأخلاق ومحاسنها، وحذرت من مساوئها فكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرجعاً لكمال الأخلاق

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ١، ص ٤٤٥.

(٢) السهيلي: الروض الآنف، ج ١، ص ٢٧٤.

بسيرته وفعله، وبقوله وأمره وتقريره.

ثانياً: أخلاقه صلى الله عليه وسلم بعد البعثة:

عرف الحبيب صلى الله عليه وسلم بعد بعثته بالنبوة بتمام أخلاقه،
ويكفي ما قاله عنه- سبحانه في كتابه العزيز-: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ
عَظِيمٍ﴾^(١).

وأي شهادة بعد شهادة رب العالمين على عظيم خلق
صلى الله عليه وسلم ودينه الذي جاء به.

وهناك آيات كثيرة توضح خلقه صلى الله عليه وسلم ومن تلك
الآيات:

- قال تعالى: ﴿فَمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ إِنَّكَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ
لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى
اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾^(٢).

وفي هذه الآية إشارة عظيمة بخلق النبي صلى الله عليه وسلم.

وإذا كانت الآية الأولى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٣)، قد نزلت
في أول الوحي حيث التكذيب والأذى والاستضعاف، فإن الآية

(١) سورة القلم، آية: ٤.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٣) سورة القلم، آية: ٤.

الثانية نزلت ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في منعة من المسلمين وقوة في المجاهدين، ومع ذلك لم تتغير أخلاقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد هذه السنين الطويلة التي مرت بين الآيتين، ورغم اختلاف الأحوال الداعية إلى اختلاف الطباع والأخلاق في العادة، غير أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يزد وعلى مر الأيام وتحقيق النصر إلا رسوخاً في الأخلاق، وكما لا في العظمة، كيف لا؟ وشهادة الله تعالى له بعظمة الخلق، شهادة مستمرة لا يطرأ عليها التغير بتغير أحواله في مستقبل دعوته وأيام حياته^(١).

فقد كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على سمت واحد في الخلق رغم تغير الأحوال والأزمان.

ومن الأحاديث التي تبين أخلاقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

١- حديث خديجة بنت خويلد أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في قصة الوحي، وهو حديث مشهور، وجاء فيه قولها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وهي مطمئن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مما أفزعه من هول الملك في بداية التنزيل عليه: « كلا والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل^(٢)، وتكسب

(١) الحداد: أحمد بن عبدالعزيز بن قاسم: أخلاق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في القرآن والسنة، ج ١، ص ٧٣-٧٤.

(٢) الكل: هو من لا يقدر على العمل والكسب، وتحمل الكل، أي: تكفل اليتيم وتحمل ثقل العجزة.

انظر: البخاري: الجامع الصحيح، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ج ١، ص ٥ ح (٣).

المعدوم^(١)، وتقري الضيف^(٢)، وتعين على نوائب الحق^(٣)»^(٤).

٢- حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا الذي أجابت سائلها من أخلاقه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والذي قالت فيه: « إن خلق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان القرآن »^(٥).

وقد كان من عظمة أخلاقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التكافؤ في الأخلاق بحيث كان في كل مظهر من مظاهر الأخلاق، تبدو أخلاقه متكافئة، بحيث لا يطغى جانب من أخلاقه على جانب آخر، ولا مظهر على مظهر، فكان " صبره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثل شجاعته، وشجاعته مثل كرمه، وكرمه مثل حلمه، وحلمه مثل رحمته، ورحمته مثل مروءته.. وهكذا لا نجد له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خلقاً في موضعه من الحياة يزيد أو ينقص على

(١) أي: توفي المال من لا يجده يقال: كسبه وأكسبه، أي: أعطاه وآتاه، المصدر نفسه، ج ١، ص ٥ ح (٣).

(٢) أي: تطعم الضيف، والقرى: الطعام الذي يقدم للضيف. المصدر نفسه، ج ١، ص ٥ ح (٣).

(٣) النوائب: جمع نائبة، وهي الحادثة والنازلة، خيراً أو شراً، وإنما قال: « نوائب الحق » لأنها تكون في الحق والباطل، المصدر نفسه، ج ١، ص ٥ ح (٣).

(٤) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ج ١، ص ٥ ح (٣).

(٥) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، كتاب صلاة المسافرين، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه، أو مرض، ج ٦، ص ٢٦٧، ح (١٧٣٦).

خلق آخر في موضعه منها كملاً وتاماً وعظمة، وهذا التكافؤ الخلقي في شخصية محمد ﷺ يوشك أن يكون معجزة الحياة في الإنسان؛ لأن التاريخ لم يذكر من النماذج العليا للبشرية كان هذا التكافؤ الخلقي خليقته العامة سوى الرسل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وعلى رأسهم أولو العزم من الرسل، ويجمع سيدنا محمد ﷺ هذا التوازن بأبهى صورة، بحيث إذا ذكر غيره من النماذج العليا ذكر عنواناً لتبرير جزئي في بعض الأخلاق والفضائل، فهذا مثل مضروب في الصبر، وذاك في الحلم، وثالث في الكرم، ورابع في الشجاعة... وهكذا تتفرق الأمثال في الأخلاق والفضائل في نماذج متعددة، ولكنها تجتمع متكافئة في شخصية محمد ﷺ وهذا هو سر الإعجاز الإنساني في حياته ﷺ^(١).

ولذلك كانت أخلاقه ﷺ علماً من أعلام النبوة، ودليلاً من أدلتها؛ لأنه ﷺ قد بلغ من الأخلاق ذروة الكمال بحيث لم يكن في عصر الرسول ﷺ وما داني طرفيه، من قاربه في فضله ولا دانه في كماله خلاقاً وخلقاً وقولاً وفعلًا.

وسياقي في المباحث الآتية ما يؤكد هذه الحقائق، ويعطي النماذج الكثيرة التي اهتمت بحسن خلقه ولطف تعامله وكمال هديه وسيرته.

لقد كان لأخلاقه ﷺ العظيمة أثر بالغ في هداية الناس

(١) أحمد الحداد: أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة، ج ١، ص ٧١، ٧٢.

إلى الإسلام، تبين ذلك من عامة أخلاقه ولا سيما طيب معاملته وحسن خطابه وكرمه وعفوه وصفحه ومنه...، على كثير من الناس في مواقف كثيرة، ومناسبات عديدة، فكانت عظمة أخلاقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سبباً مباشراً في إسلامهم وهدايتهم، وما كان لهم أن يسلموا لو لم يتأثروا بتلك الأخلاق العظيمة، وذلك لما كانوا عليه من النفور والإباء والحمية الجاهلية، فكانت معاملته بتلك الأخلاق مفتاح هدايتهم.



الفصل الأول

طيب المعاملة وحسن الخطاب

وفيه ثلاثة مباحث:

✽ المبحث الأول: مسارعة من عاشره عن قرب إلى الدخول في الإسلام.

✽ المبحث الثاني: حسن الخطاب مع المدعوين.

✽ المبحث الثالث: طيب المعاملة.

المبحث الأول

مسارعة من عاشره عن قرب
إلى الدخول في الإسلام

وفيه:

التمهيد.

(١) إسلام خديجة بنت خويلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) إسلام علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) إسلام أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) إسلام زيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

* * * * *

تقعيد

لقد كان من أعظم دلائل نبوته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عظمة أخلاقه، كما يدل على ذلك وصف الله تعالى له بعظمة الخلق حيث قال تعالى:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (١).

وأول هذه الدلائل، فراسة زوجته خديجة بنت خويلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قبل إسلامها، حيث استدلت بكرم أخلاقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أن الله تعالى قد هيأه بتلك الفضائل الخلقية لما هو أعظم منها، وهي النبوة، فإنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت بقربه وعونه وساعده الأيمن في تلك المواقف التي تعرض لها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بداية نزول الوحي عليه ولقائه بالملك في غار حراء، فما أن رأت ذلك كله حتى بشرته بالخير، واستدلت على ذلك بما هو عليه من مكارم الأخلاق، فقالت له: «كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق» (٢).

وبذلك اطمأنت خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بتحقيق ما كانت تتمناه في رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكانت أول من آمن من النساء ثم بادر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى صديقه الحميم أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليخبره بما أكرمه الله

(١) سورة القلم، آية: ٤.

(٢) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب بدء الوحي، باب كيف بدء الوحي إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ج ١، ص ٥ ح (٣).

به من النبوة والرسالة، ويدعوه إلى الإيمان به، فأمن به دون تردد، وشهد شهادة الحق، فكان أول من آمن بالنبى ﷺ من الرجال، إذ كان من أخص أصحابه قبل البعثة عارفاً به ﷺ وبأخلاقه، وكان يعلم من صدق النبى ﷺ وأمانته ما يمنعه من الكذب على الخلق، فكيف يكذب على الله؟ ولذا بمجرد ما ذكر له النبى ﷺ أن الله أرسله رسولاً، سارع إلى تصديقه والإيمان به، ولم يتردد^(١).

وأيضاً ممن عاشره ﷺ وكان قريباً منه بل ربه في حجر رسول الله ﷺ ابن عمه علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي نشأ تحت رعايته، وتربى في بيت النبوة ونهل من معين أخلاق رسول الله ﷺ الشيء الكثير الذي جعله يدرك إدراكاً تاماً أن ما جاء به رسول الله ﷺ هو الحق المبين، حتى جاء ذات يوم فوجد رسول الله ﷺ وخديجة يصليان، فعرض عليه رسول الله ﷺ وقال له: ماذا عرضت علي يا محمد؟ قال له رسول الله ﷺ تشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وتكفر باللات والعزى، وتبرأ من الأنداد، ففعل علي وأسلم، فكان أول من آمن به من الصبيان، وصدقه وآزره في يوم هجرته ﷺ.

(١) البيهقي: دلائل النبوة، ج ٢، ص ١٦٤.

ولا يخفى علينا أيضاً ربيب بيت النبوة ومولى رسول الله
صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة رضي الله عنه الذي أصابه سبأ في الجاهلية
فاشتراه حكيم بن حزام لخديجة بنت خويلد رضي الله عنها فوهبته لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ، وعاش في بيت محمد صلى الله عليه وسلم وتحت
رعايته حتى تمكن حب رسول الله في قلبه، ولم يستطع أن يفارقه بدليل
أنه اختار العيش مع محمد صلى الله عليه وسلم على الرجوع مع أبيه
وعمه قائلاً لهم (قد رأيت من هذا الرجل شيئاً ما أنا بالذي اختار عليه
أحداً أبداً)، فلا ريب بأنه بادر إلى التصديق به والإيمان برسالته فكان
أول من أسلم من الموالي رضي الله عنه وأرضاه.



١- إسلام خديجة بنت خويلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا^(١)

هناك حقيقة إيمانية لا بد أن يدركها كل مسلم، وهي أن من عاش في بيت النبوة وعاشر محمدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنه سوف يتأثر بآدابه ويتحلّى بها، وهذا ما امتازت به السيدة خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مع ما امتازت به من أخلاق وصفات قبل زواجها من الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث تذكر الروايات أنها كانت امرأة حازمة جلدة شريفة مع ما أراد الله بها من الكرامة والخير، وهي يومئذ أوسط قريش نسباً وأعظمهم مالاً، وكل قومها حريص على نكاحها لو قدر على ذلك، وقد طلبوها وبذلوا لها الأموال^(٢).

وكانت قريش قومًا تجاراً، فلما بلغها عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما بلغها من صدق حديثه، وعظم أمانته، وكرم أخلاقه، بعثت إليه

(١) هي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشية الأسدية، زوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال الزبير: كانت تدعى في الجاهلية: الطاهرة، أمها فاطمة بنت زائدة بن الأصم، وقال قتادة: ولدت له خديجة غلامين وأربع بنات القاسم وبه كان يكنى وعاش حتى مشى، وعبد الله مات صغيراً، ومن النساء فاطمة، وزينب، ورقية، وأم كلثوم. انظر: ابن عبد البر، أبي عمر يوسف: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (تحقيق: خليل مأمون شيحا، ط ١، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، ص ٨٧٤.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ١٠٩.

فعرضت أن يخرج في مالها تاجراً إلى الشام، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار، فقبله رسول الله ﷺ منها، وخرج في مالها ذلك، وخرج معه غلامها ميسرة، حتى قدم الشام^(١).

ثم باع رسول الله ﷺ سلعته التي خرج بها، واشترى ما أراد أن يشتري، ثم أقبل قافلاً إلى مكة ومعه ميسرة وقد لاحظ ميسرة، أنه إذا كانت الهاجرة واشتد الحر فيرى ملكين يظلاله من الشمس وهو على بعيره، فلما قدم مكة على خديجة بما لها باعت ما جاء به فأضعف أو قريباً، وحدثها ميسرة عما كان يرى من إضلال الملكين إياه، وكانت خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا امرأة حازمة شريفة لبيبة، مع ما أراد الله بها من كرامته، فلما أخبرها ميسرة بما أخبرها به بعثت إلى رسول الله ﷺ، فقالت له: يا ابن عم، إني قد رغبت فيك، لقرابتك، وسطنتك^(٢) في قومك، وأمانتك، وحسن خلقك، وصدق حديثك، ثم عرضت عليه نفسها.

وكانت أول امرأة تزوجها رسول الله ﷺ، ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا^(٣).

(١) البيهقي، دلائل النبوة، ج ١، ص ٦٥؛ ابن هشام: السيرة النبوية، ج ١، ص ١٨٧.

(٢) وسطنتك: شرفك. انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ج ١، ص ١٨٨.

(٣) انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ج ١، ص ١٨٨-١٨٩.

وكانت خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا على بصيرة - في اختيارها لمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ليتاجر في مالها من ناحية، ومن ثم لاحظت تميزاً لا يوجد في غيره من الرجال فسارعت بالزواج منه، وهذا يدل على فطنتها وذكائها في اتخاذ القرار الصائب، الذي لم يأت إلا بعد خبرة وصفاء سريرة.

إن قارئ السيرة يرى أن خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أحست أن محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيكون له شأن فاختارت أن تكون رفيقة دربه، تحتضن نبوغه وتحيطه بكل ما تقدر عليه من رعاية ودعم، وترجيه من السعي وراء الرزق، فقد كان مهموماً بضلال قومه يكثر التأمل بحثاً عن الحق، فاحترمت رغبته.

أصبح ينطلق إلى الجبال يمكث الأيام والليالي في غار حراء، متفكراً يقلب وجهه في السماء، يرجو الهداية إلى الطريق القويم.. فرضيت أن ترعاه من بعيد.. ترسل له الزاد مع خدمها، ولا تتعرض له بلوم أو عتاب على غيابه من أسرته.. فهي ربة الأسرة إن غاب.. وهي الود والأنس والسكن إن عاد.. تراقبه مبهورة بما وصل إليه من صفاء في النفس حتى إذا جاء اليوم الذي نزل فيه الوحي عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأول سورة اقرأ، كان موقفها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من نزول الوحي موقفاً إيمانياً صادقاً، حيث ذكرته بنعم الله عليه السابقة قبل الوحي والرسالة، ومن كانت هذه صفاته وأخلاقه فهو حري أن لا يناله شراً أو خزيًا، وأن ما حدث كان تأهيلاً لأمر عظيم، وهو النبوة^(١).

(١) اللحام: حنان، هدي السيرة النبوية في التغيير الاجتماعي، (ط ١)، دار الفكر، دمشق

لقد كان لصدق السيدة خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أكبر الأثر في تثبيت وتبشير الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخاصة بعد نزول الوحي عليه لأول مرة، وهو في غار حراء وخوفه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وارتعاده من فجاءة ما حدث، حيث دخل على السيدة خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وهو يرجف فؤاده قائلاً: زملوني^(١)، زملوني، فزملته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وهدأت من نفسه الشريفة، ثم أخبرها الخبر، فقالت له عباراتها الصادقة وكلماتها الإيمانية الواثقة بالله: "كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل^(٢)، وتكسب المعدوم^(٣)، وتقري الضيف،

(١) زملوني: كل ملفوف في ثياب فهو مزمل ومنه حديث النبي عله السلام في أول يوم ما رأى جبريل عليه السلام قال: فجثت منه فرقاً. [وبعضهم] يقول: جثت قال الكسائي: هما جميعاً من الرعب يُقال: رجل مجووث ومجثوث فقال: فأتى خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فقال: زملوني. فإذا فعل الرجل ذلك بنفسه قيل: قد تزل ولمقد تدثر وهو متزمل ومتدثر. البغدادي: أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبدالله، غريب الحديث، (تحقيق: محمد عبدالمعيد خان، ط ١، دائر المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م)، باب زمل، ج ٢، ص ٧١.

(٢) تحمل الكل: من الأثقال والحوائج المهمة والعيال وكل ما يتكلف ويثقل حمله فهو كل. أبو عبدالله بن أبي نصر: محمد بن فتوح بن عبدالله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحميدي، تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، (تحقيق: زبيدة محمد سعيد عبدالعزيز، ط ١، مكتبة السنة، القاهرة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م)، باب حديث عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ج ١، ص ٥٠٩.

(٣) منهم من جعل الكسب لنفسه وأنه يصل إلى كل شيء معدوم فلا يتعذر عليه لبعده وقيل يكسب المعدوم أي يعطيه غيره ويوصله إلى من هو معدوم عنده يُقال: كسبت مالاً وكسبت زيداً مالاً أي أعتته على كسبه ومنهم من عداه بالآلف فقال أكسبت

وتعين على نوائب الحق" (١).

وفي هذا يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله: « وفيه بيان تصديقها للنبي صلى الله عليه وسلم - من أول وهلة - ومن ثباتها في الأمر: ما يدل على قوة يقينها ووفور عقلها، وصحة عزمها » (٢).

وبعد نزول مطلع سورة المدثر، أسرع السيدة خديجة رضي الله عنها بكل ثقة وفخر تعلن إيمانها بزوجه صلى الله عليه وسلم؛ لتحظى بأفضلية السبق إلى الإسلام، فكانت أول من آمن به وصدقت بما جاء من الله وآزرته على أمره، فخفف الله بذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم، لا يسمع شيئاً مما يكرهه من رد عليه وتكذيب له فيحزنه ذلك إلا فرج الله عنه بها إذا رجع إليها، تثبتته وتخفف عليه وتهون عليه أمر الناس رحمة الله تعالى عليها (٣).

= زيدا مالاً وأنشد وأكسبني مالاً وأكسبته حمداً وهذا الوجه أولى. أبو عبدالله بن أبي زمر، تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، باب حديث عائشة رضي الله عنها، ج ١، ص ٥٠٩.

(١) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان يدر الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ج ١، ص ٥ ح (٣).

(٢) ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري (ط ١، دار السلام، الرياض، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م)، ج ١١، ص ١٢٩.

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٤٥.

ومنذ بداية الدعوة أعلنت إسلامها، فقامت تصلي مع زوجها
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند الكعبة غير آبهة بما قد يحدث لها.

ففي رواية ابن إسحاق: أن الصلاة حين افترضت على رسول
الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آتاه جبريل ينظر إليه، ليريه كيف الطهور للصلاة، ثم
توضأ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما رأى جبريل يتوضأ، ثم قام به جبريل
فصلى به، وصلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بصلاته، ثم انصرف جبريل
عليه السلام فجاء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خديجة، فتوضأ لها ليريه كيف
الطهور للصلاة كما أراه جبريل، فتوضأت كما توضأ لها رسول الله
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم صلى بها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما صلى به جبريل،
فصلت بصلاته^(١).

وموقف خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في مسارعة إيمانها وإسلامها وتصديقها
لما جاء به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدل على سعة إدراكها، حيث قارنت
بين ما سمعت وواقع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من خلال معاشرتها له
فأدركت أن من جُبِلَ على مكارم الأخلاق لا يخزيه الله أبداً، فقد
وصفته بأنه يصل الرحم، وكون الإنسان يصل أقاربه دليل على
استعداده النفسي لبذل الخير والإحسان إلى الناس، فإن أقارب
الإنسان هم المرأة الأولى لكشف أخلاقه، فإن نجح في احتواء أقاربه
وكسبهم بما له عليهم من معروف كان حرياً أن ينجح في كسب

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٣٤؛ البيهقي، دلائل النبوة، ج ٢، ص ١٢٠.

الآخرين من البشر، وخير مثال على ذلك أنه عندما اختلفت قريش فيمن يضع الحجر وأشار عليهم أبو أمية بن المغيرة وكان أسن قريش كلها، قال: يا معشر قريش، اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه، ففعلوا، فكان أول داخل عليهم رسول الله ﷺ، فلما رأوه قالوا: هذا الأمين، رضينا، هذا محمد^(١).

فكان حقاً أن يكون لهذه الطاهرة فضل ومكانة عند رسول الله ﷺ تسمو على كل العلاقات، وتظل غرة في جبين التاريخ عامة وتاريخ العلاقات الأسرية خاصة، حيث استمر الوفاء منه ﷺ لهذه المرأة التي عاشت معه حلو الحياة ومرها، وخير مثال على ذلك ما روته عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حيث قالت: ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة، وما رأيته، لكن كان النبي ﷺ يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء، ثم يبعثها في صدائق خديجة، فربما قلت له: كأن لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة! فيقول: «إنها كانت وكانت، وكان لي منها ولد»^(٢).



(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ١، ص ١٩٤-١٩٥.

(٢) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ج ٣، ص ٢٠٥ ح (٣٨١٨).

٢- إسلام علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١)

كان من نعمة الله ﷺ على علي بن أبي طالب وما صنع الله له وأراد به من الخير أن قريشاً أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثير، فقال رسول الله ﷺ للعباس عمه - كان من أيسر بني هاشم -: « يا عباس، إن أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد ترى ما أصاب الناس من هذه الأزمة، فانطلق فلنخفف عنه عياله، أخذ من بيته واحداً وتأخذ واحداً، فنكفيهما عنه »، فقال العباس: نعم.. فانطلق حتى أتيا أبا طالب، فقالا له: إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه، فقال لهما: إن تركتما لي عقيلاً فاصنعا ما شئتما، فأخذ رسول الله ﷺ علياً فضمه إليه، وأخذ العباس جعفرأ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فضمه إليه، فلم يزل علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع رسول الله ﷺ حتى بعثه الله نبياً، فاتبعه علي

(١) هو علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب، القرشي، الهاشمي، كان من أوائل من أسلم، وكان شاباً في العاشرة من عمره، وهو رابع الخلفاء الراشدين، توفي سنة: (٤٠هـ)، انظر: ابن عبد البر، الإستيعاب في معرفة الأصحاب ص ٥٢٧؛ ابن حجر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني في الإصابة في تمييز الصحابة، (تحقيق: خيرى سعيد، د ط، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د ت) ج ١، ص ٥٠٧؛ ابن الأثير، الإمام عز الدين أبي الحسين علي بن محمد الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة (تحقيق: خليل مأمون شيعاء، ط ٢، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م)، ج ٣، ص ٢٨٢.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وآمن به وصدقَه^(١).

روى ابن إسحاق أن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جاء إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد إسلام خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فوجدهما يصليان، فقال علي: ما هذا يا محمد؟ فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دين الله اصطفاه لنفسه، وبعث به رسله، فأدعوك إلى الله وحده وإلى عبادته، وتكفر باللات والعزى»، فقال له علي: هذا أمر لم أسمع به من قبل اليوم، فلست بقاض أمراً حتى أحدث أبا طالب، فكره رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يفشي عليه سره، قبل أن يستلعن أمره، فقال له: «يا علي إذا لم تسلم فاکتم»، فمكث علي تلك الليلة، ثم إن الله أوقع في قلب عليّ الإسلام، فأصبح غادياً إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حتى جاء فقال: ما عرضت عليّ يا محمد؟ فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وتكفر باللات والعزى، وتبرأ من الأنداد»، ففعل علي وأسلم، وكنتم علي إسلامه ولم يظهر به في أول الأمر خوفاً من أبي طالب^(٢).

لقد ساعدت الصلة الأسرية، والمعايشة القريبة، والتبع الدقيق لشخصية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما جُبِل عليه من مكارم الأخلاق علماً

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٣٦.

(٢) ابن كثير، أبو الفداء، الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية (تحقيق: أحمد جاد، د. ط، دار

الحديث، القاهرة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م)، ج ٣، ص ٤.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على معرفته بجوانب الشخصية النبوية وخصائصها واتخاذها قدوة له في شخصيته وسائر سلوكه، ولهذا سارع إلى قبول الإسلام وتصديق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد تحدث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد ذلك عن أخلاق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من خلال معاشرته له عن قرب فقال « كان أجود الناس كفاً، وأشرحهم صدرًا، وأصدق الناس لهجة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، لم أر قبله ولا بعده مثله »^(١).



(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٢، ص ٦٦٢.

٣- إسلام أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١)

كان أبو بكر رجلاً مألُفاً^(٢) لقومه، محبباً سهلاً، وكان أنسب قريش لقريش، وأعلم قريش بها، وبما كان فيها من خير وشر، وكان رجلاً تاجراً ذا خلق ومعروف، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر، لعلمه، وتجارته وحسن مجالسته^(٣). وكان عاقلاً فاضلاً فلم يسجد لصنم قط، وله في ذلك حكاية.

حيث روى عنه أنه قال: ما سجدت لصنم قط وذلك أني لما ناهزت الحلم أخذني أبو قحافة فانطلق بي إلى مخدع فيه الأصنام فقال لي: هذه آلهتك الشم العوالي^(٤) وخلائي وذهب، فدنوت من الصنم

(١) هو عبدالله أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمير بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي، التميمي، يلتقي نسبه مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مرة بن كعب. انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ١٦٩؛ الطبري: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك، (ط ٣)، دار صادر، بيروت، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، ج ٣، ص ١٨٨.

(٢) مألُفاً: الذي يألفه الإنسان. انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٣٩.

(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٣٩.

(٤) الشم العوالي: علو منزلة تلك الأصنام عندهم هذا زعمهم. انظر: ابن الأثير: الإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر، (تعليق: أبو عبدالرحمن صلاح، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م) ج ٢، ص ٤٤٩.

وقلت: أنا جائع فأطعمني؟ فلم يجيبني. فقلت أنا عار فأكسني؟ فلم يجيبني، فألقيت عليه صخرة فخر لوجهه^(١) ومن خصاله الحميدة في نشأته أنه لم يشرب الخمر في الجاهلية ولا في الإسلام قبل تحريمها^(٢).

وكان صادق الحديث، فكان موكلاً بالديات والمغازي والمغارم في قريش، والتي يسمونها الأشناق^(٣) فكان يجمع المال والإبل والعروض حتى إذا طرأت حادثة استلزمت غرماً تدفعه قريش، أداه هو وصدقه قومه وأمنوا على ما صنع^(٤) وهذه الأخلاق جعلته قريباً من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإن بين صفاتهما تشابه وترايط فلا غرو أن تتصل الأسباب وتنجذب القلوب إلى بعضها وهما في سن متقاربة، كيف لا وقد اتفقت طبائعها واتفقت أسبابه بأسباب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل الإسلام.

وذكر ابن إسحاق وغيره: أنه كان صاحب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل البعثة، وكان يعلم من صدقه وأمانته وحسن سجيته

(١) محمود شاكر: الخلفاء الراشدين، (ط ٥، المكتب الإسلامي، ١٤١١هـ/ ١٩٩٢م)، ص ٢٩، ٣٠.

(٢) السيوطي: الإمام جلال الدين، تاريخ الخلفاء (تحقيق: إبراهيم صالح، ط ١، دار صادر، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٧م)، ص ٤٨.

(٣) الأشناق: الديات. انظر: ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٢، ص ٤٥١.

(٤) ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٣، ٣١٠.

وكرم أخلاقه ما يمنعه من الكذب على الخلق فكيف يكذب على الله؟^(١).

وبعد إكرام الله نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالنبوة وبرسالة الدعوة، كان من الطبيعي أن يعرض الدعوة على أقرب الناس به أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فأجابه مباشرة حيث وصف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إسلام أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقوله: (ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت منه كبوة ونظر وتردد، إلا ما كان من أبي بكر بن أبي قحافة ما عكم عنه حين ذكرته له وما تردد فيه)^(٢).

رحم الله أبا بكر ما أقدره وأبعد نظره فهو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما عرف أخلاق النبي الفاضلة وصدقه أدرك أنه حقيق بما أكرمه الله به فصدقه من غير جدال ولا مرء ولا تلكأ ولا تردد.



(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٣، ص ٣٧.

(٢) البيهقي: دلائل النبوة، ج ٢، ص ١٦٤.

٤- إسلام زيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي، أبو أسامة، مولى وحب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أصابه سباء في الجاهلية؛ لأن أمه خرجت به تزور قومها بني معن، فأغارت عليهم خيل بني القين بن جسر، فأخذوا زيداً، فقدموا به سوق عكاظ^(١) فاشتراه حكيم بن حزام^(٢)

(١) عكاظ: أشهر أسواق العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، اختلف الباحثون قدماء ومحدثون في تعيين موضعه فقيل: شرق الحوية، وقيل: في السيل الكبير، وقيل: في السيل الصغير، وقيل: في جنوب الطائف، وقيل: في عشيرة، ثم حددت موقعه لجنة شكلت لهذا الغرض مؤخراً بأن وضعته شمال الحوية، دمرته الحروية عام ١٢٩هـ، ومنذ ذلك الوقت توقف هذا السوق الذي لم يقتصر العرب فيه على البيع والشراء فحسب بل كان منتدى العرب الأدبي. (ناصر الحارثي، المعجم الأثري لمنطقة مكة المكرمة، د. ط، مكتبة الملك فهد، الطائف، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م)، ص ٩٣.

(٢) حكيم بن حزام: بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الأسدي، يكنى أبا خالد، هو ابن أخي خديجة بنت خويلد زوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولد في الكعبة، وذلك أن أمه دخلت الكعبة في نسوة من قريش، وهي حامل فضر بها المخاض، فأثبت بنطع فولدت حكيم بن حزام عليه، وكان من أشرف قريش ووجوهها في الجاهلية والإسلام، كان مولده قبل الفيل بثلاث عشرة سنة أو اثنتي عشرة سنة على اختلاف في ذلك وتأخر إسلامه إلى عام الفتح، فهو من مسلمة الفتح هو وبنوه عبدالله وخالد ويحيى وهشام، وكلهم صحب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعاش حكيم بن حزام في الجاهلية ستين سنة، وفي الإسلام ستين، وتوفي بالمدينة في خلافة معاوية

لعمته خديجة بنت خويلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فوهبته خديجة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمكة قبل النبوة، وهو ابن ثمانين سنين^(١)، وكان أبوه شراحيل قد وجد لفقده وجداً شديداً، فقال شعراً في ذلك عنه قوله:

بكيت على زيد ولم أدر ما فعلٍ أحى فيرجى أم أتى دونه الأجل^(٢)

ثم إن أناساً من كلب حجوا فرأوا زيدا، فعرفهم وعرفوه، فقال لهم: أبلغوا عني أهلي هذه الأبيات فإنني أعلم أنهم جزعوا عليّ، فقال:

أحن إلى قومي وإن كنت نائياً فإني قعيد البيت عند المشاعر
فكفوا من الوجد الذي شجاكم ولا تعملوا في الأرض نصّ
فإني بحمد الله في خير أسرة كرام معد كابرأ بعد كابر^(٣)

= = سنة أربع وخمسين، وهو ابن مائة وعشرين سنة، وكان عاقلاً سرياً فاضلاً تقياً سيّداً بهالة غنياً، ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص ٣٦٢، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٤٤؛ ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ١، ص ٥٢٢.

(١) الذهبي: الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء (تعليق محمد أيمن الشبراوي، د. ط، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٦م)، ج ٤، ص ١٤٠؛ ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ص ٢٨٥؛ ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٢، ص ٣٢٨.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٢، ص ٣٢٨؛ ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص ٢٨٥؛ ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٢، ص ٣٢٨.

(٣) ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٢، ص ٢٣٩.

وفي هذه الآيات يتضح ما هو فيه من السعادة والرضا، وما وجد من الإكرام، وحسن المعاملة، فانطلق الكليون، فأعلموا أباه ووصفوا له موضعه، وعند من هو، فخرج حارثة وأخوه كعب ابنا شراحيل لفدائه، فقدموا مكة، فدخلوا على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالوا: يا ابن عبدالمطلب، يا ابن هاشم، يا ابن سيد قومه، جئناك في ابنا عندك، فامنن علينا، وأحسن إلينا في فدائه، فقال: من هو؟ قالوا: زيد بن حارثة، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « فهلا غير ذلك » قالوا: ما هو؟ قال: ادعوه وخيروه، فإن اختاركم فهو لكم، وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي اختار على من اختارني أحداً قالوا: قد زدتنا على النصف وأحسن، فدعاه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: هل تعرف هؤلاء؟ قال: نعم، هذا أبي وهذا عمي، قال: فأنا من قد عرفت ورأيت في صحبتي لك، فاخترني أو اخترهما، قال: ما أريد هما؟ وما أنا بالذي اختار عليك أحداً، أنت من مكان الأب والعم، فقالوا: ويحك يا زيد، ألتختر العبودية على الحرية وعلى أبيك وأهل بيتك؟ قال: نعم قد رأيت من هذا الرجل شيئاً ما أنا بالذي أختار عليه أحداً أبداً^(١).

فكان هذا الموقف من زيد مفاجأة لأهله، لما وجد كما ذكر من حسن المعاملة وكرمها، وقد قابل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا الموقف من زيد بأن أخذ بيد زيد وقام به إلى الملاء من قریش، فقال: اشهدوا أن هذا

(١) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٣٩.

ابني، وارثاً ومورثاً، فطابت نفس أبيه عند ذلك، فلم يزل عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى بعثه الله، فصدقه مباشرة وأسلم وصلى معه فلما أنزل الله - عز وجل - : ﴿ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ﴾^(١) قال: أنا زيد بن حارثة^(٢).

فكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أول من أسلم من الموالي، وكان محباً لرسول الله وبادله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حباً بحب فرفعه الله بهذا الحب وهذا الإيمان والتصديق لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ونزل في حقه قرآن يتلى إلى يوم الدين: قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾^(٣) وهو زيد بن حارثة، أنعم الله عليه بالإسلام، وأنعمت عليه، بأث اعتقه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل إنه الوحيد من صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي جاء اسمه صريحاً في كتاب الله: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَخُفِيَ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ

(١) سورة الأحزاب، آية: ٥.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٣٧؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٣،

ص ٢٩؛ السهيلي: الروض الأنف، ج ١، ص ٤٢٩.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٣٧.

فِي أَزْوَاجٍ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٢٧﴾ (١) (٢).

لم يكن يتوقع حارثة من ابنه ذلك الاختيار؛ بل كان يتوقع أن يكون يوماً من أيام الأعياد في حياته حيث يعود إلى ذويه وأهله الذين تركهم مكرها... ولكن المعاملة الحسنة والأخلاق الفاضلة، وذلك السلوك الإنساني الجميل الذي رآه من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان فوق كل تقدير، هذا كله قد حدث ومحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يصبح رسولاً بعد^(٣).

إن اختيار زيد رسول الله وإيثاره البقاء عنده على العودة إلى أهله وديار قومه في وقت يعد انفصال الفرد عن قبيلته ضياعاً له وفي سن يحرص المرء فيها أن يكون في رعاية ذويه لدليل على تلك الأخلاق العالية والصفات الحميدة التي تجلت في سلوكه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع كل الناس، ولعل قرب زيد منه جعله أكثر تقديراً ومعرفة بهذه الصفات، الأمر الذي جعله يستمسك بالبقاء عنده، واجداً في ظله كل ما يتطلبه من عطف الأب وكرمه وحنانه بل وما هو أكثر من هذا...

(١) سورة الأحزاب، آية: ٣٧.

(٢) ابن كثير: الإمام الحافظ أبي الفداء، إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي تفسیر القرآن العظيم، (تحقيق: عبدالرزاق المهدي، د. ط، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م)، ج ٥، ص ١٨٢-١٨٣.

(٣) صالح الشامي: من معين السيرة (ط ٤)، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م) ص ٢٦.

وتلك الأخلاق جعلته يسارع إلى التصديق والمتابعة للنبي
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما دعاه للإسلام^(١).



(١) المصدر السابق، ص ٢٦.

المبحث الثاني

حسن الخطاب مع المدعوين

ويشتمل على مطالب:

- (١) إسلام عداس النصراني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
- (٢) إسلام عمرو بن عبسة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
- (٣) إسلام سويد بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
- (٤) إسلام الحصين بن عبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
- (٥) إسلام ضماد الأذري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
- (٦) إسلام عبدالله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
- (٧) إسلام أسلم الحبشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
- (٨) إسلام ضمام بن ثعلبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
- (٩) إسلام الجارود بن عمر العبدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
- (١٠) إسلام عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
- (١١) إسلام بعض من أرسل إليهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الملوك والأمراء.

تَهْيِيد

للخطاب والحوار الناجح الراقي آداب لا بد منها، وللمحاور البارع المؤثر آداب يحسن أن يتحلى بها.

وتلك الآداب ترجع إلى إقبال المحاور على صاحبه، ورفع من شأنه وإحسانه إليه، وحذره مما ينافي ذلك، واختيار الألفاظ المناسبة أثناء الحوار والدعوة وإظهار الصدق والرحمة والشفقة في الخطاب.

ولقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأخذ بتلك الآداب في حواراته مع كافة الطبقات، ومن جملة ما كان يأخذ به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في خطابه وحواره تواضعه لمحاوريه، ولا سيما أنه من أعظم آداب المحاور وأسباب نجاحه، وحسن الاستماع له، والإصغاء إليه، وترك مقاطعته، أو التشاغل عنه فهذا حاله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في حواراته، وتلك شئائله وأخلاقه، فأجدر بأتباعه أن يجعلوا هذا الأدب معلماً لهم في حياتهم، وسمّة بارزة في حواراتهم، ليفتحوا بذلك قلوب محاورهم، وليصلوا إلى مقصودهم في هداية الناس وإرشادهم، كما فعل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فبحسن خطابه وحواره دخل الكثير في الدين الإسلامي رغبة وطواعية.

وإن المتأمل لسيرة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإنصاف؛ ليدرك أن محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو رسول الله حقاً وصدقاً؛ لأنه لا يمكن لإنسان أن يجمع في حياته وسلوكياته خلاصة الفضائل الإنسانية، وقمة

الوسائل البشرية في التعامل مع الناس إلا أن يكون نبياً معصوماً
يوحى إليه.

لقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحاور ليلاطف أو ليعلم ويربي، أو
ليدعو إلى الإسلام، وليفاض، أو ليتعايش مع من حوله.
وقد أوردت في هذا المبحث مجموعة من الوقائع الدالة على ذلك
وأثرها في الدعوة إلى الإسلام.



١- إسلام عداس النصراني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١)

لما توفي أبو طالب وخديجة بنت خويلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وكان بينهما شهر وخمسة أيام، اجتمعت على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مصيبتان، فلزم بيته، وأقلَّ الخروج، ونالت منه قریش ما لم تكن تنال وما تطمع به، واجترؤوا عليه، فخرج إلى الطائف ومعه زيد بن حارثة، فأقام بالطائف عشرة أيام لا يدع أحداً من أشرافهم إلا جاءه وكلمه، فلم يجيبوه وخافوا على أحداثهم فقالوا:

يا محمد اخرج من بلدنا والحق بمُجبابك من الأرض، وأغروا به سفهاءهم، فجعلوا يرمونه بالحجارة حتى إن رجلي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لتدميان وزيد بن حارثة يقيه بنفسه، حتى لقد شُجَّ في رأسه شجاج (٢) فلما رآه ابنا ربيعة، عتبة وشيبة، وما لقي تحركت له رحمهما (٣)، فدعوا غلاماً لهما نصرانياً، يقال له عداس، فقالا له: خذ قطفاً من هذا العنب فضعه في هذا الطبق، ثم اذهب به إلى ذلك

(١) عداس: مولى شيبة بن ربيعة، كان نصرانياً من أهل نينوى: قرية من قرى الموصل، ولقي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالطائف. انظر: ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٤، ص ٣٧٨.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ١٦٤.

(٣) الرحم: الصلة والقربة. ابن هشام: السيرة النبوية، ج ١، ص ٣٨٤.

الرجل، فقل له يأكل منه، ففعل عداس، ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ، ثم قال له: كُلْ، فلما وضع رسول الله ﷺ فيه يده قال: بسم الله، ثم أكل، فنظر عداس في وجهه ثم قال: والله، إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال له رسول الله ﷺ: «ومن أهل أي البلاد أنت يا عداس؟ وما دينك؟ قال: نصراني، وأنا رجل من أهل نينوى، فقال رسول الله ﷺ: من قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟ فقال عداس: وما يدريك ما يونس بن متى؟ فقال رسول الله ﷺ: ذاك أخي، كان نبياً وأنا نبي» فأكب عداس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه وقدميه^(١).

فقد كان النبي ﷺ على الرغم مما فعل به من الأذى ونزف الدماء من قدميه الشريفة إلا أنه لم يتضجر من أسئلة هذا الغلام

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ١، ص ٣٨٤؛ البيهقي: دلائل النبوة، ج ٢، ص ٤١٦؛ ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، السيرة النبوية، (تحقيق: مصطفى عبد الواحد د. ط، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٥هـ-١٩٧٦م)، ج ٢، ص ١٥١؛ ابن سيد الناس: أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد ابن سيد الناس اليعمري؛ عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير، تحقيق: محي الدين مستو، د. ط، مكتبة التراث، المدينة المنورة، د. ت، ج ١، ص ٩٧؛ أكرم ضياء العموي: السيرة النبوية الصحيحة، (ط ٧، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م)، ج ١، ص ١٩٥.

النصراني ولم يزجره، أو يهمل الرد عليه، وإنما تجاوب معه بكل اهتمام ورد على أسئلته، وحاوره وكشف له معلومات ليست متداولة ولا معروفة عند أهل هذه البلاد، حتى عرف عداس الحقيقة بأنه نبي مرسل، فأكَبَّ على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقبل رأسه ويديه وقدميه.

فمن يحصل له مثل هذا الأذى والاضطهاد ومن ثم يستطيع التحاور والتخاطب إلا نبي تجلت فيه أروع معاني الأخلاق السامية التي كان لها أثرها وهدفها النبيل وهو تبليغ دين الله عز وجل ونشره.



٢- إسلام عمرو بن عبسة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١)

قال عمرو بن عبسة السلمي: كُنْتُ، وأنا في الجاهلية، أظن أن الناس على ضلالة، وأنهم ليسوا على شيء، وهم يعبدون الأوثان، فسمعت برجل بمكة يخبر أخباراً، فقعدت على راحلتي، فقدمت عليه، فإذا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مستخفياً، جُراءً عليه قومه، فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة، فقلت له: ما أنت؟ قال: «أنا نبي»، فقلت: وما نبي؟ قال: «أرسلني الله»، فقلت: وبأي شيء أرسلك؟ قال: «أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان، وأن يوحد الله لا يشرك به شيء»، قلت له: فمن معك على هذا؟ قال: «حر وعبد» قال: ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ممن آمن به، فقلت: إني متبعك، قال: «إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا، ألا ترى حالي وحال الناس؟ ولكن ارجع إلى أهلِكَ، فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني»، قال: فذهبت إلى أهلي، وقَدِمَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (المدينة)، وكنت في أهلي، فجعلت أتحبر

(١) عمرو بن عبسة بن عامر بن خالد السلمي، يكنى: أبا نجيح، ويقال: أبو شعيب، وينسبونه: عمرو بن عبسة بن عامر بن خالد بن تماضرة بن عتاب بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم، أسلم قديماً في أول الإسلام، وقد سكن عمرو الشام، ويقال: إنه مات بحمص في أواخر خلافة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. انظر: ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ص ٥٧٤؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٤، ص ٥٣٩؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٤، ص ٨٣.

الأخبار وأسأل الناس حين قدم المدينة، حتى قدم عليّ نفر من أهل يثرب من أهل المدينة، فقلت: ما فعل هذا الرجل الذي قدم المدينة؟ فقالوا: الناس إليه سراع، وقد أراد قومه قتله فلم يستطيعوا ذلك، فقدمت المدينة، فدخلت عليه، فقلت: يا رسول الله! أتعرفني؟ قال: «نعم، أنت الذي لقيتني بمكة» قال فقلت: بلى، فقلت: يا نبي الله! أخبرني عما علمك الله وأجهله، أخبرني عن الصلاة؟!^(١).

ثم شرع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلمه شرائع الإسلام فعمر بن عبسة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يحكي خبر إسلامه ومحاورته للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي تجلّى فيها حرصه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على هداية الناس وتوضيح معالم رسالته، معتمداً في ذلك على حسن الخطاب والحوار الهاديء، على الرغم مما يلقاه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك الوقت بالتحديد من اشتداد أذى قريش له وصدّهم عن رسالته، فهذا إنما يدل على كمال أخلاقه وهدية صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما أنه حرص صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على سلامة هذا الرجل الغريب في مكة من أن تفتنه قريش عن رغبته الصادقة في الإسلام، فقال له إنك لا تستطيع البقاء معي.

(١) النووي: المنهاج شرح صحيح بن مسلم بن الحجاج، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب إسلام عمرو ابن عبسة، ج ٦، ص ٣٥٦ ح (١٩٢٧)؛ البيهقي دلائل النبوة، ج ٢، ص ١٦٨.

ثم أشار عليه بالعودة إلى قومه والبقاء عندهم حتى يسمع بظهوره، فيقدم عليه.

فحسن الخطاب والحوار وإيجاز مضمون الرسالة في المعاني البديعة ظاهر في خطاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع عمرو بن عبسة، وكذا الحرص على سلامة المدعو وتوفير الأمن له في الدنيا والآخرة ظاهر في إشارته له بالعودة إلى قومه وتجنبيه الأذى والفتنة.



٣- إسلام سويد بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١)

قدم سويد بن صامت، أخو بني عمرو بن عوف، مكة حاجاً أو معتمراً، وكان سويد إنما يسميه قومه فيهم الكامل، لجلده وشعره وشرفه ونسبه، وكان قارئاً، والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مجتهد في نشر الإسلام فكان يوافي المواسم كل عام في مكة، يتبع الحاج في منازلهم وفي أسواقهم عكاظ، ومجنة^(٢)، وذو المجاز^(٣)، حتى إنه ليسأل عن القبائل ومنازلهم قبيلة قبيلة، يدعوهم إلى الله تعالى، وأن يمنعه حتى يبلغ رسالات ربه، ويقول: « يا أيها الناس، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، وتملكوا بها العرب، وإذا آمنتم، كنتم ملوكاً في الجنة »^(٤).

(١) هو سويد بن الصامت بن خالد بن عقبة بن خوط بن حبيب بن عمرو بن عوف الأنصاري الأوسي. ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٢، ص ٤٠٣.

(٢) مجنة: أحد أسواق العرب التي اقترن ذكرها بسوق عكاظ وذو مجاز، اختلف في موقعه، ولكن على الأرجح أنه يقع ناحية بحرة على الطريق القديم بين مكة وجدة، انظر: ناصر الحارثي، المعجم الأثري لمنطقة مكة المكرمة، ص ٩٣.

(٣) ذي المجاز: من أسواق العرب الرئيسية المندثرة، يقع شمال شرق عرفات، لا تزال أطلال هذه السوق ماثلة للعيان، وقد قامت وكالة الآثار والمتاحف بتسويره، انظر: ناصر الحارثي، المعجم الأثري لمنطقة مكة المكرمة، ص ٩٢.

(٤) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ١، ص ٤٢٤-٤٢٥؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٢١٦-٢١٧؛ ابن الأثير: عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد

وكان في مقدمة من لقي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سويد بن الصامت الذي لقيه في مكة فعرض عليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الإسلام والإيمان، فدار بينهما الحوار التالي: قال سويد: فلعل الذي معك مثل الذي معي. فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وما الذي معك؟» قال: مجلة لقمان يعني حكمة لقمان فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أعرضها علي» فعرضها عليه فقال: «إن هذا الكلام حسن، معي أفضل من هذا قرآن أنزله الله عليّ هدى ونور» ثم تلا عليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القرآن، ودعاه إلى الإسلام، فلم يبعد منه وقال: إن هذا لقول حسن، ثم انصرف عنه وقدم المدينة فلم يلبث أن قتله الخزرج^(١)، فإن كان قومه ليقولون قد قتل وهو مسلم وكان قتله

= = الشيباني، الكامل في التاريخ (تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، د ط، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٣١هـ-٢٠١٠)، ج ٢، ص ٩٣-٩٤.

(١) الخزرج: وهم: بنو الخزرج بن حارثة بن ثعلبة البهلول ابن عمرو مزريقاء بن عامر بن ماء السماء وكانوا يقطنون المدينة مع الأوس، وقد نشبت بينهما حرب طويلة أشهرها: بعث وهو موضع على ليلتين من المدينة، ففيه كان الواقعة.
الدمشقي: عمر بن رضا بن محمد بن راعب عبدالغني كحالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٧، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ج ١، باب الخزرج، ص ٣٤٢.

يوم بعث^(١)(٢).

والمتتبع لحوار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع سويد بن الصامت يجد حسن خطاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع سويد، وحرصه على هدايته ودعوته إلى الحق والنور المبين، فحاوره ولم يصد عما قاله بل سمع منه، وأسمعه ما هو أفضل منه كلام الله تعالى، فسرعان ما انبهر به سويد وأعجبه حتى قال مادحاً له: إن هذا القول حسن وبذلك أثر حوار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحسن خطابه ونتجت عنه آثار طيبة أفادت الدعوة حيث تشرب سويد بن الصامت الإسلام، ويذكر قومه أنه مات مسلماً.



-
- (١) يوم بعث: موضع كانت فيه حرب بين الأوس والخزرج. انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ج ١، ص ٣٨٨.
- (٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ١، ص ٣٨٨-٣٨٩؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ص ٥٥٧؛ البيهقي: دلائل النبوة، ج ٢، ص ٤١٩.

٤- إسلام الحصين بن عبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١)

جاءت قريش إلى الحصين الخزاعي والد عمران - وكانت تعظمه فقالوا له: كلم لنا هذا الرجل فإنه يذكر آهتنا ويسبهم، فجاءوا معه حتى جلسوا قريباً من باب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فدخل الحصين فقال رسول الله: أوسعوا للشيخ، وعمران بن الحصين وأصحابه في مجلس رسول الله، فقال حصين: ما هذا الذي بلغنا عنك، أنك تشتم آهتنا، وتذكرهم، وقد كان أبوك حصين^(٢) خير؟ فقال: « يا حصين، إن أبي وأباك في النار، يا حصين، كم تعبد من إله؟ قال: سبعة في الأرض، وواحداً في السماء، فقال: فإذا أصابك الضر من تدعوه؟ قال: الذي في السماء. قال: فإذا هلك المال من تدعو؟ قال: الذي في السماء. قال:

-
- (١) الحصين عبيد بن خلف بن عبدئهم بن حذيفة بن جهمة بن غاضرة ابن حبشية بن كعب بن عمرو الخزاعي، والد عمران بن الحصين. روى عنه ابنه عمران بن حصين، ولما أسلم حصين قال: يا رسول الله، كنت أتيتك فعلمتني كذا وكذا، فما أقول الآن وقد أسلمت قال: قل: « اللهم قني شر نفسي واعزم لي على أرشد أمري، اللهم اغفر لي ما أسررت وما أعلنت، وما أخطأت وما عمدت، وما جهلت » ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ص ١٩٥؛ ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٢، ص ٢٨؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٢، ص ٧٤.
- (٢) حصينة: عاقلاً متحصناً بدين آبائه وأجداده ومعتقداتهم. ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ١، ص ٢٣٤.

فيستجيب لك وحده، وتشرکہم معه، أرضيته في الشكر أم تخاف أن يغلب عليك؟ قال: ولا واحدة من هاتين. قال: وعلمت أني لم أكلم مثله. قال: يا حصين أسلم تسلم. قال: إن لي قوماً وعشيرة. قال: قل: اللهم أستهديك لرشد أمري؟ وزدني علماً ينفعني. فقالها حصين فلم يقم حتى أسلم. فقام إليه عمران فقبل رأسه، ويديه، ورجليه، فلما رأى ذلك النبي ﷺ بكى، وقال: بكيت من صنيع عمران، دخل حُصَيْن وهو كافر، فلم يقم إليه عمران، ولم يلتفت ناحيته، فلما أسلم قضى حقه، فدخلني من ذلك الرقة، فلما أراد حصين أن يخرج قال لأصحابه: « قوموا فشيعوه إلى منزله » فلما خرج من سدة الباب رآته قريش، فقالوا: صباً وتفرقوا عنه^(١).

ويتضح من هذه القصة أن مشركي مكة قاموا بتشويه دعوة الرسول ﷺ ونظمت قريش في ذلك حرباً إعلامية ضده وقد اختاروا الوقت المناسب لأداء هذه الحرب الإعلامية ضد الرسول ﷺ فهم يختارون وقت تجمع الناس في موسم الحج، ومع اختيارهم للزمان المناسب، فقد اختاروا أيضاً مكاناً مناسباً حتى تصل جميع الوفود القادمة إلى مكة ولم تستطع تلك الحرب

(١) ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٢، ص ٧٤؛ الترمذي: أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، سنن الترمذي، (تحقيق: شعيب، الأرناؤوط، سعيد اللحام، ط ١، دار الرسالة العالمية، دمشق، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، كتاب الدعوات، باب ما جاء أن الداعي يبدأ بنفسه)، ج ٥، ص ٥١٩، ح (٣٤٨٣).

الإعلامية المنظمة أن تحاصر دعوة رسول الله ﷺ؛ بل استطاع محمد أن يخترق حصار الأعداء الذين لم يكتفوا بتنفير ساكني مكة من رسول الله ﷺ، وتشويه سمعته عندهم بل صاروا يتلقون الوافدين إليهم، ليسمعوا أفكارهم، وليحولوا بينهم وبين سماع كلامه، والتأثر بدعوته، فقد كان رسول الله ﷺ عظيم النجاح في دعوته، بليغاً في التأثير فيمن خاطبه حيث يؤثر فيمن جالسة بهيئته، وسمته، ووقاره، قبل أن يتكلم، ثم إذا تحدث أسر سامعيه بمنطقه البليغ، وحواره اللطيف، ولعل قصة إسلام الحصين من أبرز الأمثلة على قوته في التأثير بالكلمة المعبرة، والأخلاق الكريمة، الذي حاول زعماء مكة ضربه عليه، واستطاع النبي ﷺ بحسن خطابه ورقى حواراه أن يغرس معاني التوحيد في نفس الحصين، وأن ينسف العقائد الباطلة التي كان يعتقدونها^(١).



(١) علي محمد الصلابي: السيرة النبوية، (ط٨)، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، ص ١٣٩.

٥- إسلام ضماد الأزدي رضي الله عنه^(١)

وقد وفد ضماد الأزدي إلى مكة وتأثر بدعاوي المشركين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استقر في نفسه أنه مصاب بالجنون، كما يتهمه بذلك زعماء المشركين في مكة، وكان ضماد يعالج من الريح ومس الجن، فلما سمع سفهاء مكة يقولون: إن محمداً صلى الله عليه وسلم مجنون صدق ذلك، فقال: لو أني أتيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدي.

فقد روى مسلم في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم ضماد مكة وهو رجل من أزد شنوءة^(٢) وكان يرقى من هذه الرياح

(١) ضماد بن ثعلبة الأزدي من أزد شنوءة، كان صديقاً للنبي في الجاهلية، وكان رجلاً يتطبب ويرقي ويطلب العلم، ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ص ٣٧٨-٣٧٩؛ ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٢، ص ٤٧٢؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٣، ص ٤٧.

(٢) أزد شنوءة: بنو الأزد - بفتح الهمزة وسكون الزاي وبالذال المهملة - ويقال فيهم الأسد بالسين المهملة بدل الزاي، وهم حي من كهلان من القحطانية، وهم بنو الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان، ويقال فيهم الأسد بالسين المهملة بدل الزاي، قال الجوهري وهو بالزاي أفصح، والأزد من أعظم الأحياء وأكثرها بطوناً وأمدداً فروعاً، وقد نسبها الجوهري إلى ثلاثة أقسام أحدها أزد شنوءة وهم بنو نصر الأزد، وشنوءة لقب لنصر غلب على أولاده، القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، باب الألف واللام مع الزاي، ص ٩١.

فسمع سفهاء من سفهاء مكة يقولون: إن محمداً مجنون فقال: أين هذا الرجل لعل الله أن يشفيه على يدي، فلقيه، فقال: يا محمد إني أرقى من هذه الريح، وإن الله يشفي على يدي من شاء، فهل لك؟ فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

فقال: أعد علي كلماتك هؤلاء. فأعادهن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاثاً، فقال: والله لقد سمعت قول الكهنة، وسمعت قول السحرة، وسمعت قول الشعراء، فما سمعت مثل هؤلاء الكلمات فهلم يدك أبايك على الإسلام، فبايعه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال له: وعلى قومك فقال: وعلى قومي. فبعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (بعد ذلك) جيشاً فمروا بقوم ضماد فقال صاحب الجيش للسرية: هل أصبتم من هؤلاء القوم شيئاً؟ فقال رجل منهم: أصبت منهم مطهرة، فقال: ردها عليهم فإنهم قوم ضماد^(١).

(١) النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، كتاب الجمعة، باب رفع الصوت في الخطبة وما يقول فيها، ج ٦، ص ٣٩٥، ح (٢٠٠٥)؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٤، ص ١٨٢؛ البيهقي: دلائل النبوة، ج ٢، ص ٢٢٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١، ص ٢٣٩؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٣، ص ٧٩.

وفي رواية: فقال له ضماد: أعد علي كلماتك هؤلاء فلقد بلغن ناعوس البحر^(١).

وكانت دعاية قريش، وتشويه شخص الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واتهامه بالجنون حمل ضماداً على السير للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أجل رقيته.

ومن خلال حوار ضماد مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتضحت مكارم أخلاق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد تجلت صفتا الصبر والحلم متوجة بحسن الخطاب وأدب المجادلة عندما عرض عليه ضماد أن يعالجه من مرض الجنون الذي يزعم قومه بأنه مصاب به، ولا شك بأن هذا الموقف يثير الغضب.

ولكن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استقبل الأمر بحلم وهدوء وتروي وحسن حوار، مما أثار إعجاب ضماد، واحترامه لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكان حديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منبعث من قلب مليء إيماناً و يقيناً وحكمة، فاصبح حديثه يصل إلى القلوب ويجذبها إلى الإيمان.

(١) ناعوس البحر: قال أبو موسى الأصفهاني: وقع في صحيح مسلم ناعوس البحر بالنون والعين وفي سائر الروايات، قاموس، وهو وسطه ولجته. النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، كتاب الجمعة، باب رفع الصوت في الخطبة وما يقول فيها، ج٦، ص ٣٩٥ ح (٢٠٠٥).

وفي سرعة إسلام ضماد دليل على أن الإسلام دين الفطرة، وأن النفوس إذا تجردت من الضغوط الداخلية والخارجية، فإنها غالباً تتأثر وتستجيب، إما بسماع قول مؤثر، أو الإعجاب بسلوك قويم.

وعندما رأى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ضماد صدق إيمانه، وحماسه للإسلام، وقوة اقتناعه به، دفعه ذلك إلى أخذ البيعة منه لقومه وذلك أكبر دليل على حرصه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على نشر الإسلام^(١).



(١) علي الصلابي، السيرة النبوية، ص ١٣٥.

٦ - إسلام عبدالله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١)

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بلغ عبدالله بن سلام مقدّم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة، فأتاه فقال: إني سائلك عن ثلاثٍ لا يعلمهن إلا نبي: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ ومن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه؟ ومن أي شيء ينزع إلى أخواله؟ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خبرني بهن أنفاً جبريل» قال: فقال عبدالله: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أما أولُ أشراط الساعة فأنارُ تحشُرُ الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أولُ طعام يأكله أهل الجنة فزيادةُ كبد حوت، وأما الشَّبه في الولد فإنَّ الرَّجُلَ إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشَّبه له، وإذا سبقَ ماؤها كان

(١) هو عبدالله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي، ثم الأنصاري، يكنى أبا يوسف، وهو من ولد يوسف بن يعقوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كان حليفاً للأنصار، ويقال: كان حليفاً لبني عوف من الخزرج، وكان اسمه في الجاهلية الحصين، فلما أسلم سماه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبدالله، وتوفي بالمدينة في خلافة معاوية سنة (٤٣هـ)، وهو أحد أجبّار اليهود في المدينة، وكان أهل المدينة على اختلاف مللهم يجلبونه ويعظمونه، وقد اقتنع بالإسلام وأسلم. انظر: ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ص ٤٦٠؛ ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٣، ص ٦١٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٤، ص ٥٩؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٤، ص ٩٥.

الشبه لها» فقال: أشهد أنك رسول الله^(١).

وقد كان الأخبار من اليهود، قد تحدثوا بأمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل بعثته لما تقارب زمانه، مما وجدوا في كتبهم من صفته وصفة زمانه، وما كان من عهد أنبيائهم إليهم فيه.

فلما بُعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلموا بما عندهم من علم أنه ذلك النبي كفروا به حسداً وكبراً وإيثاراً للعاجلة على الباقية.

وعلى الرغم من ذلك كان نبي الرحمة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يغشى اليهود في مجالسهم يدعوهم إلى الإسلام مذكراً إياهم بفضل الله عليهم وعلى أسلافهم.

ودارت حوارات كثيرة بين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبين اليهود حول إثبات النبوة ومنها:

حواره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع الخبر اليهودي عبدالله بن سلام حين أراد أن يتثبت من نبوة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لكي يزداد يقينه، فأتى نبي الرحمة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأجرى معه حواراً سأل فيه عن أشياء لا يعلمها إلا نبي.

(١) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، ج ٣، ص ٧، ح (٣٣٢٩)؛ ابن هشام: السيرة النبوية، ج ١، ص ٤٦٤؛ البيهقي: دلائل النبوة، ج ٢، ص ٥٢٨.

وفي هذا الحوار أظهر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حسن أدبه وخطابه فلم يغضب ولم يصد عن إجابة عبدالله بن سلام، بل أجابه بكل روية وحجة وإمعان فكان أثر ذلك الحوار الهادئ المقنع والذي تلقي فيه العلم من الله وقال لعبد الله بن سلام أخبرني بهن جبريل أنفاً فسارع عبدالله بن سلام إلى الإيمان به، وأراد أن يحل هذا الحق الذي آمن به إلى قومه ليقيم به الحجة عليهم، لكن قومه من اليهود أبو إلا الجحود والنكران وبذلك كان الصحابي الجليل عبدالله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ممن أسلم وحسن إسلامه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١).



(١) عصام محمود، حوارات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع أهل الكتاب وعلى أي شيء نتحاور، مجلة جامعة المدينة العالمية المحكمة، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا، قسم الدعوة وأصول الدين، رقم ٩٧٣٥-٢٢٣١، (<http://maqazine.mediun.edu.my>).

٧- إسلام أسلم الحبشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١)

في السنة السابعة من الهجرة النبوية، سار فرسان المسلمين إلى خيبر، وانقضوا على حصون اليهود ففتحوها حصناً بعد حصن، وكان لعامر اليهودي عبد أسود حبشي يرعى غنماً له، ولما رآهم قد أخذوا السلاح واستعدوا لقتال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سألهم: ما تريدون؟ قالوا: نقاتل هذا الرجل، الذي يزعم أنه نبي.

فوقع في نفسه ذكر النبي فخرج بغنمه ليرعاها، فأخذه المسلمون فجاءوا به لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكلمه رسول الله ما شاء الله أن يكلمه، فقال الرجل: ماذا تقول؟ وماذا تدعو إليه؟

قال: أدعوك إلى الإسلام وأن تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وأن لا تعبد إلا الله، قال العبد: وما يكون لي إن شهدت بذلك

(١) أسلم الحبشي: قال ابن إسحاق في المغازي: حدثني أبي إسحاق بن يسار أن راعياً أسود أتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو محاصر لبعض حصون خيبر، ومعه غنم كان أجيراً فيها لرجل يهودي اسمه عامر، فقال: يا رسول الله، أعرض علي الإسلام، فأسلم. كذا ذكره ابن عبد البر، واعترضه ابن الأثير بأنه ليس في شيء من السياقات أن اسمه أسلم، وهو اعتراض متجه. وقد سماه أبو نعيم يساراً، وقال الرشاطي في الأنساب: أسلم الحبشي أسلم يوم خيبر، وقاتل فقتل وما صلى صلاة، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن معه الآن زوجته من الحور العين، ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج ١، ٢١٦؛ ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص ٧٩.

وَأَمَنْتَ بِاللَّهِ تَعَالَى؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَكَ الْجَنَّةُ إِنْ آمَنْتَ عَلَى ذَلِكَ، فَأَسْلَمَ الْعَبْدُ، وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي رَجُلٌ أَسْوَدُ اللَّوْنِ، قَبِيحُ الْوَجْهِ، مَمْتَنُّ الرِّيحِ، لَا مَالٌ لِي فَإِنْ قَاتَلْتَ هَؤُلَاءِ حَتَّى أَقْتُلَ، أَدْخَلَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ هَذِهِ الْغَنَمُ عِنْدِي أَمَانَةٌ فَكَيْفَ بِهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: أَخْرِجْهَا مِنَ الْعَسْكَرِ، وَارْمِهَا بِالْحَصْبَاءِ، فَإِنَّ اللَّهَ وَجَّكَ سَيُؤَدِّي عَنْكَ أَمَانَتَكَ فَفْعَلَ، وَأَعْجَبَ رَسُولُ اللَّهِ كَلِمَتَهُ، فَزَجَّتْ الْغَنَمُ تَشْتَدُّ مَجْتَمِعَةً كَأَنَّ سَائِقَهَا يَسُوقُهَا حَتَّى دَخَلَتْ كُلُّ شَاةٍ إِلَى أَهْلِهَا، فَعَرَفَ الْيَهُودِيُّ أَنَّ غَلَامَهُ قَدْ أَسْلَمَ، ثُمَّ تَقَدَّمَ الْعَبْدُ الْأَسْوَدُ إِلَى الصَّفِّ فَقَاتَلَ فَأَصَابَهُ سَهْمٌ فَقَتَلَهُ وَلَمْ يَصِلْ لِلَّهِ تَعَالَى سَجْدَةً وَاحِدَةً^(١).

لَقَدْ أَكْرَمَ اللَّهُ هَذَا الْعَبْدَ، وَسَاقَهُ إِلَى خَيْرٍ، فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ أَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنِّي رَجُلٌ أَسْوَدُ اللَّوْنِ، قَبِيحُ الْوَجْهِ، مَمْتَنُّ الرِّيحِ، لَا مَالٌ لِي، فَإِنْ قَاتَلْتَ هَؤُلَاءِ حَتَّى أَقْتُلَ، أَدْخَلَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَتَقَدَّمَ، فَقَاتَلَ حَتَّى قَتَلَ، فَأَتَى عَلَيْهِ

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٤، ص ٢٩٢؛ الصالحى: الإمام محمد بن يوسف الصالحى الشامى، سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد، (تحقيق: مصطفى عبد الواحد، د. ط، القاهرة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م)، ج ٥، ص ٢٠١ - ٢٠٢؛ ابن القيم: الإمام شمس الدين أبى عبيد الله محمد بن أبى بكر الزرعى الدمشقى، زاد المعاد فى هدى خير العباد (تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عبد القادر الأرنؤوط، ط ٤، دار الرسالة، بيروت، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م)، ج ٣، ص ٣٢٣ - ٣٢٤؛ ابن سيد الناس: عيون الأثر فى المغازى والسير ص ٣٣٢.

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو مقتول فقال: لقد أحسن الله وجهك، وطيب ريحك، وكثر مالك. ثم قال: لقد رأيت زوجته من الحور العين نازعته جبة له من صوف، تدخل بينه وبين جبته»^(١).

إنها قصة صغيرة لكنها على وجازتها تحمل من المعاني العميقة والدروس البليغة ما يحملنا على التوقف عندها، إذ تطالعنا فيها صورة الداعية الصادق المؤثر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي تنفذ كلماته إلى عقول وقلوب سامعيه، فتغير أفكارها وتبدل مشاعرها، وهكذا يكون تأثير الداعية قوياً وسريعاً إذا كان هو على خلق حسن، وقناعة تامة، وثقة كبيرة بما يدعو إليه.

لقد عرض رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعوته على ذاك الراعي عرضاً واضحاً لا لبس فيه ولا غموض، ولا تزييف فيه ولا إغراء، فلم يعده بمال، ولم يغيره بدنيا بل وعده بالجنة، وما أعظمه من وعد وما أجلها من ثمرة، لمن يعرف قيمتها وقيمة الحياة الدنيا الفانية، ولذلك كان الفوز الحقيقي بحسن الخاتمة والموت على الإيمان.

(١) الحاكم: الإمام أبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين: (تعليق: أبي عبدالله عبدالسلام بن محمد بن عمر علوش، د ط، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م)، ج ٢، ص ١٠٣، ح (٢٤٦٣)، صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

هذا الإيمان القوي الذي خالطت بشاشته شغاف القلب، فظهر أثره بسرعة في سلوك صاحبه استقامة وأمانة، فلقد كان حريصاً على أداء الأمانة التي تركت بين يديه، فدلّه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على وسيلة يؤدي فيها أمانته.

لقد جعل هذا الإيمان الصادق، الرجل المسكين، جندياً فداًئياً، يلقي بنفسه في ميدان الجهاد والقتال في سبيل الله، وليكون شهيداً في تلك المعركة التي حثهم على خوضها رسول الله -عليه الصلاة والسلام-.

ولقد كان لحسن حوار النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع أسلم الحبشي وتواضعه معه وإجابته على أسئلته وتلطفه أثر في انشراح قلبه ودخوله في الإسلام^(١).



(١) مجلة نداء الإيمان، وقف لوجه الله تعالى، قصة الراعي الأسود في غزوة خيبر، برعاية المجموعة الوطنية للتقنية، الشبكة العنكبوتية •

٨ - إسلام ضمام بن ثعلبة السعدي^(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

أرسلت بنو سعد بن بكر وافداً عنهم إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجاء ضمام إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسأل عنه وهو في وسط الصحابة، واستفصل منه عن شرائع الإسلام، وأخبره رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بها ودخل الإيمان قلبه، فأسلم من حينه، وخرج من عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعدما حمل الإسلام في صدره بحماس، وانطلق من لحظته إلى قومه داعياً إلى الله، ومن بركته لما وصل إلى قومه بادرهم بالدعوة إلى دينه الجديد، ونبذ الأصنام والأوثان، حتى أسلم جميع من في حضره من الرجال والنساء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وخرجه جاء في صحيح البخاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (بينما نحن جلوس مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المسجد، دخل رجل على جمل فأناخه في المسجد، ثم عَقَلَهُ، ثم قال لهم: أيكم محمد؟ والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَكِيٌّ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ، فقلنا: هذا الرَّجُلُ الْأَبْيَضُ الْمُتَكِيُّ، فقال له الرَّجُلُ: ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فقال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « قَدْ أَجَبْتُكَ » فقال الرَّجُلُ للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إني

(١) هو ضمام ابن ثعلبة السعدي من بني سعد بن بكر، ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ص ٣٧٩؛ ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٢، ص ٤٧٣؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٣، ص ٤٠٢.

سائلك فمشدد عليك في المسألة، فلا تجد عليّ في نفسك فقال: « سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ، فقال: أَسْأَلُكَ بِرَبِّكَ وَرَبِّ مِنْ قَبْلِكَ، اللَّهُ أَرْسَلَكَ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ؟ فقال: اللَّهُمَّ نعم. قال: أُنْشِدُكَ بِاللَّهِ، اللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ نُصَلِّيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ؟. قال: اللَّهُمَّ نعم، قال: أُنْشِدُكَ بِاللَّهِ اللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ نَصُومَ هَذَا الشَّهْرَ مِنَ السَّنَةِ؟ قال: اللَّهُمَّ نعم، قال: أُنْشِدُكَ بِاللَّهِ، اللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تَأْخُذَ هَذِهِ الصَّدَقَةَ مِنْ أَغْنِيَانَا فَتَقْسِمَهَا عَلَى فُقَرَائِنَا؟ فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللَّهُمَّ نعم، فقال الرجل: آمَنْتَ بِمَا جِئْتُ بِهِ، وأنا رسول من ورائي من قومي، وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر^(١).

من خلال قصة ضمام بن ثعلبة تتضح لنا كمال أخلاق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي كان لها الأثر المباشر في إسلامه ودعوته لقومه.

إن من سمات الشخصية النبوية العظيمة الاندماج الكامل الذي كان يعيشه مع أصحابه؛ بحيث كان الداخل عليهم لا يميزه من بينهم

(١) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب العلم، باب القراءة والعرض على المحدث، ج ١، ص ٣٧، ح (٦٣)؛ ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٢، ص ٥٧٤؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٢٢٨؛ القسطلاني: أحمد بن محمد القسطلاني، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، (تحقيق: صالح أحمد الشامي، ط ٢، المكتب الإسلامي، بيروت) ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، ج ٢، ص ١٩٨؛ ابن سيد الناس: عيون الأثر في المغازي والسير ص ٤٠٣؛ مهدي رزق الله أحمد: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، (ط ٣، دار إمام الدعوة، الرياض، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م)، ص ٦٢٥.

(أيكم ابن عبدالمطلب) فلم يكن في لباسه شهرة، وليس في حالة تميز، ولذا نهاهم أن يقوموا حوله كما تقوم الأعاجم، متباعدًا عن حال أهل التكبر والتعاضم، وبهذا القرب من أصحابه والاندماج معهم صحح تصوراتهم وسلوكهم واستكن حبه في سويداء قلوبهم.

وكان قدوم ضمام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد أن فتحت مكة، ودخل الناس في دين الله أفواجًا، ودانت لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكثر نواحي الجزيرة، ومع ذلك خاطب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه المخاطبة وناشده هذه المناشدة، وشدد عليه في المسألة ذلك التشديد، ومع ذلك كله استوعب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعظمة خلقه هذه الثقة في شخصيته والجرأة في خطابه؛ لينطلق هذا الأعرابي بين يديه على سجيته، متباعدًا عما تنبيء عنه طبيعته من التواضع والتملق، فكانت قيم الرجال محفوظة بين يديه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا تنتقص بالإذلال ولا تهشم بالتحقير، إنما كانوا يقفون بين يديه أعزة، وينقلبون منه أكثر اعتزازًا ووثوقًا ولو كان فظًا غليظ القلب لانفضوا من حوله.

ولم يكن إيمان ضمام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ برسالة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمجرد أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل إقسامه عليه بذلك، إذ قد يقال: إن من كذب في ادّعاء أمر لن يتورع عن الحلف عليه، ولكن هذا القسم النبوي جاء مؤكدًا لدلائل متضافرة على صدق النبوة تواردت على ضمام منها:

- معرفته بمضامين دعوة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكان هو الذي يعرض على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شرائع الدين كلها كما بلغتها رسل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويكتفي من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتصديق ذلك، ففيما دعا إليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دليل على صدق رسالته.

كما أن رؤيته للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دليل آخر، فقد كان محياه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محيًّا الصادق، كما قال عبدالله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فلما رأيت وجهه، واستبنته علمت أن وجهه ليس بوجه كذاب.

وأيضاً شهرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أحياء العرب بصدق الحديث دليل آخر، فلذلك استحلفه، وهو يعلم أنه لم يكن ليصدق في حديث الناس، ويكذب على الله، فصدق حينئذ الدلائل كلها، وهو الصادق المصدوق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١).



(١) الطبري عبد الوهاب ناصر ، قصص نبوية، (ط٢)، الإسلام اليوم، الرياض،

١٤٣١هـ-٢٠١٠م)، ص ٢٥٧.

٩- إسلام الجارود بن عمر العبدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١)

قدم الجارود المدينة في وفد عبدالقيس الثاني، وسرّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإسلامه، ولما انتهى إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلمه فعرض عليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الإسلام ودعاه إليه ورغبه فيه فقال: يا محمد إني قد كنت على دين وإني تارك ديني لدينك، أفتضمن لي ديني؟ قال: فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: نعم أنا ضامن أن قد هداك الله إلى ما هو خير منه قال: فأسلم وأسلم أصحابه، ثم سأل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحملان فقال: والله ما عندي ما أحملكم عليه. قال: يا رسول الله فإن بيننا وبين بلادنا ضوال من ضوال الناس

(١) الجارود بن المعلي بن حنش من بني جذيمة، وكان سيداً في عبدالقيس رئيساً، وفد على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سنة عشر، وكان نصرانياً فأسلم وحسن إسلامه، ويقال إن اسم الجارود: بشر بن عمرو، وإنما قيل له الجارود؛ لأنه أغار في الجاهلية على بكر بن وائل فأصابهم فجردهم، وقد ذكر ذلك المفضل العبدي في شعره فقال: ودسناهم بالخيّل من كل جانب كما جرد الجارود بكر بن وائل فغلب عليه الجارود وعرف به، وقتل بأرض فارس بعقبة الطين فسميت بعقبة الجارود، وقيل: استشهد بنهاوند، وقيل: بقي إلى خلافة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. انظر: ابن عبدالبر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص ١٥٨؛ ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ١، ص ٢٩٨؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ١، ص ٣٨٧.

أفتبلغ عليها إلى بلادنا؟ فقال: لا، إياك، وإياها، فإنما تلك حرق النار^(١).

وكان حسن الإسلام صلباً على دينه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ونتأمل في الجارود وحرصه على أن يصل إلى الحق وتأثره بشخص النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وثقته به فيسأله: أضمن لي أي على الحق إذا أسلمت؟ ويطمئنه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويعطيه الأمان والضمان الذي انعكس على تصرف الجارود بإعلان إسلامه على الفور، فقد أظهر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في خطابه مع الجارود حرصه على إرشاده لطريق الحق والفلاح وقد كان الجارود نصرانياً أي أنه على دين سماوي، فأخبر الرسول بأنه سترك دينه لدين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهل يضمن له الرسول ذلك الدين؟ فأجابه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (بنعم) أنا ضامن أن قد هداك الله إلى ما هو خير منه، وبالفعل كانت نتيجة هذا الخطاب والحوار أن أسلم الجارود وأصحابه.

فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتسم بطريقة الحوار الهاديء، وحسن الخطاب لإقناع الجارود لطريق الحق والصواب، مستخدماً أسلوب الاطمئنان في الحوار ليشعر الطرف الآخر بالأريحية من خلال حرصه

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٢، ص ٥٦٧؛ السهيلي: الروض الأنف، ج ٤، ص ٣٥٤؛

ابن سيد الناس: عيون الأثر في المغازي والسير، ص ٤٠٤؛ الصالحى: سبل الهدى

والرشاد في سيرة خير العباد، ج ٦، ص ٤٦٥.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي إِرْشَادِهِ إِلَى طَرِيقِ الْخَيْرِ وَالسَّلَامَةِ وَتَرْغِيهِ فِيهَا، فَمَا
أَحْلَمَكَ وَالْطَّفَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فِي حِرْصِكَ عَلَى هِدَايَةِ الْخَلْقِ لِإِيصَاهُمْ
إِلَى بَرِّ الْأَمَانِ وَالنَّجَاةِ.



١٠- إسلام عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١)

بعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علياً في مئة وخمسين رجلاً من بينهم خمسون فارساً، إلى ديار طيء لهدم صنم بها يقال له (الفلس) وكان معهم راية سوداء، ولواء أبيض، ولما انتهوا إلى ديار طيء شنوا الغارة على محلة آل حاتم الطائي فتمكنوا من هدم الصنم، ومن أخذ سبي وشاء ونعم، أما عدي فقد فرَّ إلى الشام بمجرد أن سمع ببعث السرية إلى دياره^(٢).

قال ابن إسحاق: وأما عدي بن حاتم فكان يقول، فيما بلغني: ما من رجل من العرب كان أشدَّ كراهيةً لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين سمع به مني، أمّا أنا فكنت امرءاً شريفاً وكنت نصرانياً، وكنت أسير

(١) هو عدي بن حاتم بن عبدالله بن سعد بن الحشرج ابن امرئ القيس بن عدي ابن أخزم بن أبي أخزم بن ربيعة بن جرول ابن ثقل بن عمرو بن الغوث بن طيء الطائي، وأبوه حاتم، هو الجواد الموصوف بالجود، الذي يضرب به المثل يكنى عدي وأبا طريف، وقيل: أبو وهب. ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص ٥١٣-٥١٤؛ ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٣، ص ٢٣٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٤، ص ٢٨١.

(٢) السهيلي: الروض الآنف، ج ٤، ص ٣٦١، الجزائري: أبي بكر جابر الجزائري، هذا الحبيب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يا محب، (د.ط، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، ص ٢٨٦.

في قومي بالمرباع^(١)، فكنت في نفسي على دين، وكنت ملكاً في قومي، لما كان يصنع بي، فلما سمعت برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَرِهْتُهُ، فقلت لغلام كان لي عربي وكان راعياً لإبلي: لا أبالك، أعدْ لي من إبلي أجماً لا ذلاً^(٢) سماناً فاحتبسها قريباً مني، فإذا سمعت بجيش لمحمد قد وطئ هذه البلاد فاذني، ففعل، ثم إنه أتاني ذات غداة، فقال: يا عدي، ما كنتُ صانعاً إذا غشيتك خيل محمد، فاصنعه الآن، فإني قد رأيتُ رآيات، فسألت عنها، فقالوا: هذه جيوشُ محمد. قال: فقلتُ: فقرب إليَّ أجمالي فقربها، فاحتملتُ بأهلي وولدي، ثم قلتُ: الحقُّ بأهل ديني من النصارى بالشام، فسلكت الجوشية^(٣) وخلفت بنتاً لحاتم في الحاضر^(٤)، فلما قدمت الشام أقمت بها وتخالفتني خيل لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتصيب ابنة حاتم، فيمن أصابت، فقدم بها على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سبايا من طيء، وقد بلغ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هربي إلى الشام، قال فجعلت بنت حاتم في حظيرة^(٥) بباب المسجد،

(١) المرباع: أي أخذ الربع من الغنائم، لأنني سيدهم. ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٤، ص ٤٨٨.

(٢) ذلاً: جمع ذلول، وهو الجمل السهل الذي قد ريض. المصدر نفسه، ج ٤، ص ٤٨٩.

(٣) الجوشية: جبل للضباب قرب ضرية، جنوب غرب القصيم من أرض نجد. ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٤، ص ٤٨٩.

(٤) بنت حاتم هذه: هي سفانة كما رجحه السهيلي، إذ لا يعرف له بنت غيرها، والحاضر: الحي. ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٤، ص ٤٨٩.

(٥) الحظيرة: شبيهة بالزرب الذي يصنع للإبل والغنم ليكفها. المصدر نفسه، ج ٤، ص ٤٨٩.

كانت السبايا يُحبسن فيها، فمر بها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقامت إليه، وكانت امرأةً جزلةً، فقالت: يا رسول الله، هلك الوالدُ وغابَ الوافدُ^(١) فامننْ عليَّ من الله عليك. قال: ومن وافدك؟ قالت: عدي بن حاتم، قال: الفارّ من الله ورسوله قالت: ثم مضى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتركني، حتى إذا كان من الغد مرّ بي، فقلت له مثل ذلك، وقال لي مثل ما قال بالأمس، قالت: حتى إذا كان بعد الغد مرّ بي وقد يئستُ منه فأشار إليّ رجلٌ من خلفه أن قومي فكلميه؛ قالت: فقمتم إليه، فقلت: يا رسول الله، هلك الوالد، وغابَ الوافدُ، فامننْ عليّ من الله عليك؛ فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « قد فعلتُ فلا تعجلي بخروج حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقة، حتى يبلغك إلى بلادك، ثم أذنيني » فسالت عن الرجل والذي أشار إليّ أن أكلمه، فقبل لي: علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالت: فأقمت حتى قدم من ركب يليّ أو قضاة، قالت: وإنما أريد أن أتي أخي بالشام قالت: فجئت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقلت: يا رسول الله، قد قدم رهط من قومي، لي فيهم ثقة وبلاغ. قالت: فكساني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحلني، وأعطاني نفقة، فخرجت معهم حتى قدمت الشام: قال عدي فوالله إني لقاعد في أهلي، إذ نظرت إلى طعينة^(٢) تصوبُ^(١) إلى تؤمنا، قال: فقلت: ابنة

(١) الوافد: الزائر. المصدر نفسه، ج ٤، ص ٤٨٩.

(٢) الطعينة: المرأة في هودجها، وقد تسمى طعينة وإن لم تكن فيه. المصدر نفسه، ج ٤،

حاتم، قال: فإذا هي هي، فلما وقفت عليّ انسحلت^(٢) تقول: القاطع الظالم، احتملت بأهلك وولدك، وتركت بقية والدك عورتك قال: قلت: أي أخت لا تقولي إلا خيراً، فوالله مالي من عذر، لقد صنعت ما ذكرت، قال: ثم نزلت فأقامت عندي، فقلت لها: وكانت امرأة حازمة، ماذا ترين في أمر هذا الرجل؟ قالت: أرى والله أن تلحق به سريعاً، فإن يكن الرجل نبياً فللسابق إليه فضله، وإن يكن ملكاً فلن تذل في عزّ اليمّن وأنت أنت. قال: قلت: والله إن هذا الرأي. قال: فخرجت حتى أقدم على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة فدخلت عليه وهو في مسجده فسلمت عليه، فقال: من الرجل؟ فقلت: عدي بن حاتم، فقام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فانطلق بي إلى بيته، فوالله لعامد بي إليه، إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة فاستوقفته، فوقف لها طويلاً تكلمه في حاجتها، قال: قلت في نفسي: والله ما هذا بملك، قال: ثم مضى بي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى إذا دخل بي بيته تناول وِسَادَةً من أَدَمٍ مَحْشُوءَةً ليفاً، فقدفها إليّ، فقال: « اجلس على هذه » قال: قلت: بل أنت فاجلس عليها. فقال: بل أنت، فجلست عليها، وجلس رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالأرض، قال: قلت في نفسي: والله ما هذا بأمر ملك، ثم

(١) تصوب إلى: تقصد وتؤم. المصدر نفسه، ج ٤، ص ٤٩٠.

(٢) انسحلت: أخذت في اللوم ومضت فيه مجدة. انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٤،

ص ٤٩٠.

قال: إيه يا عدي بن حاتم ألم تكن ركوسياً^(١)، قال: قلت: بلى، قال: أو لم تكن تسير في قومك بالمرباع؟ قال: قلت: بلى، قال: فإن ذلك لم يكن يحل لك في دينك؟ قال: قلت: أجل والله. قال: وعرفت أنه نبي مرسل يعلم ما يُجْهَل ثم قال: لعلك يا عدي إنما يمنعك من دخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم، فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم، فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من الحيرة على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم، وأيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم.

قال: فأسلمت. وكان عدي يقول: مضت اثنتان وبقيت الثالثة، والله لتكونن وقد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت، ورأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تحج هذا البيت، وأيم الله لتكونن الثالث ليفيطن المال حتى لا يوجد من يأخذه^(٢).

(١) ركوسياً: الركوسي من الركوسية، وهم قوم لهم دين بين دين النصارى والصابئين. المصدر نفسه، ج ٤، ص ٤٩٠.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٤، ص ٤٨٨-٤٩١؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٢٤٤؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٣، ص ٦٤؛ السهيلي: الروض الآنف، ج ٤، ص ٣٦١؛ الصالحى: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ج ٦، ص ٥٧٧-٥٧٨؛ ابن سيد الناس: عيون الأثر في المغازي والسير، ص ٤١٤.

لَمَّا عَرَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ ضَيْفَهُ عَدِي قَامَ مِنَ الْمَسْجِدِ
وَأَخَذَهُ إِلَى بَيْتِهِ.. هَلْ أَرَادَ بِذَلِكَ أَنْ يَشْعُرَهُ بِإِكْرَامٍ خَاصٍّ؟

-هَلْ أَرَادَ أَنْ يَرَى عَدِيًّا بَيْتَهُ الزَّاهِدَ لِيَعْرِفَ أَنَّهُ لَيْسَ مُلْكًا وَلَا
طَالِبَ دُنْيَا؟

-هَلْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ نَقْدُهُ لِعَدِي نَجْوَى وَلَيْسَ عَلَى الْمَلَأِ حَتَّى لَا
يُخْرِجَهُ..؟

كُلُّ هَذَا مُمْكِنٌ.. وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ مَاهِرًا فِي مَعْرِفَةِ
النَّفُوسِ وَكَيْفِ تَوْتِي...

وَفِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ يَقِفُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ الْمَرْأَةِ الْعَجُوزِ لِيَنْظُرَ
فِي حَاجَتِهَا كَدَّابَهُ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي الْقِيَامِ بِحَاجَاتِ النَّاسِ.. فَكَيْفَ
وَهِيَ امْرَأَةٌ كَبِيرَةٌ وَضَعِيفَةٌ..؟

وَيَنْتَبِهَ عَدِي.. وَلَيْسَ هَذَا مِنْ صِفَاتِ الْمُلُوكِ وَلَا مِنْ سُلُوكِهِمْ..
وَيَدْخُلُ الْبَيْتَ دَهْشًا فَمَا فِيهِ مَا يَرِدُ الْعَيْنَ أَوْ يَسْتَهْوِيهَا... اللَّهُمَّ
إِلَّا وَسَادَةً مِنْ أَدَمٍ يُوَثِّرُهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَا عَلَى نَفْسِهِ.. وَيَجْلِسُ هُوَ
عَلَى الْأَرْضِ.. مَاذَا حَلَّ بِكَ يَا عَدِي وَأَنْتَ تَرَى هَذَا التَّوَاضُعَ وَالزَّهْدَ

مع الحرص على إكرام الضيف؟ أين الملوك من هذا الرجل العظيم..؟! إنها الأخلاق المحمدية الكريمة التي لها أثر فعال في انجذاب النفوس لها وإحساسها بالأمان الذي كان منتهاه إسلام عدي بن حاتم بعد بغض ونفور شديد إلى محبة وإجلال وتقدير وتصديق بالحق والنور المبين^(١).



(١) اللحام: حنان، هدي السيرة النبوية في التغيير الاجتماعي، ص ٦٧٣.

**١١- إسلام بعض من أرسل إليهم رسول الله ﷺ
من الملوك والأمراء (النجاشي : ملك البحرين - عمان - اليمن)**

*** رسائل النبي ﷺ إلى الملوك والأمراء:**

أنزل الله تعالى الإسلام ديناً للناس أجمعين، وجعل تبليغه والدعوة إليه من أفضل الأعمال، يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣٣) (١).

واختار الله محمداً ﷺ لحمل أعظم دعوة، وأنقى هدى، وأجمع رسالة، وأدوم تنزيل، وأبقى شرعة، وأمره بتبليغ هذا الدين، قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدْيَنُ (١) قُرْآنِذِرٌ (٢)﴾ (٢) ثم توالى الأمر بالتبليغ في آيات كثيرة، قال الله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَيْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ لِأُنْذِرْكُمْ بِهِ، وَمَنْ بَلَغَ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (٤) (٦٧).

(١) سورة فصلت، آية: ٣٣.

(٢) سورة المدثر، الآيات: ١-٢.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١٩.

(٤) سورة المائدة، آية: ٦٧.

وأمره تعالى أن يعلم الناس أنه رسول الله إليهم جميعاً: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾^(١)، يقول الإمام ابن كثير رحمته الله: « وهذا خطاب للأحر والأسود، والعربي والعجمي »^(٢).

فاتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم مختلف الوسائل لنشر هذا الدين، وتبليغه للناس أجمعين، ومن ذلك مراسلة الملوك والأمراء، لتصل دعوة الإسلام إلى جميع أنحاء الأرض.

وقد أتاح صلح الحديبية^(٣) الفرصة لتوسع نطاق الدعوة إلى الإسلام داخل الجزيرة العربية وخارجها فكانت مراسلة الملوك

(١) سورة الأعراف، آية: ١٨٥.

(٢) ابن كثير: أبي الفداء إسماعيل ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (تحقيق: عبدالرزاق مهدي، د. ط، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م)، ج ٢، ص ٢٥٤.

(٣) الحديبية: -بضم الحاء وفتح الدال وياء ساكنة وياء موحدة مكسورة وياء- اختلفوا فيها فمنهم من شددوها ومنهم من خففها، وهي قرية متوسطة، سميت ببئر هناك عند الشجرة التي بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه تحتها، وتقع عند أعلام مكة الغربية على طريق مكة جدة القديم، على بعد ٢٢ كلم غرب المسجد الحرام، ويعرف اليوم باسم الشميسي، بها مقلع حجارة ذات لون أصفر، بني بها المسجد الحرام في العصر العثماني، عرفت باسم الأحجار الشميسية. ناصر الحارثي، المعجم الأثري لمنطقة مكة المكرمة، ص ٥١؛ انظر: ياقوت الحموي، الإمام شهاب الدين أبي عبيد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، باب الحاء والدال وما يليها) ط ٨، دار صادر، بيروت، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م)، ج ٢، ص ١٦٢.

والأمراء، يقول أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: « إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتب إلى كسرى، وإلى قيصر، وإلى النجاشي^(١)، وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى »^(٢).

ولاشك أن رسائل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الملوك والأمراء خارج جزيرة العرب تعبير عملي عن عالمية الرسالة الإسلامية.

واستخدم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الوسائل المعينة لنجاح هذه الرسائل، فاتخذ لنفسه خاتماً من فضة نقش عليه محمد رسول الله، واختار خيرة أصحابه وأهلهم للقيام بأمانة حمل رسائله.

فسلك في دعوته أقوم سبيل وأقربها إلى حمل الإسلام إلى الناس جميعاً، فتجلت في رسائله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدقة، وإصابة الهدف مع

(١) النجاشي ملك الحبشة: أصحمة، أسلم في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأحسن إلى المسلمين الذين هاجروا إلى أرضه، وأخبره معهم ومع كفار قريش الذين طلبوا منه أن يسلم إليهم المسلمين مشهورة، وتوفي ببلاده قبل فتح مكة، وصلى عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمدينة، وكبر عليه أربعاً. وأصحمة اسمه، والنجاشي لقب له والملوك الحبشة، مثل: كسرى للفرس، وقيصر للروم. ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج ١، ص ١٣٥؛ ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ١، ص ٢٥٢؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١، ص ٤٢٨.

(٢) النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله ﷻ، ج ١٢، ص ٣٢٩ ح (٤٥٨٥).

الإيجاز والوضوح وحسن الخطاب واللفظ مع المدعويين، وبلغت حدًّا من الفقه والفصاحة يستحق الذكر والإشارة.

ولمَّا لهذه الوسيلة الدعوية من أهمية، وما لقيته من اهتمام بالغ، وما اشتملت عليه من القول الطيب والوعظ الحسن، وما ترتب عليها من آثار دعوية عظيمة، تمثلت في إسلام بعض هؤلاء الملوك والأمراء يجدر بي في هذا المقام ذكر نماذج من رسائل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما احتوته من حسن الحوار والخطاب مع المدعويين الذي كان له أثر فعال في إسلامهم وإسلام من خلفهم من شعوبهم.

ورسائل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الملوك والأمراء كانت داخل الجزيرة العربية وخارجها، وقد أسلم بعض هؤلاء الملوك دون تردد، واستجابوا لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشكل سريع، منهم: المنذر بن ساوى^(١) ملك البحرين، والنجاشي ملك الحبشة.

أ) إسلام النجاشي ملك الحبشة:

الحبشة: هي أرض تقع على الساحل الغربي من بحر القلزم (البحر الأحمر)، من جهة الجنوب، وكانت سوقاً رائجة لقريش تتاجر

(١) المنذر بن ساوى: بن عبدالله بن زيد بن عبدالله بن دارم التميمي الدارمي، صاحب البحرين، كان عامل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على البحرين، وقيل: هو من عبد القيس. ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٥، ص ٢٥٥؛ ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٦، ص ١٦٩.

فيها. وسكان الحبشة يطلق عليهم الحبش والحبشة، وهم من ولد حام بن نوح عليه السلام^(١).

وقد كانت الحبشة مسيطرة على التجارة في المناطق المحيطة بها وإفريقيا، فالعلاقات بين شبه الجزيرة العربية والحبشة قديمة ووثيقة، وكان لتدخل الأحباش في المسائل الداخلية لشبه الجزيرة العربية خاصة في اليمن آثاره على حياة العرب السياسية والثقافية، ومن خلال هذا الاتصال الوثيق عرفهم العرب مستعمرين، وتعلموا كثيراً من عاداتهم^(٢).

وقد جاء الأمر من النبي صلى الله عليه وسلم بترك الحبشة مدة تركهم للمسلمين، فعن عبدالله بن عمرو^(٣) رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ص ٢٠٥.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٦؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ص ٥٦٦.

(٣) هو عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي السهمي، القرشي رضي الله عنه الزاهد العابد الصحابي ابن الصحابي، وكان أكثر الناس أخذاً للعلم والحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سكن مصر وشهد مع أبيه فتح الشام، وكان معه راية أبيه يوم اليرموك، توفي سنة ثلاث وستين وقيل خمس وستين بمكة، وكان عمره ثنتين وسبعين سنة، ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٣، ص ٣٥٦؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٤، ص ٨١١.

قال: اتركوا الحبشة ما تركوكم فإنه لا يستخرج كنز الكعبة إلا ذو السويقتين^(١) من الحبشة^(٢).

وذلك لما يخاف من شرهم المشار إليه بقوله: « فإنه لا يستخرج كنز الكعبة » أي: المال المدفون فيها، إلا عبد حبشي لقبه ذو السويقتين، وقيل لأن بلاد الحبشة وعرة، وبين المسلمين وبينهم مفاوز وقفار وبحار، فلم يُكَلَّف المسلمون بدخول ديارهم لكثرة التعب فيها. والنجاشي: لقب لكل من ملك الحبشة في العصور القديمة^(٣).

والروايات تتحدث عن ملكين من ملوك الحبشة.

(١) بالتصغير ثنية سويقة أي هو دقيقها جداً، والحبشة وإن كان شأنهم دقة السوق لكن هذا متميز بمزيد من ذلك يعرف به. العلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود (تحقيق: عبدالرحمن محمد عثمان، د. ط، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، دت)، ج ١١، ص ٢٨٥.

(٢) الإمام أحمد: أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، (ط ١)، دار الرسالة، بيروت، ١٤٢٩-٢٠٠٨)، ج ٥، ص ٣٧١ ح (٢٣٢٠٣)؛ أبو داود: سليمان بن الأشعث الأزدي، سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب: النهي عن تهيج الحبشة، ج ٤، ص ١١٤، ح (٤٣٠٩).

(٣) يقال كسرى لمن ملك الفرس، وقيصر لمن ملك الروم، وفرعون لمن ملك مصر كافراً، والنجاشي لمن ملك الحبشة وغير ذلك من أعلام الأجناس. ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج ٣، ص ٥٣٠؛ النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، كتاب الجهاد والسير، باب كتب النبي ﷺ إلى ملوك الكفار يدعوهم للإسلام، ج ١٢، ص ٣٣٠، ح (٤٥٨٥)؛ السهيلي: الروض الأنف، ج ١، ص ٢٠٤.

أولهما: قبل البعثة، ويطلقون عليه اسم (أبحر).
والثاني: عاصر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويسمى أَصْحَمَةً^(١) بن
أبحر، وقيل ابن بجر.

(وأصحمة) بالعربية تعني: (عطية) كان عبداً صالحاً ليماً ذكياً،
وكان عادلاً عالماً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ توفي سنة تسع من الهجرة^(٢).
واختلف في النجاشي الذي أرسل إليه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
رسالته:

القول الأول: أن النجاشي الذي آمن بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وصلى عليه لما مات هو الذي أرسل إليه رسالته، يدعوه فيها إلى
الإسلام. قاله الواقدي^(٣).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: نعى

(١) بفتح الهمزة وفتح الحاء والميم، وهو الذي وقع في صحيح الإمام البخاري، كتاب
الجنائز، باب التكبير على الجنائز أربعاً، ج ١، ص ٤٤٧، ح (١٢٦٩)، مسلم: صحيح
مسلم، كتاب الجنائز، باب في التكبير على الجنائز ج ٢، ص ٦٥٧، ح (٩٥٢)، من
حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ج ٢، ص ٦٧٩؛ ابن القيم، زاد المعاد، ج ٣،
ص ٦٩٠.

(٣) ابن كثير: أبو الفداء، الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: أحمد جاد، د ط، دار
الحديث، القاهرة، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م، ج ٣، ص ٥٢٤.

النجاشي في اليوم الذي مات فيه، وخرج بهم إلى المصلى، فصف بهم، وكبر أربع تكبيرات^(١).

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قد توفي اليوم رجل صالح من الحبش فهلهم، فصلوا عليه، قال: فصفنا فصلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونحن صفوف»^(٢).

القول الثاني: أن النجاشي الذي أسلم ليس هو النجاشي الذي كتب إليه يدعو للإسلام فهما اثنان، وقد جاء ذلك مبيناً في صحيح الإمام مسلم: «أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتب إلى النجاشي، وليس بالذي صلى عليه»^(٣).

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "راداً على القول الأول: وهذا وهم والله أعلم، فقد خلط راوية، ولم يميز بين النجاشي الذي صلى عليه،

(١) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب الجنائز، باب الرجل ينعي إلى أهل الميت بنفسه، ج ١، ص ٤٢٠ ح (١١٨٨)؛ ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، د. ط، دار إحياء الكتب العربية) كتاب الجنائز، باب ما جاء في الصلاة على قبر النجاشي، ج ١، ص ٤٩٠، ح (١٥٣٤).

(٢) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الجنائز، باب الصفوف على الجنازة، ج ١، ص ٥١٤، ح (١٣٢٠).

(٣) النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، كتاب الجهاد والسير، باب كتب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى ملوك الكفرة يدعوهم إلى الله تَعَالَى، ج ١٢، ص ٣٢٩، ح (٤٥٨٥).

وهو الذي آمن به وأكرم أصحابه، وبين النجاشي الذي كتب إليه يدعوه، فهما اثنان^(١).

ورواية ابن إسحاق والواقدي لا تقف أمام تصريح رواية مسلم في صحيحه بأن الذي أرسل إليه الكتاب غير الذي صلى عليه، والعلم عند الله^(٢).

وحامل الرسالة هو عمرو بن أمية الضمري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

من الروايات الواردة في رسالة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى النجاشي (ملك الحبشة):

(١) عن ابن إسحاق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذا كتاب من النبي إلى النجاشي:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا كتاب محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم عظيم الحبشة. سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لم يتخذ صاحبة ولا ولداً وأن محمداً عبده ورسوله، أدعوك بدعاء الله، فإني أنا رسول الله، فأسلم تسلم ﴿قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ

(١) ابن القيم: زاد المعاد في هدي خير العباد، ج ٣، ص ٦٩٠.

(٢) الشنقيطي: محمد بن سيدي بن الحبيب، منهج الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في دعوة أهل الكتاب، (د ط، مكتبة أمين محمد أحمد سالم)، ج ١، ص ٢٢٥.

بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴿٦٤﴾ [آل عمران: ٦٤]، فَإِنْ أُبَيِّتَ
فَعَلَيْكَ إِثْمُ النَّصَارَى^(١).

٢) عن ابن إسحاق رحمه الله قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي في شأن جعفر بن أبي طالب وأصحابه، وكتب معه كتاباً:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم ملك الحبشة، سلام على من اتبع الهدى.

أما بعد:

فإني أحمد إليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته، ألقاها على مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعتسى، فخلقه الله من روحه، ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاتة على طاعته، وأن تتبعني، وتؤمن بالذي جاءني، فإني رسول الله، وقد بعثت إليك ابن عمي جعفرًا ونفراً معه من المسلمين، فإذا جاءك فأقرهم، ودع التجبر، فإني أدعوك وجنودك إلى الله، فقد بلغت ونصحت، فأقبلوا نصحي، والسلام على من اتبع الهدى.

(١) الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ذکر أخبار سید المرسلین وخاتم النبیین، ج ٢، ص ٦٧٩ ح (٤٢٤٤).

فكتب النجاشي إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إلى محمد رسول الله، من النجاشي الأصحم بن أبجر، سلام عليك يا نبي الله ورحمة الله وبركاته من الله الذي لا إله إلا هو، الذي هداني إلى الإسلام، أما بعد، فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى، فورب السماء والأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت ثفروقا^(١)، إنه كما قلت، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا، وقد قربنا ابن عمك وأصاحبه، فأشهد أنك رسول الله صادقاً مصداقاً، وقد بايعتك ومبايعت ابن عمك، وأسلمت على يديه لله رب العالمين^(٢).

(ب) رسالة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المنذر بن ساوى صاحب البحرين:

الْبَحْرَيْن^(٣): اسم جامع لبلاد على ساحل الخليج العربي بين

(١) الثفروق: قمع: البسرة والتمرة، وقيل: الثفروق هو ما يلزق به القمع من التمرة، وقيل: الثفاريق أقماع البسر، والثفروق علاقة ما بين النواة والقمع، وقيل: الثفروق غلاف ما بين النواة والقمع. انظر: ابن منظور: أبي الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب (ط ٣، بيروت، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤)، مادة: ثفروق، ج ١٠، ص ٣٤.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٢، ص ١٢٨ - ١٤٣؛ ابن سيد الناس: عيون الأثر، ج ٢، ص ٣٤٩ - ٣٥٠؛ ابن القيم: زاد المعاد، ج ٣، ص ٥٨٩ - ٦٩٠.

(٣) البحرين: هكذا يتلفظ بها في حال الرفع والنصب والجر، ولم يسمع على لفظ المرفوع من أحد منهم، إلا أن الزمخشري قد حكى: أنه يلفظ بلفظ التثنية، فيقولون: هذه

البصرة^(١) وعمان، وفيها عيون، وبلاد واسعة، وهجر^(٢) قصبته^(٣)،
ويذكر في سبب تسميتها (البحرين) هو وجود بحيرة على باب
الأحساء^(٤).

= البحرين، وانتهينا إلى البحرين، والبحرين هي الأحساء الآن، لا جزيرة البحرين
الحالية، فقد كانت تسمى حينذاك: أوال. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان،
باب الباء والحاء وما يليها، ج ٢، ص ٢٧٥-٢٧٧.

(١) البصرة: البصرة في كلام العرب الغليظة التي فيها حجارة تقلع وتقطع حوافر
الدواب، وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أراد أن يتخذ للمسلمين مصرًا فلما فتحوها كتبوا إليه، إنا
وجدنا بطاسان مكانًا لا بأس به، فكتب إليهم إن بني وبينكم دجلة لا حاجة في
شيء بشيء وبينه دجلة أن تتخذوه مصرًا، وكان تمصير البصرة سنة أربع عشرة قبل
الكوفة بستة أشهر، وبين البصرة والمدينة عشرين مرحلة، والمرحلة هي المسافة
يقطعها السائر في نحو يوم أو ما بين المنزلين) انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي
معجم البلدان، باب الباء والصاد وما يليها، ج ٢، ص ٣٤٠-٣٤٧.

(٢) هجر: بلد معروف بالبحرين، وهي مدينة داخلية بعيدة عن السواحل، كانت عند
ظهور الإسلام قاعدة البحرين، وأهم مدينة في إقليم البحرين، وقيل هجر ناحية
البحرين كلها، وكان بها أحد أكبر الأسواق قبل الإسلام. انظر: الحموي، ياقوت،
معجم البلدان، باب الهاء والجيم وما يليها مادة (هجر)، ج ٨، ص ٤٦٨-٧٣٧.

(٣) قصبته: مدينتها، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبدالقادر، محمد النجار،
المعجم الوسيط، (د ط، المكتبة الإسلامية، تركيا)، ص ٧٣٧.

(٤) الأحساء: جمع حسي، وهو الماء الذي تنشفه الأرض من الرمل، فإذا صار إلى صلابة
أمسكته، فتحفر العرب عند الرمل فتستخرجه، والأحساء مدينة بالبحرين معروفة
مشهورة، كان أول من عمرها وحصنها وجعلها قسبة هجر أبو الطاهر الحسن

=

وكانت أرض البحرين خاضعة لمملكة فارس في وقت البعثة النبوية، وبها خلق كثير من العرب من عبدالقيس، وبكر بن وائل، وتميم، مقيمين في باديتها^(١).

وقد أسلم أهل البحرين من العرب، لما بلغتهم رسالة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصالح الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أهلها من المجوس واليهود، والنصارى على دفع الجزية للمسلمين^(٢).

وكان يحكم البحرين المنذر بن سَآوى العبدي، فأرسل إليه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسالته مع العلاء بن الحضرمي^(٣)، فكتب المنذر

= القرمطي، وهي إلى الآن مدينة مشهورة عامرة. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، باب الهمة والحاء وما يليها، ج ١، ص ٩٧.

(١) البلاذري: أبي العباس أحمد بن يحيى بن جابر، فتوح البلدان (تحقيق: عبدالله أنيس الطباع وعمر أنس الطباع، د ط، بيروت، د ت، ص ١٠٦).

(٢) المصدر نفسه ص ١٠٧.

(٣) العلاء بن الحضرمي: هو عبدالله بن عماد بن سليما بن أكبر، وقيل: عماد بن مالك ابن أكبر، قال الدارقطني: وزعم الأملوكي أنه عبدالله بن عباد فصحف، ولا يختلفون أنه من حضرموت حليف بني أمية، ولاه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ البحرين، وتوفي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو عليها، فأقره أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في خلافته كلها عليها، ثم أقره عمر، وتوفي في خلافة عمر سنة أربع عشرة. وقال الحسن بن عثمان: توفي العلاء بن الحضرمي سنة إحدى وعشرين والياً على البحرين، فاستعمل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مكانه أبا هريرة، وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد بعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن سادي العبدي مالك البحرين، ثم ولاه على البحرين إذ فتحها الله عليه، وهو أول من نقش خاتم الخلافة، وكان

=

إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالإسلام والتصديق، وَرَدَّ رَدًّا حَسَنًا^(١).

ولقد تعددت الروايات الواردة في رسالة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المنذر بن ساوى (صاحب البحرين):

- عن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كتب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المنذر بن ساوى: (من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذاكم المسلم، له ذمة الله وذمة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)^(٢).

- وعن عكرمة قال: وجدت هذا الكتاب في كتب ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بعد موته، فنسخته فإذا فيه: بعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى، وكتب إليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتاباً يدعو به إلى الإسلام، فكتب المنذر إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أما بعد يا رسول الله، فإني قرأت كتابك على

= رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُجَابَ الدعوة، وإنه خاض البحر بكلمات قالها ودعا بها، وذلك مشهور عنه. ابن عبد البر، الإستيعاب في معرفة الأصحاب، ص ١٠٨٦.

(١) انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٤، ص ٥١؛ المقرئ، تقي الدين أحمد بن علي، أمتاع الأسماع بالنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع (تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م)، ج ١، ص ٣٠٨-٣٠٩.

(٢) الطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم، المعجم الكبير، (تحقيق: حميد عبد المجيد السلفي، ط ٢، مكتبة العلوم والحكم، الموصل ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م)، ج ١، ص ١٥٢ ح (١٠٢٩١).

أهل البحرين، فمنهم من أحب الإسلام، وأعجبه، ودخل فيه، ومنهم من كرهه، وبأرضي مجوس ويهود، فأحدث إلي في ذلك أمرك، فكتب إليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من محمد رسول الله إلى المنذر بن سَاوَى سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد: فإني أذكرك الله عَزَّ وَجَلَّ، فإنه من ينصح لي فإنما ينصح لنفسه، وإن من يطع رسلي، ويتبع أمرهم، فقد أطاعني، ومن ينصح لهم، فقد نصح لي، وإن رسلي قد اثنوا عليك خيراً، وإني قد شفعتك في قومك، فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه، وعفوت عن أهل الذنوب، فاقبل منهم، وإنك مهما تصلح فلن نزع لك عن عملك ومن أقام على يهودية، أو مجوسية فعليه الجزية»^(١).

ج- إسلام جيفر وعبد ابني الجلندي^(٢) شيخي عمان.

تقع عمان^(٣) شرقي الجزيرة العربية على خليج عمان، وتشتمل

(١) ابن سيد الناس: عيون الأثر في المغازي والسير، ج ٢، ص ٣٥٢-٣٥٣؛ ابن القيم: زاد المعاد في هدي خير العباد، ج ٣، ص ٦٩٢-٦٩٣؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٢٠٢.

(٢) الجلندي: هو اسم ملك من ملوك عمان. انظر: الزركلي خير الدين، الأعلام (ط ١٥)، دار العلم، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م)، ج ١٠، ص ٦٢.

(٣) عمان: بضم العين وتخفيف الميم. انظر: شرح صحيح الإمام مسلم، النووي، ج ٦،

على بلدان كثيرة ذات نخل وزرع، وقصبة عُمان صَحَار^(١).

والأغلب على سكان عُمان قبائل الأزد^(٢)، وبها من غيرهم بشر كثير في البوادي^(٣)، وقد امتدح الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبائل الأزد قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (نعم القوم الأزد، طيبة أفواههم، برة أيماهم، نقية قلوبهم)^(٤).

وعن أبي بردة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلاً إلى قوم فسبوه وضربوه فجاء إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: (لو أهل عمان أتيت ما سبوك ولا ضربوك)^(٥).

= ص ٩٨، وهي الآن دولة سلطنة عمان المعروفة.

(١) مدينة طيبة الهواء والخيرات والفواكه، كانت مبنية بالآجر والساج، وهي كبيرة ليس في تلك النواحي مثلها. انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، باب الصاد والحاء، ج ٣، ص ١٧٨-١٧٩.

(٢) الأزد: لغة في الأسد تجمع قبائل وعمائر كثيرة في اليمن، وأزد أبو حي من اليمن، وهو أزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن كهلان بن سبأ، وهو أسد بالسين، أفصح يقال: أسد شنوءة وأزد عمان وأزد السراة. انظر: لسان العرب، لابن منظور حرف الدال فصل الهمزة، ج ٣، ص ٧١.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان ١٠٣.

(٤) الإمام أحمد: المسند، باب ما جاء في الأزد، ج ٢، ص ٣٥١ ح (٨٦٠٠)، وإسناده حسن.

(٥) الإمام مسلم: صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ باب فضل أهل عمان، ج ٤، ص ١٩٧١ ح (٢٤٥٥).

وفي هذا الحديث بيان فضل أهل عمان، وأنهم يعاملون رسل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معاملة حسنة تطيب بها نفوسهم.

وكان جيفر وأخوه عبد وقيل: (عباد)^(١) ابني الجلندي الأزديين، يحكمان عمان على عهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجيفر هو الأكبر، والمقدم في السن، والملك ثم أخوه الأصغر عبد، وهو نائبه^(٢).

وقد أسلم جيفر وعبد على يد عمرو بن العاص، وكان عبد أحلم الرجلين وأسهلها خلقاً، ولم يقدم على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يرياه، وإسلامهما بعد خير^(٣).

ذكر ابن هشام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعث عمرو بن العاص السهمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى جيفر وعبد ابني الجلندي الأزديين ملكي عمان يدعوهما إلى الإسلام، وكتب معه كتاباً^(٤).

ولما قدم عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على الجلندي، قال له: يا جُلندي، إنك وإن كنت منا بعيداً فإنك من الله غير بعيد، إن الذي

(١) عبد: جاءت به أكثر المصادر، وورد (عباد) في ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٤، ص ٢٢٠.

(٢) ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ١، ص ٤٥٧؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٤، ص ٢١٠.

(٣) المصادر السابقة؛ أسد الغابة، ج ١، ص ٤٥٧؛ الإصابة، ج ٢، ص ٢١٠.

(٤) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٤، ص ٢٢٠.

تفرد بخلقك أهل أن تُفرد به عبادتك، وأن لا تشرك به من لم يشركه فيك، واعلم أنه يميّتك الذي أحياك ويعيدك الذي بدأك، فانظر في هذا النبي الأمي الذي جاء بالدنيا والآخرة، فإن كان يريد به أجراً فامنع، أو يميل به هوى فدعه، ثم انظر فيما يجيء به: هل يُشبه ما يجيء به الناس، فإن كان يشبهه، فسله العيان، وتخيّر عليه في الخبر، وإن كان لا يُشبهه فاقبل ما قال، وخف ما وعد.

قال الجُلندي: « إنه -والله- لقد دلني على هذا النبي الأمي أنه لا يأمر بخير إلا كان أول من أخذ به، ولا ينهى عن شر إلا كان أول تارك له، وأنه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر، وأنه يفني بالعهد، وينجز الموعد، وأنه لا يزال سرُّ قد اطلع عليه يُساوي فيه أهله، واشهد أنه نبيٌّ »^(١).

ومن الروايات الواردة في رسالة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى (جيفر وعبد) ابني الجلندي شيخي عمان:

ما رواه عبدالله بن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: « كتب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى حي من العرب يدعوهم إلى الإسلام، فلم يقبلوا الكتاب ورجعوا إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبروه، فقال: أما أني لو بعثت به إلى قوم بشط عمان من أزد شنوءة لقبّلوه، ثم بعث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الجلندي يدعوهم إلى الإسلام، فقبله، وأسلم وبعث إلى

(١) السهيلي: الروض الآنف، ج ٤، ص ٣٩١-٣٩٢.

رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هدية^(١).

وذكر ابن سيد الناس نص كتاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى جيفر وعبد ابني الجلندي ملكي عمان مع عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من محمد بن عبد الله إلى جيفر وعبد ابني الجلندي، سلام على من اتبع الهدى أما بعد: فإنني أدعوكما بدعاية الإسلام أسلما تسلما، فإنني رسول الله إلى الناس كافة، لأنذر من كان حياً، ويحق القول على الكافرين، وإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما، وإن أبيتما أن تقررا بالإسلام، فإن ملككما زائل عنكما، وخيلي تحل بساحتكما، وتظهر نبوتي على ملككما.

وكتب أبي بن كعب، وختم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الكتاب:

قال عمرو: ثم خرجت حتى انتهيت إلى عمان، فلما قدمتها عمدت إلى عبد، وكان أحلم الرجلين وأسهله خُلُقاً، فقلت: إني رسول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليك وإلى أخيك، فقال: أخي المقدم عليّ بالسن والملك، وأنا أوصلك إليه حتى يقرأ كتابك، ثم قال لي: وما تدعو إليه؟ قلت: أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، وتخلع ما عبد من دون الله، وتشهد أن محمداً عبده ورسوله، قال: يا عمرو، إنك ابن

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٢٠١؛ ابن القيم: زاد المعاد في هدي خير العباد، ج ٣، ص ٦٩٣.

سيد قومك، فكيف صنع أبوك، فإن لنا فيه قدوة، فقلت: مات ولم يؤمن بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وددت أنه كان أسلم وصدق به، وقد كنت أنا على مثل رأيه، حتى هداني الله للإسلام، قال: فمتى تبعته؟ قلت: قريباً، وسألني أين كان إسلامي؟ فقلت: عند النجاشي، وأخبرته أن النجاشي قد أسلم، قال: فكيف صنع قومه بملكه؟ قلت: أقروه، واتبعوه قال: والأساقفة^(١) والرهبان^(٢) اتبعوه قلت نعم. قال: انظريا عمرو ما تقول، إنه ليس من خصله في رجل أفصح له من كذب، قلت: ما كذبت وما نستحلّه في ديننا، ثم قال: ما أرى هرقل علم بإسلام النجاشي! قلت: بلى، قال: بأي شيء علمت ذلك؟ قلت: كان النجاشي يخرج له خرجاً، فلما أسلم وصدق بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: لا والله لو سألتني درهماً واحداً ما أعطيته، فبلغ هرقل قوله، فقال

(١) الأساقفة: جمع أسقف وهو رئيس النصارى في الدين فوق القسيس ودون المطران، وهو اسم سرياني، ويحتمل أن يكون سمي به لخضوعه وانحنائه في عبادته، ابن منظور: لسان العرب، فصل السين مادة (سقف)، ج ٩، ص ١٥٦، الفيروزآبادي: أبي طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط (ترتيب: حسان عبدالمنان، ط ٣، بيت الأفكار الدولية، الأردن، دت، ص ١٠٥٩.

(٢) الرهبان: جمع راهب، واصلها من الرهبة الخوف، والرهبانية ترك الدنيا والزهد فيها والتخلي عنها والنصارى كانوا يترهبون بالتخلي من أشغال الدنيا، وترك ملاذها، والزهد فيها، والعزلة عن أهلها، وتعهد مشاقها حتى إن منهم من كان ينحني نفسه، ويضع السلسلة في عنقه، وغير ذلك من أنواع التعذيب التي نفاها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الإسلام، ونهى المسلمين عنها، ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر مادة (رهب)، ج ٢، ص ٢٥١.

له أخوه: أتدع عبدك لا يخرج لك خرجاً، ويدين ديناً محدثاً قال هرقل: رجل رغب في دين واختاره لنفسه ما اصنع به، والله لولا الضن بملكي لصنعت كما صنع؟ قال: انظر ما تقول يا عمرو قلت: والله صدقتك، قال عبد: فأخبرني ما الذي يأمر به وينهى عنه؟ قلت: يأمر بطاعة الله ﷻ، وينهى عن معصيته، ويأمر بالبر وبصلة الرحم، وينهى عن الظلم والعدوان، وعن الزنا وشرب الخمر، وعن عبادة الحجر والوثن والصليب، فقال: ما أحسن هذا الذي يدعو إليه، لو كان أخي يتابعني لركبنا حتى نؤمن بمحمد، ونصدق به، ولكن أخي أضن بملكه من أن يدعه، ويصير ذنباً، قلت: إنه من أسلم مملكه رسول الله ﷺ على قومه، فأخذ الصدقة من غنيهم فردها على فقيرهم، قال: إن هذا الخلق لحسن، وما الصدقة؟ فأخبرته بما فرض رسول الله ﷺ من الصدقات في الأموال حتى انتهت إلى الإبل، فقال: يا عمرو! وتؤخذ من سوائم مواشينا التي ترعى الشجر وترد المياه؟ قلت: نعم، فقال: والله ما أرى قومي في بُعد دارهم، وكثرة عددهم يطيعون هذا، قال: فمكثت ببابه أياماً، وهو يصل إلى أخيه فيخبره كل خبري، ثم إنه دعاني يوماً فدخلت عليه، فأخذ أعوانه بضبعي^(١)،

(١) الضبع: بسكون الباء وسط العضد بلحمه يكون للإنسان وغيره، والجمع أضباع، وقيل: العضد كلها، وقيل: الإبط وقال الجوهري يقال للإبط الضبع المجاورة، وقيل: ما بين الإبط إلى نصف العضد عن أعلاه، تقول: أخذ بضبعيه أي يعضد به. ابن منظور: لسان العرب، باب العين فصل العناد مادة (ضبع)، ج ٨، ص ٢١٦.

فقال: دعوه، فأرسلت فذهبت لأجلس، فابوا أن يدعوني أجلس، فنظرت إليه، فقال: تكلم بحاجتك، فدفعت إليه الكتاب مختوماً ففحص خاتمة، فقرأه حتى انتهى إلى آخره، ثم دفعه إلى أخيه، فقرأه مثل قراءته، إلا أنني رأيت أخاه أرق منه، ثم قال: ألا تخبرني عن قریش كيف صنعت؟ فقلت: تبعوه إما راغب في الدين، وإما مقهور بالسيف، قال: ومن معه؟ قلت: الناس قد رغبوا في الإسلام واختاروه على غيره، وعرفوا بعقولهم مع هدى الله إياهم أنهم كانوا في ضلال فما أعلم أحداً بقي غيرك في هذه الحرجة^(١)، وأنت إن لم تسلم اليوم وتتبعه يوطئك الخيل، ويبيد خضرائك، فأسلم تسلم ويستعملك على قومك، وإلا يدخل عليك الخيل والرجال، قال: دعني يومي هذا، وارجع إليّ غداً، فرجعت إلى أخيه، فقال: يا عمرو إني لأرجو أن يسلم إن لم يضمن بملكه، حتى إذا كان الغد، أتيت إليه فابى أن يأذن لي، فانصرفت إلى أخيه فأخبرته أنني لم أصل إليه، فأوصلني إليه، فقال: إني فكرت فيما دعوتني إليه فإذا أنا أضعف العرب إن ملكت رجلاً ما في يدي، وهو لا تبلغ خيله إلى ههنا، وإن بلغت خيله ألفت قتالاً ليس كقتال من لاقني! قلت: وأنا خارج غداً فلما أيقن بمخرجي خلا به أخوه، فقال: ما نحن فيما قد ظهر عليه، وكل من أرسل إليه قد أجابه، فأصبح فأرسل إليّ فأجاب إلى الإسلام هو وأخوه جميعاً، وصدّقا النبي

(١) الحرجة: غيضة الشجر الملتفة لا يقدر أحد أن ينفذ فيها. انظر: ابن منظور: لسان

العرب، باب الجيم فصل مادة (حرج)، ج ٢، ص ٢٣٦.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخلياً بيني وبين الصدقة، وبين الحكم فيما بينهم، وكانا لي عوناً على من خالفني^(١).

د) إسلام ملك اليمن (الحارث بن عبد كلال الحميري):

كانت اليمن^(٢) تابعة لدولة فارس في زمن البعثة، وكان يسكن اليمن قبيلة حمير وهي بطن عظيم من قحطان، تنتسب إلى حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

ولما بلغ أهل اليمن ظهور الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وانتشار دعوته، أتته وفودهم، فكتب لهم كتاباً بإقرارهم على ما أسلموا عليه من أموالهم، ووجه إليهم رسله، وعماله ليعرفوهم بشرائع الإسلام، وسُنَّته، وقبض صدقاتهم، وأخذ الجزية ممن أقام على النصرانية أو

(١) ابن سيد الناس: عيون الأثر، ج ٢، ص ٣٥٣-٣٥٤؛ ابن القيم: زاد المعاد، ج ٣، ص ٦٩٣-٦٩٦؛ ابن سعد: مختصراً في الطبقات الكبرى، ج ١، ص ١٩٨-٢٠٣؛ القسطلاني: شرح المواهب الدنية ج ٣، ص ١٤٦-١٤٨.

(٢) اليمن: إنما سميت اليمن لتيامنهم إليها، تقع بين عمان إلى نجران، ثم يلتوي على بحر العرب إلى عدن إلى الشحر، وسميت اليمن الخضراء لكثرة أشجارها وثمارها وزروعها، واسمها مشتق من اليمن وهو الرفاة والبركة، وأهل اليمن ينتسبون إلى يعرب بن قحطان، وفي الجاهلية قامت على أرض اليمن أقدم الحضارات معين وسبأ وحمير. ياقوت الحموي: معجم البلدان، باب الياء والميم وما يليها مادة (عين)، ج ٨، ص ٥٠٩-٥١٠.

اليهودية أو المجوسية منهم^(١).

وقد امتدح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أهل اليمن في ما رواه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (أتاكم أهل اليمن، هم أرق أفئدة وألين قلوباً، الإيمان يمان، والحكمة يمانية، والفخر والخلاء في أصحاب الإبل، والسكينة والوقار في أهل الغنم)^(٢).

ومن اهتمام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالدعوة في اليمن أنه بعث أصحابه لنشر الإسلام. وتعليم الناس أمور دينهم، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين بعث معاذاً إلى اليمن، أوصاه بقوله: إنك ستأتي قوماً أهل كتاب فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب^(٣).

(١) البلاذري: فتوح البلدان ٩٢-٩٣.

(٢) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب المغازي، باب قدوم الأشعرين، وأهل اليمن، ج ٤، ص ١٥٩٤ ح (٤١٢٧)، مسلم: صحيح الإمام، كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن فيه، ج ١، ص ٧٣ ح (٥٢).

(٣) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد على

وقد أرسل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ برسائله إلى ملوك اليمن، وعظماء القبائل، ورؤسائها من أبناء الملوك السابقين، داعياً إياهم إلى قبول الإسلام ديناً، ومحمداً رسولاً، وعلى رأسهم الحارث بن عبد كلال الحميري، وهو أحد أقيال اليمن^(١)، قال ابن إسحاق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: « قدم على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مقدمة من تبوك كتاب ملوك حمير بإسلامهم منهم: الحارث بن عبد كلال، وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرسل إلى الحارث بن عبد كلال المهاجر بن أبي أمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأسلم وكتب إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مشهداً يقول فيه:

ودينك دين الحق فيه طهارة وأنت بما فيه من الحق أمر^(٢)

وكان من حديثه أنه لما قدم المهاجر بن أبي أمية عليه، قال: يا حارث إنك كنت أول من عرض عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نفسه فخطت عنه، وأنت أعظم الملوك قدراً، فإذا نظرت في غلبة الملوك فانظر في غالب الملوك، فإذا سَرَّكَ يومك فخف غدك، وقد كان قبلك ملوك ذهبت آثارها وبقيت أخبارها، عاشوا طويلاً؛ أمَلُّوا بعيداً، وتزودوا قليلاً، منهم من أدركه الموت، ومنهم من أكلته النقم، وإني

= الفقراء حيث كانوا، ج ٢، ص ٥٤٤، ح (١٤٢٥) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، ج ١، ص ٢٥٠، ح (١٩).

(١) القيل: أحد ملوك حمير، وهو الملك النافذ القول والأمر، دون الملك الأعظم. ابن

منظور: لسان العرب، حرف اللام، فصل القاف، مادة (قيل)، ج ١١، ص ٥٨٠.

(٢) ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ١، ص ٢٢٤.

أدعوك إلى الرب الذي إن أردت الهدى لم يمنعك، وإن أراك لم يمنعه منك أحد، وأدعوك إلى النبي الأمي الذي ليس شيء أحسن مما يأمر به، ولا أقبح مما ينهى عنه، واعلم أن لك رباً يميّت الحي ويحيي الميت، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فقال الحارث: قد كان هذا النبي عرض نفسه عليّ فخطئت عنه، وكان فخراً لمن صار إليه، وكان أمره أمراً سبق، فحضره اليأس وغاب عنه الطمع، ولم يكن لي قرابة احتمله عليها، ولا لي فيه هوى أتبعه له، غير أنني أرى أمراً لم يوسوسه الكذب ولم يسنده الباطل، له بدء سار وعاقبة نافعة، وسأنظر^(١).

لقد كان حسن الخطاب النبوي واختيار الرسل الفصحاء البلغاء الذين يؤدون الرسالة ويقىمون الحجة ويقنعون المدعو، له الأثر الكبير في قبول هؤلاء الزعماء لدعوة الإسلام وانقيادهم للحق. وقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدرك قيمة تأثير رأي الملك أو الأمير في رعيته أكثر من تأثير غيره، ولذلك خاطبهم بإرسال الرسائل والرسائل إليهم.

وبدأ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالحكام لأهميتهم، موجهاً الدعوة لهم بطريق مباشر؛ لأنهم المؤثرين في شعوبهم.

وقد خاطب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الملوك والأمراء ودعاهم للإسلام لأن اعتناقهم سيكون سبباً في إسلام شعوبهم فالناس على

(١) السهيلي: الروض الأنف، ج ٤، ص ٣٩٢-٣٩٣.

دين ملوكهم.

فكانت تلك الرسائل نداءً للملوك والأمراء أن يستجيبوا لهذه الدعوة، وأن يسمحوا لدعاتها بممارسة الدعوة، ويسمحوا لشعوبهم بالسماع لهذه الدعوة لكي يختاروا عقيدتهم على بينة بعيداً عن القسر والإكراه.

وفي رسائل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الملوك والأمراء فوائد دعوية عظيمة من أهمها:

١- اتصاف الداعية بمكارم الأخلاق؛ لأن مكارم الأخلاق هي عنوان دعوته، وسبب انتشارها، فهذا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لاتصافه بالصدق والعفاف والصلة وغيرها من مكارم الأخلاق شهد له الأعداء وأقروا له بالفضل، قبل أن يؤمنوا به.

٢- ولقد راعى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحوال المدعوين من الملوك، فخطبهم بما يحتاجونه للدخول في الإسلام، ففي رسالة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى النجاشي كان يراعي ما هو عليه من النصرانية، فيقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (أسلم يؤتك الله أجرك مرتين) يكتب لهم بقوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤].

٣- ودلت رسائل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الملوك والأمراء على حرص النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على هدايتهم للإسلام من خلال نصحتهم وإرشادهم؛ لما فيه الخير والنفع في الدنيا والآخرة، فوجد أنه كتب إلى كسرى وقيصر والنجاشي وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله، استخدم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في رسائله إلى الملوك القول اللطيف الذي يؤثر في النفوس تأثيراً سريعاً.

٤- وكانت رسائله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تظهر فيها صفة الرحمة، فكان رحيماً بمن يدعوهم مشفقاً عليهم، يدعوهم للنجاة من النار، والفوز بالجنة، ووصفه الله ﷻ بالرحمة، قال تعالى: ﴿... وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ١٥٩]. فأرسل رسائله لملوك وأمراء زمانه؛ لإنقاذهم من النار.

٥- وفي رسائله للملوك والأمراء يظهر حسن خلقه من خلال تلطفه في كتاباته مع هؤلاء الملوك والأمراء، فلم يكن متكبراً ولا متعالياً، بل كان يخاطب الناس على قدر مكانتهم وينزل كلاماً في منزله اللائق به، فقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحسن الناس خلقاً، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)^(١).

فلم يكن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يريد من وراء إرسال رسائله

(١) الإمام أحمد: المسند، ج ٢، ص ٣٨١ ح (١٩٣٩).

للملوك والأمرء شيئاً من الدنيا، بل كان يريد هداية الناس إلى دين الله، ودلالتهم على الخير، وفي رسالته إلى ملك البحرين وملكى عمان وغيرهم من الملوك بين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه لم يرد من وراء دعوته الحصول على مراكز دنيوية أو أي سلطة، حيث قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لجيفر وعبد ابني الجلندي: «إنكما إن أقرتما بالإسلام وليتكما، وإن أبيتما أن تقررا بالإسلام فإن ملككما زائل» وقال-عليه الصلاة والسلام- لملك البحرين: (المنذر بن ساوى) «وإنك مهما تصلح فلن نغزلك من عملك» فلم يطلب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أحد ملكه، بل أبقى كل ملك أسلم في ملكه؛ كما فعل مع أمير البحرين، وملكى عمان، وفي هذا تشجيع للمدعو للدخول في الإسلام.

٦- ويتضح حسن خطابه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع المدعوين من الملوك والأمرء من خلال رسائله التواضع في اسم المرسل، والتفخيم في اسم المرسل إليه، فقد ذكر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسمه مجرداً في رسائله إلى الملوك والأمرء، وأنه عبدالله؛ ليبين أن الناس سواسية في الإسلام كأسنان المشط، لا فضل لعربي على عجمي، ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى.

٧- وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخاطبهم في رسائله بعبارات موجزة تحوي على معان كثيرة، وتظهر فصاحته، ولم يكن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتكلف في اختيار الألفاظ كما يتكلف الكهّان وغيرهم، بل تجري الكلمات عذبة على لسانه لتلامس القلوب الصالحة، وتعمل

فيها عمل السحر البيان.

وتجلت صفة الرفق في خطابه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لملوك اليمن يأمرهم بأن يأخذوا الجزية من أهل الكتاب ممن لم يدخل في الإسلام ديناراً معافياً، فإن لم يتيسر فيأخذوا ثياباً مُعافرية، أو قيمة الدينار، وكل ذلك من باب التيسير والرفق.

٨- وقد ورد السلام في رسائل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الملوك والأمراء لمن اتبع الهدى، لحكمة يريد بها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو حصول المودة والألفة، وذهاب النفرة والجفوة، وأنه يرغب منهم اتباع الهدى الذي جاء من الله ﷻ وهو يدعوهم لذلك الهدى والرشد.



المبحث الثالث

طيب العاملة

وفيه:

- ١) إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
- ٢) إسلام أبا محذورة الجمحي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
- ٣) إسلام زيد بن سحنة اليهودي.
- ٤) إسلام الغلام اليهودي الذي كان يخدمه.
- ٥) إسلام الوفود التي قدمت المدينة في العهد النبوي.

* * * * *

تهديد

قال الله تعالى: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ
الْقَلْبِ لَآتَفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(١).

لقد كان لطيب معاملته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعظم الأثر في إسلام
الكثير من قومه وغيرهم، حيث لم يملَّ من دعوته لهم، ولم يتبرم من
أذيتهم؛ بل كان يخالطهم ويحدثهم، ويداعب صبيانهم، ويحبب دعوة
الحر والعبد، والأمة والمسكين، ويعود المرضى في أقصى المدينة، ويقبل
عذر المعتذر.

ويبدأ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من لقيه بالسلام، ويكرم من دخل عليه،
وربما بسط له ثوبه، ويؤثره بالوسادة التي تحته، ويعزم عليه في الجلوس
عليها إن أبى، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يتجاوز فيقطعه.

فالأخلاق الحقيقية والمؤثرة وعاء يستوعب حياة الإنسان كلها،
وتتميز تلك الأخلاق بالدأب والصبر والمداومة.

وقوة الأخلاق وثباتها تبدو حين الاختلاف وعند الانشغال
الشديد أو الخوف والفرع، فيفقد الإنسان هدوءه وتتوتر أعصابه،
فيظهر هنا أولو العزم من أصحاب الأخلاق رابطي الجأش، فلا
يقولون إلا خيرا، ولا يتعاملون إلا بالحسنى، كما كان يفعل نبينا محمد

(١) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولقد أجمل القرآن وصف خلقه فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١).

فهذه هي القوة الحقيقية: قوة الأخلاق وأثرها في جذب المدعو إلى الإسلام طوعاً ورغبةً كما دل على ذلك الكثير من الوقائع التاريخية مع أفضل البشر محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



(١) سورة القلم، آية: ٤.

١- إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١)

الطفيل بن عمرو الدوسي، قدم مكة ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بها، فمشى إليه رجال من قريش، وكان الطفيل رجلاً شريفاً، شاعراً، لبيباً، فقالوا له: يا طفيل إنك قدمت بلادنا، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا، وقد فرق جماعتنا، وشتت أمرنا وإنما قوله كالسحر، يفرق بين الرجل وبين أبيه، وبين الرجل وبين أخيه، وبين الرجل وبين زوجته، وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا، فلا تكلمنه، ولا تسمع منه شيئاً، قال: فوالله مازالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئاً ولا أكلمه، حتى حشوت في أذني حين

(١) هو الطفيل بن عمرو بن طريف بن العاص بن ثعلبة بن سليم بن فهم بن غنم بن دوس الدوسي، أسلم وصدق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمكة، ثم رجع إلى بلاد قومه من أرض دوس، فلم يزل مقيماً بها حتى هاجر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم قدم على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو بخير بمن تبعه من قومه، فلم يزل مقيماً مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى قبض صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم كان مع المسلمين، حتى قتل شهيداً، وروى إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق قال: قتل الطفيل بن عمرو الدوسي عام اليرموك، في خلافة عمر بن الخطاب، وذكر المدائني عن أبي معشر: أنه استشهد يوم اليمامة. ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ص ٣٨٢؛ ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٢، ص ٤٨٥؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٢، ص ٦٦.

غدوت إلى المسجد كرسفاً^(١) فرقاً من أن يبلغني شيء من قوله، وأنا لا أريد أن أسمع، قال: فغدوت إلى المسجد، فإذا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قائم يصلي عند الكعبة، قال: فقمته منه قريباً، فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله: قال: فسمعت كلاماً حسناً، قال: فقلت في نفسي: واثكل أمي، والله إني لرجل لبيب شاعر ما يخفى علي الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول؟ فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلته، وإن كان قبيحاً تركته.

قال: فمكثت حتى انصرف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى بيته، فأتبعته حتى إذا دخل بيته دخلت عليه، فقلت: يا محمد، إن قومك قد قالوا لي كذا وكذا، للذي قالوا، فوالله ما برحوا يخوفونني أمرك حتى سددت أذني بكرسف لئلا أسمع قولك، ثم أبى الله إلا أن يسمعني قولك، فسمعت قولاً حسناً، فأعرض عليّ أمرك، قال: فعرض علي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الإسلام، وتلا عليّ القرآن، فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه، ولا أمراً أعدل منه، قال: فأسلمت وشهدت شهادة الحق، وقلت: يا نبي الله، إني امرؤ مطاع في قومي وأنا راجع إليهم، وداعيهم إلى الإسلام، فادع الله أن يجعل لي آية تكون لي عوناً عليهم فيما أدعوهم إليه، قال: «اللهم اجعل له آية»^(٢).

(١) كرسفاً: القطن، انظر: الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ص ١٤٩٨.

(٢) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم، ج ٢، ص ٥٦٧، ح (٢٩٣٧).

قال: فخرجت إلى قومي، حتى إذا كنت بثنية تطلعني على الحاضر وقع نور بين عيني مثل المصباح، فقلت: اللهم في غير وجهي، إني أخشى أن يظنوا أنها مثلة وقعت في وجهي لفراقي دينهم، قال: فتحول فوق في رأس سوطي^(١)، قال: فجعل الحاضر يتراءون ذلك النور في سوطي كالقنديل المعلق^(٢)، وأنا أهبط إليهم من الشَّيَّة^(٣)، قال: حتى جئتهم، فأصبحت فيهم.

قال: فلما نزلت، أتاني أبي، وكان شيخاً كبيراً قال: فقلت: إليك عني يا أبت، فلستُ منك ولستُ مني، قال: ولم يا بني؟ قلت: إني أسلمت وتابعت دين محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: أي بني، فديني دينك قال: فقلت: فاذهب واغتسل وطهر ثيابك ثم تعال حتى أعلمك ما علَّمتُ، قال:

(١) السوط: الذي يُضرب به، والجمع أسواط وأسياط، الفارابي: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، ط ٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، باب سوط، ج ٣، ص ١١٣٥.

(٢) القنديل المعلق: قنديل (مفرد) وجمعه قناديل وهو: مصباح في وسطه فتيل يملأ بالماء والزيت ويُشعل، قنديل المسجد/ نفط - ويُستخدم القنديل عند انقطاع الكهرباء، أحمد مختار عبدالحميد عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، (ط ١)، عالم الكتب، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، باب (ق ن دل)، ج ٣، ص ١٨٦١.

(٣) الثنية: وهي المسلك بين جبلين وهي ثنية تُسلك من رأس حُنين، وهي إحدى الثنايا المتقدمة، وتسمى الثنية بلا إضافة، ولا زال هذا اسمها اليوم، عتاق البلادي: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص ٦٥.

فذهب فاغتسل، وطهر ثيابه، قال: ثم جاء فعرضت عليه الإسلام، فأسلم.
قال: ثم أتتني صاحبتني، فقلت: إليك عني، فلست منك ولست مني،
قالت: لم بأبي أنت وأمي؟ قال: قلت: قد فرق بيني وبينك الإسلام،
وتابعت دين محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قالت: فديني دينك.

ثم دعوت دوساً فأبطئوا عن الإسلام فرجعت إلى رسول الله
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمكة فقلت: يا رسول الله، ادع الله عليهم، فقال: «اللهم
اهد دوساً، ارجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم»^(١).

قال: فلم أزل بأرض قومي أدعوهم إلى الإسلام حتى هاجر
النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة، وقضى بداراً وأحداً والخذق، ثم قدمت
على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمن أسلم معي من قومي، ورسول الله
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخير، حتى نزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتاً من دوس،
ثم لحقنا برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخير، فأسهم لنا مع المسلمين^(٢).

فقصة الطفيل بن عمرو الدوسي مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها
دلالة واضحة على مدى حرص النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على هداية الناس
وإخراجهم من الظلمات إلى النور، فقد استمع صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الطفيل
بن عمرو وخاطبه خطاباً حسناً، وتلا عليه القرآن فلم يغضب - عليه
الصلاة والسلام - لما قاله له الطفيل عن كلام قومه فيه؛ بل حاوره

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ١، ص ٣٥٢.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ١، ص ٣٥٤.

وخاطبه بالحجة والبرهان والحكمة.

وبلغ من كمال هديه وحسن خلقه أن دعى الله ﷻ لقبيلة الطفيل بن عمرو الدوسي بالهداية بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهم اهد دوساً».

وقد أثمر هذا الحوار وحسن الخطاب والتعامل مع الطفيل بن عمرو أن أعلن إسلامه وقام بالدعوة إلى الله مبتدئاً بالأقربين من والده وزوجته وقبيلته، فحري بالمسلم منذ أن يعرف هذا الدين أن يكون داعياً إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

والحذر كل الحذر من أهل الباطل الذين يقبلون الحق باطلاً، والباطل حقاً وينفرون الناس عن دين الله، وعن حملة شريعته، ولهذا نجد أن الطفيل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رفض تحذيرات قريش وتشويههم للحق وصاحبه، واستخدم عقله الذي وهبه الله إياه، واستمع إلى الحق واهتدى به ودعا إليه.



٢- إسلام أبي محذورة الجمحي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١)

قال أبو محذورة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: « خرجت في نفر عشرة فكنا في بعض الطريق حين قفل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للصلاة فسمعنا صوت المؤذن ونحن متنكبون، فصرخنا نحكيه ونستهزئ به، فسمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصوت، فأرسل إلينا إلى أن وقفنا بين يديه فألقى عليَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التأذين هو بنفسه، فقال: قل الله اكبر، الله أكبر، فذكر الأذان ثم دعاني حيث قضيت التأذين، فأعطاني صرة^(٢) فيها شيء من فضة ثم وضع يده على ناصيتي، ثم مر بين ثديي، ثم على كبدي، حتى بلغت يد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سرتي، ثم قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بارك الله فيك وبارك الله عليك» فقلت يا رسول الله

(١) هو مؤذن المسجد الحرام، وصاحب النبي، اسمه: سمرة بن معير، وقيل اسمه: معير بن محيريز، وقيل: أوس بن معير بن لوذان بن ربيعة بن عريج بن سعد بن جمح. وكان من أئدى الناس صوتاً وأطيبه، ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ص ٨٤٢؛ ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٥، ص ٩١؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٧، ص ٣٢٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٤، ص ٢٥٥؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٥، ص ٤٥٠.

(٢) الصرة: صُرَّة الدراهم، أبو منصور الأزهري: محمد بن أحمد بن الأزهري، تهذيب اللغة، (تحقيق: محمد عوض مرعب، ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م)، باب الصاد والراء، ج ١٢، ص ٧٧.

مرني بالتأذين بمكة، قال: أمرتك به، وذهب كل شيء كان في نفسي
لرسول الله ﷺ من كراهة وعاد ذلك كله محبة لرسول الله
ﷺ^(١).

من جوانب عظمتة ﷺ وطيب معاملته حرصه على
الطفل الموهوب حتى ولو كان غير مسلم، ويتبين لنا هذا من قصة أبي
مخدورة صاحب الصوت الجميل الذي كان يستهزئ بأذان المسلمين،
وكيف اهتم به الرسول ﷺ وعامله معاملة حسنة ولم يعاقبه
على استهزائه بالأذان، بل مسح على رأسه وقال: (اللهم بارك فيه
واهده إلى الإسلام.. اللهم بارك فيه واهده إلى الإسلام) وقال له: قل
الله أكبر، الله أكبر.

فلاحظ رفق النبي ﷺ بالناس وتأليف قلوبهم، فأبو
مخدورة يهزأ بالأذان، والنبي ﷺ يدعو ويأمره بالأذان، ثم
يعطيه من الفضة ما يرضي نفسه، ويمر بيده على ناصيته ثم وجهه ثم
صدره ثم بطنه حتى سرتة. ويبارك له وعليه، فيزيل الله ما في قلبه من
كره، فيعود حباً ببركة دعاء النبي ﷺ، حتى يرغب فيما كان
يكرهه، ويطلب أن يكون مؤذن المسجد الحرام، فالرفق بالمتعلمين

(١) الدارقطني: علي بن عمر الدارقطني، سنن الدارقطني، (تحقيق: عادل أحمد علي
محمد، كتاب الصلاة، باب في ذكر أذان أبي مخدورة، د ط، دار المؤيد،
الرياض، (١٤٢٢هـ-٢٠٠١م)، ج ١، ص ٥١٤، ح (٨٨٩).

ودعاء رب العالمين خاصة من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واستخدام المال
لتأليف القلب منهج نبوي ينبغي أن يستعين دعاة اليوم بذلك لعل الله
أن يفتح لهم القلوب المغلقة^(١).



(١) انظر: مقال بعنوان (عظمة محمد مع أطفال غير المسلمين) رشاد لاشين، جامعة
الزقازيق، الشريعة الإسلامية، الشبكة العنكبوتية •

٣- إسلام زيد بن سَعْنَةَ الحبر الإسرائيلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

هو أحد أحبار اليهود، ومن أكثرهم مالاً، أسلم فحسن إسلامه، وشهد مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مشاهد كثيرة، وتوفي في غزوة تبوك مقبلاً إلى المدينة^(١).

ويقال: له سعية-بالياء، والنون-أكثر في هذا^(٢).

عن عبدالله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إن الله تبارك وتعالى لما أراد هداية زيد بن سَعْنَةَ، قال زيد بن سَعْنَةَ: ما من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في وجه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين نظرت إليه، إلا اثنتين لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حِلماً. فكنت أتلطف له لأن أخالطه فأعرف حلمه من جهله، قال زيد بن سَعْنَةَ: فخرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الحجرات، ومعه علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأتاه رجل على راحلته كالبدوي، فقال: يا رسول الله، إن بُصْرَى قرية بني فلان قد أسلموا ودخلوا في الإسلام، وكنت حدثتهم إن أسلموا أتاهم الرزق، وأصابتهم سنة وشدة وقحوطاً من

(١) ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص ٢٨٩؛ ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٢، ص ٢٤٥؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ١، ص ٥٦٦.

(٢) ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص ٢٨٩.

الغيث، أصابهم شدة وقحط من العيش، فأنا أخشى يا رسول الله، أن يخرجوا من الإسلام طمعاً كما دخلوا فيه طمعاً، فإن رأيت أن ترسل إليهم بشيء تعينهم به فعلت، فنظر رسول الله ﷺ إلى رجل إلى جانبه، أراه علياً، فقال: يا رسول الله، ما بقي منه شيء.

قال زيد بن سعة: فدنوت إليه، فقلت: يا محمد؛ هل لك أن تبيعي تمرأ معلوماً من حائط بني فلان إلى أجل كذا وكذا؟ فقال: (لا يا يهودي، ولكن أبيعك تمرأ معلوماً إلى أجل كذا وكذا)، ولا يسمي حائط بني فلان قلت: نعم، فبايعني فأطلقت همياني، فأعطيته ثمانين مثقالاً من ذهب في تمر معلوم إلى أجل كذا وكذا، فأعطاهما الرجل، فقال: اعجل عليهم، وأعنه بها.

قال زيد بن سعة: فلما كان قبل محل الأجل بيومين أو ثلاثة، أتته فأخذت بمجامع قميصه وردائه، ونظرت إليه بوجه غليظ فقلت له: ألا تقضني يا محمد حقي؟ فوالله ما علمتكم بني عبدالمطلب لمطل^(١)، ولقد كان لي بمخالطتكم علم، ونظرت إلى عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وإذ عيناه تدوران في وجهه كالفلك المستدير، ثم رماني ببصره، وقال: يا عدو الله، تقول لرسول الله ﷺ ما أسمع، وتصنع به ما أرى؟ فوالذي بعثه بالحق لولا ما أحاذر قوته لضربت

(١) المطل: التسويف بالعدّة والدّين، كالأَمْطال والمُطالّة، الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص ١٦٤١.

بسينفي رأسك. ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينظر إلى عمر في سكون وتؤدة وتبسم، ثم قال: «يا عمر أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا. أن تأمرني بحسن الأداء، وتأمره بحسن التباعة، اذهب يا عمر، فأعطه حقه، وزده عشرين صاعاً من تمر، مكان ما رعته».

قال زيد: فذهب بي عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأعطاني حقي، وزادني عشرين صاعاً من تمر، فقلت: ما هذه الزيادة يا عمر؟ قال: أمرني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن أزيدك مكان ما رعتك. قلت: وتعرفني يا عمر؟ قال: لا، من أنت؟ قلت: أنا زيد بن سُعنة. قال: الخبر؟ قلت: الخبر، قال: فما دعاك أن فعلت برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما فعلت، وقلت له ما قلت؟ قلت: يا عمر، لم يكن من علامات النبوة شيء إلا قد عرفتها في وجه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين نظرت إليه، إلا اثنتين، لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً، فقد اخترتهما، فأخبرك يا عمر أني قد رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبياً، وأشهدك أن شطر مالي - فإني أكثرها مالاً - صدقة على أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال عمر: أو علي بعضهم - فإنك لا تسعهم كلهم. قلت: وعلى بعضهم.

فرجع عمر وزيد إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال زيد: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأمن

به وصدقه وبايعه وشهد معه مشاهد كثيرة^(١).

فزيد بن سعة كان أحد أخبار اليهود، وقد اطلع في بعض الكتب القديمة التي أنزلها الله تعالى على بعض أنبيائه، أن نبي آخر الزمان يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حليماً، فأراد هذا الخبر اليهودي بعد أن هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة أن يعرف هل ينطبق على محمد النعت المذكور في نبي آخر الزمان، أن حلمه يسبق جهله، وأن شدة الجهل عليه لا يزيده إلا حليماً، أي أنه مهما أؤذي لا يوصله إلى أذى الناس؛ بل لا يخرج عن مقتضى الحكمة، فأراد أن يمتحن رسول الله ﷺ فعامله بدين مؤجل إلى أجل معلوم.

ثم قبل أن يحل الأجل تعرض هذا اليهودي زيد بن سعة لرسول الله بالمطالبة بالدين فنال من رسول الله ﷺ بكلمة تهز المشاعر، فأراد بعض من الصحابة وهو عمر بن الخطاب أن ينتقم منه من شدة تغيظه عليه لأنه أساء الأدب مع رسول الله ﷺ، وكاد أن يبطش به فيقتله، فنهاه رسول الله ﷺ، فعرف الخبر أن تلك الصفة والنعت المذكور في وصف محمد ﷺ منطبقة عليه، فعرف أن محمداً هذا هو ذلك النبي الذي بشر به الأنبياء، فتشهد

(١) الحاكم: المستدرك على الصحيحين، ج ٣، ص ٦٠٤-٦٠٥ وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ورده الذهبي بقوله: قلت: ما أنكره.

شهادة الحق فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله.
فكان طيب المعاملة والحكمة والخلق الحسن عاملاً مؤثراً في إسلام
الحبر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



٤- إسلام الغلام اليهودي الذي كان يخدم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان غلام يهودي يخدم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمرض فأتاه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعوده، فقعده عند رأسه، فقال له: أسلم، فنظر إلى أبيه، وهو عنده، فقال له: أطع أبا القاسم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأسلم فخرج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه من النار»^(١).

وهذا يدل على رحمة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وطيب معاملته ورأفته بالناس على وجه العموم.. وإن تعجب فاعجب من موقف والده هذا؟!..

وهذا الغلام اليهودي كان من عامة أهل المدينة، ودفعته الحاجة إلى البحث عن مصدر رزق يعين به أهله، فاختر أن يعمل في بيوت يثرب وأحيائها، يقضي الحوائج، ويعين في الأعمال، راضياً بما يحصل عليه من زهيد الأجر، ويتتهي المطاف بالفتى في بيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليعيش في كنفه ويتفياً من ظلاله، فأبصر نموذجاً لم يعهده من الأخلاق السامية والخصال الفاضلة، إذ لم يسبق له أن رأى سيداً لا يضرب خادمه ولا يعنفه، ولكن يحسن إليه ويلطفه؛ فلا عجب أن

(١) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي ومات، هل يصلي عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام، ج ١، ص ٥٣٠ ح (١٣٥٦).

شغف الفتى بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأحبه عن قرب.

وتمر الأيام كالشهد المصفى على قلب الفتى اليافع، وهو في ذلك حريص على نقل مشاهداته إلى والده، فيسرد له من أخباره عليه الصلاة والسلام وعاطر سيرته، ويسر الأب بما يلاقيه ولده من كريم المعاملة وطيبها، وتقع في نفسه أبلغ موقع، حتى أتى ذلك اليوم الذي افتقد فيه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خادمه اليهودي ولما سأل عنه جاءه الخبر بأن الفتى مريض طريح الفراش، فيهرع-عليه الصلاة والسلام-لزيارته ودخل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند الفتى وجلس عند رأسه متأملاً في ملامحه المرهقة وجسده المتعب الذي أنهكه المرض، فقال له: أسلم يريد أن ينطق بكلمة الحق، وأن يدخل في حياض الدين الإسلامي، حتى يكتب من الفائزين، والفتى منذ رأى أخلاق النبوة قد شرح الله صدره للإسلام؛ لكنه كان يخشى في الوقت ذاته من رفض والده أن يدعن للحق، فجعل يلتفت إليه تارة، وإلى النبي تارة أخرى، وينطق الأب أخيراً، أطمع أبا القاسم، فيسرع الفتى بالنطق بالشهادتين فبذلك تم المقصود، وحصل المأمول، وخلع الفتى رداء اليهودية الباطلة، وأبدله بثوب الحق والهدى، ويخرج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والبشر ظاهر علي قسماات وجهه، ولسانه لم يفتر عن حمد الله وَجَّكَ عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ «الحمد لله الذي أنقذه من النار».

وهذه القصة تكشف النفسية الهادئة اللطيفة في التعامل مع الكفار -مشركون ويهود- فلم يكن ثمة توتر ولا توجس، فهذا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يمر بمجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركون واليهود

فيجلس إليهم، ويتحدث معهم، ويدعوهم ثم يمضي، بل هو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يزورهم في بيوتهم، ويجيب دعواتهم، ويفتح بيته لزيارتهم بل ويديني فتى منهم حتى يلي هذه الخصوصية في الخدمة.

إن هذا كله مظهر قوة ووثوق، فإن هذه المخالطة أقصر الطرق لتعرف هؤلاء على الدين وأهله، ولهدم الحواجز التي قد توجد في نفوسهم عن قبوله أو التعرف عليه.

نتساءل: ماذا أفاد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه من فتى صغير أسلم ثم مات من ساعته، فلن يشهد معهم معركة، ولن يكثر لهم جمعاً، ولن يحوز لهم مالاً، ولن يخدم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما كان يخدمه من قبل، فبأي شيء يكون الفرح؟! إن هداية الناس واستنقاذهم من دركات النار كانت قضية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي عاش لها، وارتبطت مشاعره بها، فرحه وحزنه، غضبه ورضاه، ولذا يفرح هذا الفرح، ويحمد ربه على هذه النعمة أن بشراً قد اهتدى بعد ضلال، ونجا بدعوته من النار، وإن كان ذاك فتى أسلم ثم مات بعد من ساعته، وإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي فرح هذا الفرح، هو الذي حزن أشد الحزن، حتى كاد أن يهلك أسفاً لما أعرض عن دعوته من أعرض^(١) قال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَنِيعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ (٦) ^(٢).

(١) عبد الوهاب الطريفي، قصص نبوية، ص ٦٣.

(٢) سورة الكهف، آية: ٦.

٥- إسلام الوفود التي قدمت المدينة في العهد النبوي

وفد أشجع^(١):

قال ابن سعد: « وقدمت أشجع على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عام الخندق، وهم مئة رأسهم مسعود^(٢) بن رخيلة، فنزلوا شعب سلع، فخرج إليهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأمر لهم بأحمال التمر، فقالوا: يا محمد لا نعلم أحداً من قومنا أقرب داراً منا، ولا أقل عدداً، وقد ضيقنا بحربك وبحرب قومك، فجئنا نوادعك، فوادعهم أحمال^(٣). »

(١) ينسبون إلى أشجع بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر، الكلبي: هشام بن محمد، جمهرة النسب: (تحقيق: ناجي حسن، ط ١، عالم الكتب، بيروت، (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧)، ص ٤٥٣، ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، جمهرة أنساب العرب، (تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، ط، دار المعارف، القاهرة، د ت)، ص ٢٤٩، ابن الاثير: أبو الحسين علي بن محمد بن عبدالكريم الجزري، اللباب في تهذيب الأنساب، (دار صادر، بيروت، د ط، د ت)، ج ١ ص ٦٥، القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، (ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)، ص ٥٠.

(٢) مسعود بن رخيلة بن عابد بن مالك الأشجعي، كان قائد أشجع يوم الأحزاب، ثم أسلم فحسن إسلامه، ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٦، ص ٩٠.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ج ١، ص ٣٠٦.

ويظهر أثر حسن تعامل رسول الله معهم ومبادرته بتقديم أصحابه التمر لهم، وقد أصابهم الجوع والخوف، وكان رسول الله قادراً على حربهم والانتقام منهم لمشاركتهم الأحزاب، غير أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقدم السلم وحسن التعامل والدعوة على كل أمر، وكان هذا التعامل الحسن سبباً في إسلامهم.

❖ وفد عبدالقيس^(١) :

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: إن وفد عبس القيس لما أتوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: من القوم أو من الوفد؟ قالوا: ربيعة قال: مرحباً بالقوم أو بالوفد غير خزايا ولا ندامى. فقالوا: يا رسول الله إنا لا نستطيع أن نأتيك إلا في الشهر الحرام، وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر، فمرنا بأمر فصل نخبر به من وراءنا وندخل به الجنة فقال: آمركم بأربع؟ وأنهاكم عن أربع: آمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تعطوا الخمس من المغنم،

(١) ينسبون إلى عبدالقيس بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار، قبيلة عظيمة ينسب إليها خلق كثير، ولها بطون كثيرة. كانت مواطنهم بتهامة، ثم خرجوا إلى البحرين، واستقروا بها وبقراها، ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب، ج ٢، ص ٣١٤، كحالة: عمر رضا، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، (ط ٣)، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م)، ج ٢، ص ٢٧٦.

وأنهاكم عن أربع: عن الدباء^(١)، والحتتم^(٢)، والنقير^(٣)، والمزفت^(٤)، فاحفظوهن وادعوا إليهن من وراءكم^(٥).

فعند تأمل معاملة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لوفد عبد القيس، وذلك من خلال حُسن استقبالهم ومخاطبتهم، والترحيب بهم، ومدحهم والثناء عليهم، نجد منهجاً نبوياً عظيماً متميزاً في معاملة الوفد كان له الأثر الكبير في ثباتهم على الإسلام، بل وزيادة إيمانهم وتأليف قلوب من وراءهم للدخول في الدين الإسلامي والثبات عليه، فقد حرص صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على إكرامهم، وأوصى بهم كما في رواية الإمام أحمد أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال للأَنْصار: أكرموا إخوانكم فإنهم أشباهكم في الإسلام أشبه شيئاً بكم، ولما أصبحوا سألهم عن ضيافة الأنصار

(١) الدباء: القرع واحدها دبءه وكانوا ينتبزون فيها فتسرع الشدة في الشراب. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٢، ص ٩٦.

(٢) الحتتم: جرار مدهونة خضر كانت تحمل فيها الخمر إلى المدينة ثم اتسع فيها فليل للخزف كله حتتم، وإنما نهى عن الانتباز فيها؛ لأنها تسرع الشدة فيها لأجل دهنها. المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٤٨.

(٣) النقير: أصل النخلة ينقر وسطه ثم ينبذ فيه التمر ويلقى عليه الماء ليصير نبيذا مسكراً. المصدر نفسه، ج ٥، ص ١٠٤.

(٤) المزفت: من الأوعية هو الإناء الذي طلى بالزفت. وهو نوع من القار، ثم انتبذ فيه. ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٢، ص ٣٠٤.

(٥) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان، ج ١، ص ٣١، ح (٥٣).

وإكرامهم إياهم، فأخبروه أنهم خير إخوان أَلانوا فراشهم، وأطابوا مطعمهم، وباتوا وأصبحوا يعلمونهم كتاب الله وسنة نبيه، فأعجب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك وفرح به، ثم عرضوا عليه ما تعلموه من كتاب الله، والسنن والتحيات، ثم سألهم هل معهم من أزوادهم شيئاً ففرحوا، وابتدروا رحالهم، وجاء كل واحد منهم بصرة تمر ووضعوه أمام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم إنه مدح تمرهم البرني، فلما رجعوا من وفادتهم أكثروا الغرس منه، وعظمت رغبتهم فيه^(١) ولم تكن له تلك المنزلة قبل ذلك.

ورجع القوم إلى ديارهم بعد أن تفقهوا، وأجازهم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما هي عادته مع الوفود.



(١) الإمام أحمد: المسند، ج ٣، ص ٤٣٢.

❖ وفد حضرموت^(١) ووائل بن حجر^(٢) :

يحكي وائل بن حجر خبر قدومه إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قائلاً: «بلغنا ظهور رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنا في بلد عظيم ورفاهية عظيمة فرفضت ورغبت إلى الله وَجَّكَ وإلى رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما قدمت عليه أخبرني أصحابه أنه بَشَّرَ بمقدمي عليهم قبل أن أقدم بثلاث

(١) حضرموت: إقليم عظيم مشهور من أقاليم جزيرة العرب، وهو -جغرافياً- محدود من اليمن، وهو في جنوب الجزيرة العربية، يحده شمالاً رمل الأحقاف المتصل بما يعرف اليوم بالربع الخالي، وجنوباً بحر العدل المتصل بالمحيط الهندي، وشرقاً عمان والبحر العربي، وغرباً مقاطعة عدن. عاتق البلادي، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص ١٠١.

(٢) وائل بن حجر: بن سعد بن مسروق بن وائل بن ضمعج بن وائل بن ربيعة الحضرمي الكندي، كان ملكاً عظيماً بحضرموت بلغة ظهور النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فترك ملكه ونهض إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مسلماً فبشر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقدومه الناس قبل أن يقدم بثلاثة أيام فلما قدم قرب مجلسه وأدناه ثم قال هذا وائل بن حجر أتاكم من أرض بعيدة من حضرموت طائعاً غير مكره راغباً في الله ورسوله وفي دينه بقية أبناء الملوك اللهم بارك في وائل وفي ولده ثم أقطعه أرضاً، مات وائل بن حجر في إمارة معاوية بن أبي سفيان وذلك يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة مضت من ذي الحجة سنة أربع وأربعين ودفن في الحضارمة، وكنيته أبو هنيذة

ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي، الثقات (مراقبة: د/ محمد عبدالمعيد خان، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، الهند، ط ١، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م)، ج ٣، باب الواو، ص ٤٢٤-٤٢٥.

ليال، فلما قدمت على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَلَّمْتُ عليه فرد علي وبسط رداءه وأجلسني عليه، ثم إنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صعد المنبر وأقعدني معه. ثم حمد الله وأثنى عليه، وقال: يا أيها الناس هذا وائل بن حجر قد أتاكم من ارض بعيدة من حضر موت طائعاً غير مكره»^(١).

لقد حرص -صلوات الله وسلامه عليه- على حُسن استقباله خاصة وأنه من أسرة أقيال اليمن وملوكها.

وهذا من حسن خلقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإنزاله الناس منازلهم، واحتوائهم احتواءً يليق بمكانتهم حتى يحصل بذلك الهدف الأسمى والغاية العظمى من تغلغل الإيمان في النفوس وثباته ثباتاً راسخاً، فما أروعها من وسيلة دعوية ناجحة لدخول المدعو في الإسلام بل ولدخول من وراء المدعو من قومه في الإسلام.



(١) البيهقي: دلائل النبوة، ج ٥، ص ٣٤٩؛ ابن سد: الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٣٤٩.

❖ وفد ثقيف :

قدم وفد ثقيف إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد مقدمه من تبوك، وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد حاصرهم ثم انصرف عنهم، وقد لحق به منهم عروة بن مسعود^(١) من زعمائهم فأسلم، ورجع إلى قومه يدعوهم فقتلوه، ثم بعد ذلك ندمت ثقيف وأدركت أنه لا طاقة لها بمحاربة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولذا عزمت على إرسال وفد إلى المدينة لمقابلة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن وفدهم: كنانة بن عبد ياليل^(٢)، وعثمان بن أبي العاص^(٣) وغيرهم.

فلما دنوا من المدينة، ونزلوا وادي قناة^(٤)، ألفوا بها المغيرة بن

(١) عروة بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو الثقفي، وأمه سبيعة بنت عبد شمس. ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٤، ص ٢٣٨.

(٢) كنانة بن عبد ياليل الثقفي: من سادات ثقيف في زمانه وأشرفهم الذين قدموا على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جميعاً، وقيل: أن كنانة لم يسلم، وخرج إلى نجران، ثم إلى الروم، فمات بها كافراً. المصدر نفسه، ج ٥، ص ٣٣١.

(٣) عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد بن دحيان بن عبد الله بن همام الثقفي، نزل البصرة وأسلم في وفد ثقيف، وأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتخذته عاملاً على الطائف، ثم أبو بكر، ثم استعمله عمر على عمان والبحرين، وتوفي في عهد معاوية سنة إحدى وخمسين وقيل: خمس وخمسين، وكان لعثمان دور بارز في منع ثقيف من الردة. المصدر نفسه، ج ٤، ص ٢٢١.

(٤) وادي قناة: بالفتح، والقناة: القامة، ومنه: فلان صلب القناة، وكل خشبة عند العرب قنا كالعصا والرمح، وجمعها قنا، وقنى جمع الجمع، قاله ابن الأنباري، وقال =

شعبة^(١) يرى في نوبته ركاب أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكانت رعيتهما نوباً على أصحابه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما رأهم ترك الركاب عند الثقفين، وذهب يشتد، ليبشر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقدمهم عليه، فلقيه أبو بكر الصديق قبل أن يدخل على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأخبره عن ركب ثقيف أنهم قد قدموا يريدون البيعة والإسلام، وأن يشرط لهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شروطاً، ويكتبوا من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتاباً في قومهم وبلادهم وأموالهم، فقال أبو بكر للمغيرة: أقسمت عليك بالله لا تسبقني إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى أكون أنا أحدثه، ففعل المغيرة. فدخل أبو بكر على

الأزهري: القناة ما كان ذا أنابيب من القصب، وبذلك سميت الكظائم التي تجري تحت الأرض قنًى، والقناة: آبار تحفر تحت الأرض ويخرق بعضها إلى بعض حتى تظهر على وجه الأرض كالنهر، وبهذا سميت القنا من نواحي سنجار: وهي كورة واسعة بينها وبين البر وسكانها عرب باقون على عربيتهم في الشكل والكلام وقرى الضيف، وقناة أيضاً: واد بالمدينة وهي أحد أوديتها الثلاثة عليه حرث ومال، وقد يقال وادي قناة: قالوا: سمي قناة لأن تبعاً مرَّ به فقال هذه قناة الأرض، ياقوت الحموي: معجم البلدان، باب قناة، ج ٣، ص ٤٠١.

(١) المغيرة بن شعبة: بن أبي عامر بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب ابن عمرو بن سعد بن عوف بن قيس، وهو ثقيف الثقفي، يكنى أبا عبدالله، وقيل: أبا عيسى، وأمه امرأة من بني نصر بن معاوية، أسلم عام الخندق، وقدم مهاجراً، وقيل: إن أول مشاهدته الحديبية، وكان المغيرة رجلاً طوالاً ذا هيبة أعور أصيب عينه يوم اليرموك. ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص ١٤٤٥.

رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأخبره بقدمهم عليه، ثم عاد المغيرة إلى أصحابه، وعلمهم كيف يحيون رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلم يفعلوا إلا بتحية الجاهلية، ولما قدموا على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضرب لهم قبة في ناحية مسجده، وكان خالد^(١) بن سعيد بن العاص، هو الذي يمشي بينهم وبين رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حتى اكتتبوا كتابهم، وكان خالد هو الذي كتب كتابهم بيده، وكانوا لا يطعمون طعاماً يأتيهم من عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى يأكل منه خالد، حتى أسلموا وفرغوا من كتابهم، وقد كان فيما سألوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يدع لهم الطاغية، وهي اللات، لا يهدمها ثلاث سنين، فأبى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك عليهم فما برحوا يسألونه سنة، ويأبى عليهم، حتى سألوا شهراً واحداً بعد مقدمهم، فأبى عليهم أن يدعها شيئاً مسمى، لكنه أعفاهم من هدمها وبعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا سفيان بن حرب، والمغيرة بن شعبة ليهدماها، وقد كانوا سألوه مع ترك الطاغية أن يعفيهم من الصلاة، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فإنه لا خير في دين لا صلاة فيه، فلما أسلموا وكتب لهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) خالد بن سعيد بن العاص بن أمية الأموي، أبو سعيد، صحابي مشهور، من السابقين الأولين إلى الإسلام، هاجر إلى الحبشة ثم قدموا المدينة مع جعفر بن أبي طالب، وشهد عمرة القضاء وما بعدها واستعمله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على صدقات مذجج، وأمره أبو بكر على مشارف الشام، استشهد يوم مرج الصفر، وقيل يوم أجنادين. ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٢، ص ٩١.

كتابهم، أمر عليهم عثمان بن أبي العاص، وكان من أحدثهم سنًا، وذلك أنه كان أحرصهم على التفقه في الإسلام، وتعلم القرآن، فقال أبو بكر لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يا رسول الله، إني قد رأيت هذا الغلام منهم من أحرصهم على التفقه في الإسلام، وتعلم القرآن. وكان بلال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يأتيهم حين أسلموا وصاموا رمضان، بفظورهم وسحورهم من عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١).

وقد خرج أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبشرونه بقدوم وفد ثقيف، بدليل أنهم كانوا يتبارون في أيهم الأول يبشر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقدمهم.

وقد حاورهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الشروط التي حاولوا التمسك بها واشترطها لدخولهم الإسلام مع أنها تناقض أصول هذا الدين، وقد رفض الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تلك الشروط، إلا أنه بحكمته وحسن معاملته وحلمه وأناته وإكرامه لهم تغلب على كل الصعاب في المفاوضات، حتى دخلوا في الإسلام وتخلوا عن تلك الشروط، وأعفاهم عما يمكن إعفاؤهم منه وهو تكسير الأصنام وهدم اللات حيث أرسل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أصحابه من يهدمها ويريحهم منها^(٢).

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٣، ص ١٩٨، ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ١،

ص ٣١٢، الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٣، ص ٩٦.

(٢) محمد باشميل: موسوعة الغزوات الكبرى، ج ٢، ص ١٧٠٨.

❖ وفد عذرة^(١) :

قدم وفدهم على رسول الله ﷺ في صفر سنة تسع وعددهم اثنا عشر رجلاً، فيهم: جمرة بن النعمان العذري^(٢)، وسليم^(٣) وسعد^(٤) ابنا مالك، ومالك ابن أبي رباح، فنزلوا دار رملة بنت الحارث النجارية، ثم جاءوا إلى النبي ﷺ فسلموا بسلام الجاهلية وقالوا: نحن أخوة قصي لأمه، ونحن الذين أزاخوا خزاعة وبني بكر عن مكة، ولنا قرابات وأرحام. فقال رسول الله ﷺ: مرحباً بكم وأهلاً، ما أعرفني بكم، ما منعكم من تحية الإسلام؟ قالوا: قدمنا مرتادين لقومنا، وسألوا النبي ﷺ عن

(١) عذرة - بضم العين وسكون الذال وفتح الراء - ينسبون إلى عذرة ابن سعد هذيم بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحافي بن قضاة، وتتفرع قبيلتهم إلى أفخاذ كثيرة، ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ٤٤٨، ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب، ج ٢، ص ٣٣١.

(٢) جمرة بن النعمان بن هودة بن مالك بن سمعان العذري، كان أول من قدم صدقة بني عذرة إلى النبي ﷺ، وأشار إلى وفادته. ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ١، ص ٢٥٤.

(٣) سليم بن مالك العذري: وفد على النبي ﷺ في وفد بني عذرة، فأسلموا، وكانوا اثني عشر رجلاً. ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٣، ص ١٤٥.

(٤) سعد بن مالك العذري: قدم على النبي ﷺ في وفد بني عذرة. المصدر نفسه، ج ٣، ص ٦٣.

أشياء من أمر دينهم فأجابهم فيها وأسلموا وأقاموا أياماً، ثم انصرفوا إلى أهلهم فأمر لهم بجوائز، كما كان يجيز الوفد، وكسا أحدهم بردة^(١).

لقد كان لهدي النبي ﷺ وحسن أخلاقه ومعاملته للوفود معاملة طيبة أثراً كبيراً في تأليف قلوبهم للدخول في الإسلام وثباتهم عليه.

فقد جاءه وفد عذرة وسلموا عليه بتحية الجاهلية وبدأوا يذكر مفاخرهم ومدحهم لأنفسهم، ورحب بهم وأحسن إستقبالهم، ثم أراد أن يعرف عليه الصلاة والسلام سبب امتناعهم عن تحية الإسلام فسألهم عن ذلك، ثم شرع عليه الصلاة والسلام - بكل رحمة ورأفة - يشرح لهم تعاليم الدين حتى أسلم القوم فأغدق ﷺ عليهم العطايا وأكرمهم كما كان يكرم الوفود.

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ١ ص ٣٣١؛ ابن سيد الناس: عيون الأثر في المغازي والسير، ج ٢، ص ٢٥١؛ ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد ج ٣، ص ٦٥٧؛ الصالحى: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ج ٣، ص ٢٧٢.

❖ وفد بني تميم^(١) :

بعث رسول الله ﷺ بشر^(٢) بن سفيان، ويقال: النحام^(٣) العدوي، على صدقات بني كعب من خزاعة، فجاء وقد حل

(١) بنو تميم: بطن من طابخة وطابخة من العدنانية وهم بنو تميم بن مر بن أد بن طابخة، والتميم في اللغة: الشديد، قاله الجوهري: عن أبي عديم نقل فسمي به الرجل وكان لتميم من الولد زيد مناة، وعمرو بن الحارث قال في العبر: وكانت منازلهم بأرض نجد من هنالك على البصرة وإيها، وامتدت إلى الغري من أرض الكوفة، ثم تفرقوا بعد ذلك في الحواضر، ولم تبق منهم بادية، وورث مساكنهم غزية من طيء، وخفاجة من بني عقيل بن كعب، ومن بطونهم حنظلة، وبنو العنبر، وبنو تميم أيضاً من هذيل. القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، (تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبنانيين، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، باب التاء مع الميم، ص ١٨٨.

(٢) بشر بن سفيان في الإصابة في القسم الأول بشير بن سفيان العتكي، لما توجه النبي ﷺ إلى مكة عام الحديبية قدم عليه بشر، فسأله عليه الصلاة والسلام عن أهل مكة، وهل علموا بقدمه فأخبره أنهم قد علموا بقدمه، وأنهم اجتمعوا عند الكعبة وتحالفوا على صده عن البيت. ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ١، ص ١٥٦.

(٣) النحام العدوي: هو نعيم بن عبدالله بن أسيد بن عوف القرشي العدوي، المعروف بالنحام، تقدم إسلامه، لكنه لم يهاجر إلا بعد فتح مكة؛ لأنه كان ينفق على أرامل بني عدي وأيتامهم، استشهد بأجنادين في خلافة عمر سنة خمس عشرة، وقيل: أنه قتل يوم مؤتة في حياة النبي ﷺ. ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص ٧١٩؛ ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٤، ص ٢٤٦؛ ابن حجر:

بنواحيهم بنو عمرو بن جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم، فجمعت خزاعة مواشيها للصدقة، فاستنكر ذلك بنو تميم وأبوا، وابتدروا القسي، وشهروا السيوف، فقدم المصدق على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأخبره فقال: من لهؤلاء القوم؟ فانتدب لهم عيينة بن بدر الفزاري^(١)، فبعثه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في خمسين فارساً من العرب ليس فيهم مهاجري ولا أنصاري، فأغار عليهم فأخذ منهم أحد عشر رجلاً، وإحدى عشرة امرأة، وثلاثين صبيّاً فجلبهم إلى المدينة، فقدم فيهم عدة من رؤساء بني تميم، عطارذ بن حاجب^(٢)، والزبرقان بن بدر^(٣)،

= الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٦، ص ٢٤٩.

(١) عيينة بن حصن الفزاري: عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بن عمرو بن جويه بن لوذان بن ثعلبة بن عدي بن فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان الفزاري يكنى: أبا مالك، أسلم بعد الفتح، وقيل: أسلم قبل الفتح، وشهد الفتح مسلماً، وشهد حيناً أو الطائف أيضاً، وكان من المؤلفة قلوبهم، ومن الأعراب الجفاة، وكان عيينة في الجاهلية من الجرارين، يقود عشرة آلاف. ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٤، ص ٣١٨.

(٢) عطارذ بن حاجب بن نزار بن عدس بن زيد التميمي، أبو عكرمة، وفد على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واستعمله على صدقات تميم وارتد عطارذ مع من ارتد من بني تميم، وتبع سجاح، ثم عاد إلى الإسلام، وهو الذي قال:

أضحت نبيتنا أنثى نطيف بها وأضحت أنبياء الناس ذكرانا
فلعنة الله رب الناس كلهم على سجاح ومن بالكفر أغوانا

وذكر قصة وفادته مع بني تميم. الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٤، ص ٢٤٥.

وقيس بن عاصم^(٢)، وقيس بن الحارث^(٣)، ونعيم بن سعد^(٤)،
والأقرع بن حابس، ورياح بن الحارث^(٥)، وعمرو بن الأهتم^(٦).

ويقال: كانوا تسعين أو ثمانين رجلاً، فدخلوا المسجد وقد أذن
بلال بالظهر، والناس ينتظرون خروج رسول الله ﷺ
فعجلوه واستبطؤوه فنادوه: يا محمد اخرج إلينا، فخرج رسول الله
ﷺ وأقام بلال، فصلى رسول الله ﷺ الظهر ثم

(١) الزبرقان بن بدر بن امرئ القيس بن خلف بن بهدلة التميمي، السعدي، يقال كان اسمه
الحصين ولقب الزبرقان لحسن وجهه، وهو من أسماء القمر، ابن الأثير: أسد الغابة في
معرفة الصحابة، ج ٢، ص ٢٠٦؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٣، ص ٣.

(٢) قيس بن عاصم بن سنان بن منقر بن خالد، التميمي، يكنى بأبي علي وقيل: غير ذلك،
كان ممن حرم الخمر في الجاهلية، ومن سادات تميم. ابن عبد البر: الإستهيعاب في معرفة
الأصحاب، ص ٦١٧؛ ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٣، ص ٥٠٢؛ ابن
حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٥، ص ٢٥٨.

(٣) قيس بن الحارث بن يزيد بن شبل بن عم المقنع التميمي، ابن الأثير: أسد الغابة في
معرفة الصحابة، ج ٣، ص ٤٩٢؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٥، ص ٣٦٢.

(٤) قال ابن حجر: نعيم بن سعيد التميمي. ذكره ابن سعد فيمن قدم في وفد تميم على النبي
ﷺ. ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٦، ص ٣٨١.

(٥) رياح بن الحارث التميمي المجاشعي. ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٢،
ص ٢١٥.

(٦) عمرو بن الأهتم بن سمي بن خالد التميمي المقري، أبو نعيم، ويقال: أبو ربعي، واسم
أبيه الأهتم: سنان. ابن عبد البر: الإستهيعاب في معرفة الأصحاب، ص ٥٦٢؛ ابن الأثير:
أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٣، ص ٣٥٣؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة،
ج ٤، ص ٢٨٥.

أتوه، فقال الأقرع: يا محمد ائذن لي فوالله إن مدحي لزين، وإن ذمي لشين، فقال له رسول الله ﷺ: كذبت، ذلك الله تبارك وتعالى، ثم خرج رسول الله ﷺ، فجلس وخطب خطيبهم وهو عطارد بن حاجب، فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس بن شماس: أجبه، فأجابه، ثم قالوا: يا محمد ائذن لشاعرنا، فأذن له، فقام الزبرقان بن بدر فأنشد، فقال رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت^(١): أجبه، فأجابه بمثل شعره، فقالوا: والله لخطيبه أبلغ من خطيبنا، ولشاعره أشعر من شاعرنا، وهو أحلم منا، وقال رسول الله ﷺ في قيس بن عاصم: هذا سيد أهل الوبر، ورد عليهم رسول الله ﷺ الأسرى والسبي، وأمر لهم بالجوائز، كما كان يجيز الوفد^(٢).

(١) حسان بن ثابت: بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد بن عدي بن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج شاعر رسول الله ﷺ المُنَافِخ عنه، والمناضل المؤيد بروح القدس، يُكنى: أبا عبد الرحمن، وقيل: أبا الوليد، وكان يكنى أيضاً بأبي الحسام لمنازلته عن رسول الله ﷺ بلسانه الغازي به أعراض المشركين، عاش مائة وعشرين سنة، شجاع اللسان، لم يكن ممن يشهد الوغى، ولا يهتز إلى اللقاء ليتحصن بالأطام ويناضل بالكلام، روى عنه أبو هريرة، وعائشة، وابنه.
أبو نعيم: أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن موسى الأصبهاني، معرفة الصحابة، (تحقيق: عادل يوسف الفزاري، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م).

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج١، ص٢٩٤.

إن وفد بني تميم حين حضر إلى المدينة النبوية للقاء الرسول الكريم، تعالت أصواتهم وهم ينادون رسول الله ﷺ من وراء حجراته: أن اخرج إلينا يا محمد؟ فأذى ذلك الرسول ﷺ ومع هذا خرج إليهم، فقالوا: يا محمد جئناك نفاخر بك، فأذن لشاعرنا وخطيبنا، قال: قد أذنت لشاعركم ولخطيبكم، فليقل.

فرد خطيب وفد تميم عطار بن حاجب المفاهيم الجاهلية من الفخر والمدح وكذا شاعرهم، ثم أجاب عليه خطيب المسلمين ثابت بن قيس بالمفاهيم الإسلامية الراسخة وبعد أن انتهى خطيب المسلمين من قوله، قام شاعر المسلمين حسان بن ثابت من بعده فرد على شاعرهم، فاعترف وفد تميم بحسن أخلاق المسلمين وحلمهم وعلى رأسهم رسول الله ﷺ الذي تجاوز عن ما فعلوه من عدم الاستئذان، ورفع أصواتهم فوق صوت النبي، بل استقبلهم-صلوات الله وسلامه-عليه واستجاب لمطالبهم في حلم وروية، وأطلق لهم أسراهم حتى أسفر ذلك التعامل الرائع مع الوفد عن إسلامهم، فحسن الأخلاق، وطيب المعاملة تفوقت على الفخر والتعالي، وهي جديرة بأن يعيد التمسك بها للمسلمين سالف عزتهم في نشر الدين الإسلامي.



الفصل الثاني

الكرم والعطاء والوفاء

وفيه مبحثان:

☆ المبحث الأول: عطاياه يوم حنين.

☆ المبحث الثاني: أثر كرمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ووفائه.

المبحث الأول

عطاياه يوم حنين

وفيه :

تمهيد: عطاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم حنين للمؤلفة قلوبهم.

- (١) عطاؤه لأبي سفيان صخر بن حرب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
- (٢) عطاؤه لحكيم بن حزام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
- (٣) عطاؤه لسهيل بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
- (٤) عطاؤه لصفوان بن أمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
- (٥) معاملته للنضير بن الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
- (٦) معاملته لعيينة بن حصن الفزاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
- (٧) تعامله مع الأقرب بن حابس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
- (٨) تعامله مع العباس بن مرداس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
- (٩) إكرامه للشيماء بنت الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وقومها.
- (١٠) تعامله مع مالك بن عوف النصري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

تمهيد

عطاء النبي ﷺ يوم حنين للمؤلفة قلوبهم

كان العطاء والكرم المحمدي من مجالات الترغيب التي تؤلف القلوب، وتنزع ما فيها من غل وحسد ليحل محلها الحب والإخاء، ولقد كان رسول الله ﷺ يعطي حينما يجد للعطاء نفعاً للإسلام ويمنع حينما يرى للمنع حكمة، فالنفوس مجبولة على حب من أحسن إليها، والعطاء يورث المحبة وكثرته تفعل الأعاجيب خاصة إذا لم يتبعه من ولا أذى.

فقد كان النبي ﷺ يرغب الناس في دين الله ويحبهم إليهم بالعطاء والإحسان الذي ترتاح له النفوس وتقبل نحو صاحبه بالحب والقرب.

ولعطاء المال أثر عظيم، حيث أن النفوس تحب من يجزل لها العطاء، وتتشوق إلى من يحسن إليها، فقد أعطى النبي ﷺ من غنائم حنين أشراف قريش وزاد لهم في العطاء لتأليف قلوبهم وترغيبهم في الإسلام، كما أعطى آخرين قريبي عهد بالإسلام ليزيد حُبهم للإسلام فهم مجبولون بطبعهم على حب الأموال والغنائم والمنفعة الدنيوية خاصة وأن الإيمان لم يتمكن من قلوبهم بعد.

إن سخاء النبي ﷺ وإعطائه الأموال الكثيرة لأشراف قريش من المرغبات التي ترغب الضعفاء فضلاً عن الأقوياء في

الإسلام وتعاليمه، كما ترغب غير المسلمين في إمعان النظر والفكر في الإسلام وفضله؛ لأنه يجمع بين سعادة الدنيا ونعيم الآخرة^(١).

فما ظنك بعتاء قوى الإسلام وأهله وأذل الكفر وحزبه واستجلب به رؤوس القبائل والعشائر الذين إذا غضبوا غضب لغضبهم أتباعهم، وإذا رضوا رضي الاتباع لرضاهم؛ فإذا أسلم هؤلاء الزعماء لم يتخلف عنهم أحد من قومهم فله ما أعظم موقع هذا العطاء وما أجده وأنفعه للإسلام وأهله^(٢).

فهذا العطاء والكرم يهيج العواطف محبة ووداداً، ويثير النفوس تقرباً وفداءً.

إنها الحكمة التي تملي على الداعية اختيار الأسلوب الذي يلامس المشاعر، ويحرك الأحاسيس، ويطيب النفوس، ويزيل الأحقاد وغلها، وفي هذا العطاء تنبيهاً إلى عظم الكرم والجود الذي اتصف به النبي ﷺ وكان له أثر فعال في ميل النفوس نحوه محبة وتقديراً، وتقرباً إلى الإسلام تقرباً مرضياً.



(١) انظر: أسلوب الترغيب في دعوة النبي ﷺ، (رسالة ماجستير، سليمان بن عبدالعزيز الدويش، قسم الدعوة والاحتساب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية)، ص ٢٤٠.

(٢) ابن القيم: زاد المعاد في هدي خير العباد، ج ٢، ص ١٩٢-١٩٣.

١- عطاؤه لأبي سفيان صخر بن حرب^(١)

كان تاجراً يجهز التجار بهاله وأموال قريش إلى الشام وغيرها من أرض العجم. ويقال: كان أفضل قريش في الجاهلية رأياً ثلاثة: عتبة، وأبو جهل، وأبو سفيان. فلما أتى الله بالإسلام أدبروا في الرأي، ثم قتل عتبة وأبو جهل في بدر، وبقي أبو سفيان رئيساً وزعيماً ومحارباً لله ورسوله والمؤمنين، لكن جاء الله به يوم أن باغت رسول الله قريشاً في فتح مكة، فقد أتى به العباس بن عبدالمطلب ليلة الفتح إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسأله أن يؤمنه فلما رآه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له: «ويحك يا أبا سفيان أما آن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله؟» فقال: بأبي أنت وأمي ما أوصلك وأحلمك وأكرمك «والله لقد ظننت أنه لو كان مع الله إلهاً غيره لقد أغنى عني شيئاً بعد، فقال: «ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله» قال: بأبي أنت وأمي، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك! أمّا هذه والله فإن في النفس منها حتى الآن شيئاً. فقال له العباس: ويحك أسلم وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن تضرب عنقك. قال. فشهد شهادة الحق، فأسلم، قال العباس: قلت: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل يحب هذا

(١) أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية الأموي رأس قريش في وقته، وكان من دهاة العرب، ومن أهل الرأي والشرف فيهم. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ١٠٦.

الفخر، فاجعل له شيئاً، قال: « نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن »^(١).

وقد منَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على قريش بعد الفتح فقال: « اذهبوا فأنتم الطلقاء » وذهب مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى حنين من هؤلاء الطلقاء ألف رجل^(٢)، وكثير منهم قد دخل الإسلام، وقد تألف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قلوب الأفراد للدخول في الإسلام وتمكينه في قلوبهم تمكيناً ثابتاً ملازماً لقلوبهم ومن هؤلاء أبو سفيان بن حرب، وكان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتألف قلوب قوم ضعيف إيمانهم، أو لحدثة عهدهم، فيغدق عليهم العطايا مما كان له أثر مباشر في زيادة إيمانهم وتمسكهم بالإسلام، ويظهر هذا الأثر جلياً في تخصيص هؤلاء القوم بالعطايا أو الزيادة فيه على غيرهم كما كان ذلك بعد حنين مع أبي سفيان وغيره وقد كان أسلم من قبل، لكن هذا العطاء كان السبب المباشر في ثباته وزيادة إيمانه.

وشهد أبو سفيان حنيناً مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان ممن أغدق عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأعطاه مئة بعير وأربعين أوقية من الفضة، وأعطى ابنه معاوية ويزيد لكل واحد منهما مئة بعير وأربعين

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٤، ص ٣٤١.

(٢) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٣٤٩.

أوقية^(١).

والملاحظ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استخدم مع أبي سفيان التأليف المعنوي بأشهر ذكره حينما قال: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، وباستمالة قلبه في العفو عنه يوم فتح مكة، ثم بالتأليف المادي بإكرامه وأولاده بالعطاء الجزيل يوم حنين.

ولقد أشار القرآن الكريم بما لهذا الأسلوب من أثر عظيم في الدعوة إلى الله تعالى وكيف أنه بوجوده يكون الأثر العظيم، وبانتفاء هذا الأسلوب -التأليف المعنوي خاصة- يكون الأثر سلبياً على واقع الدعوة.

قال تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِظَ الْقَلْبُ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾^(٢) وقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بِكَ قُلُوبُهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٣).

لقد جمع الله القلوب على يديه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشمل الناس كلهم بعطفه وبره ورحمته، كان يعفو ويصفح ويتجاوز عن المسيء، ويعتذر

(١) الواقدي: محمد بن عمرو بن واقد، المغازي، (تحقيق: مارسدن جونس، ط ١، عالم

الكتب، بيروت، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م)، ص ٦٢٨.

(٢) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٦٣.

للمخطئ، وبهذه وتلك ألفتها القلوب، وجمع الله به الشمل، ولو لم يكن ذلك لم يستقم له الأمر، ولا انفض الناس من حوله^(١).

ولقد جاءت السنة النبوية مؤكدة لهذا النوع من التأليف، فقد كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوصي أصحابه ويحثهم على التعامل مع الناس بالخلق الحسن، الذي هو أساس تأليف القلوب معنوياً، فمرة يبين منزلة صاحب الخلق الحسن، ومرة يوصي بذلك، ومما جاء في هذا الصدد وصيته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ روى الترمذي عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال لي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اتق الله حيثما كنت، واتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»^(٢).

وبالفعل عفى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أبي سفيان وأعطاه الأمان، فكان أثره المباشر إسلامه ولكن رغبة في ثباته على الإيمان وزيادته في قلبه استعمل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معه الأسلوب المادي لتأليف قلبه فأكرمه رسول الله بالعتاء يوم حنين حتى كان ذلك سبباً في زيادة إيمانه وثباته على الحق وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ فُلُؤُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ

(١) سليمان العودة: قضايا ومباحث في السيرة النبوية، (ط ١)، دار الإسلام، الرياض، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م)، ص ١٠٧.

(٢) الترمذي، سنن الترمذي، كتاب: البر والصلة، باب ما جاء في معاشره الناس، ج ٤، ص ٣٥٥، ح (١٩٨٧).

وهذه الآية عامة في جواز تأليف القلوب على الإسلام وغيره من المقاصد الدعوية المؤكدة ولم تفرق الآية بين أن يكون المؤلف مسلماً يراد تقويته على الإسلام، أو كافراً يراد هدايته أو كفاية شره (٢).

فقد أعطى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تأليفاً للقلوب، ولم يفرق في عطائه بين مؤمن وكافر، ولا بين أن يكون المال الذي يتألف به القلوب من أموال الزكاة أم لا، وإنما كان منهج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واضحاً وهو التعميم. فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رجلاً سأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غنماً بين جبلين فأعطاه إياه، فأتى قومه فقال: أي قوم أسلموا فوالله إن محمداً ليعطى عطاء ما يخاف الفقر. فقال أنس: إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها (٣).

إن دخول المدعو في الإسلام يمثل المرحلة الأولى من مراحل دعوته، ويأتي بعد ذلك مراحل ليتقدم في إسلامه ويزداد في إيمانه

(١) سورة التوبة، آية: ٦٠.

(٢) السعدي: عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ص ٣٠١.

(٣) النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئاً قط فقال: لا وكثرة عطائه، ج ١٥، ص ٧٢، ح (٥٩٧٥).

بالتعليم والتربية والعبادة، لقد أوضح شيخ الإسلام ابن تيمية حال الأعراب في سورة الحجرات فقال: « وهذا حال أكثر الداخلين في الإسلام ابتداء، بل حال أكثر من لم يعرف حقائق الإيمان، فإنه مسلم ملتزم طاعة الرسول، ولم تدخل إلى قلبه المعرفة بحقائق الإيمان، فإن هذا إنما يحصل لمن تيسرت له أسباب ذلك، إما بفهم القرآن وإما بمباشرة أهل الإيمان والاقتداء بما يصدر عنهم من الأقوال والأفعال، وإما بهداية خاصة من الله يهديه بها، والإنسان قد يظهر له من محاسن الإسلام ما يدعوه إلى الدخول فيه، وإن كان قد ولد عليه وتربى بين أهله فإنه يحبه، فقد ظهر له بعض محاسنه وبعض مساوئ الكفار..... والشواهد دالة على أن من أهم أسباب الدخول في الإسلام تأليف القلوب بالمال وغيره »^(١).

وهذا هو أبو سفيان بن حرب قد جاء إلى رسول الله عند تقسيم غنائم حنين وكان بين يديه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الفضة فقال: يا رسول الله، أصبحت أكثر قريش مالاً. فتبسم رسول الله. وقال: أعطني من هذا المال يا رسول الله؟ قال: يا بلال زن لأبي سفيان أربعين أوقية وأعطوه مئة من الإبل، قال أبو سفيان: ابني يزيد أعطه. قال رسول الله: زنوا يزيداً أربعين أوقية وأعطوه مئة من الإبل، قال أبو سفيان: ابني معاوية يا رسول الله: قال: زن له يا بلال أربعين أوقية وأعطوه مئة من الإبل،

(١) ابن تيمية: أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام، الإيمان، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط ٥، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ص ٥٠.

قال أبو سفيان: إنك لكريم فداك أبي وأمي ولقد حاربتك فنعم
المحارب كنت، ثم سالمتك فنعم المسلم أنت، جزاك الله خيراً^(١).

فالعطاء على الإسلام هو المنهج النبوي حيث كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لا يرد سائلاً بل يغدق ويكرم ويزيد في العطاء حتى تظهر الثمرة
ويبرز الأثر وهو انشراح الصدر للإسلام وتمكنه في قلب صاحبه
فيكون حينئذ حب الله ورسوله أعظم من الدنيا وما فيها.



(١) الواقدي: المغازي، ص ٦٢٨.

٢ - عطاؤه لحكيم بن حزام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١)

وكان من سادات قريش، وكان صديقاً لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل البعثة، واستمرت المودة والمحبة بعد البعثة، لكن تأخر إسلامه حتى عام الفتح^(٢). وكان قد شهد بدرًا مع الكفار ونجا منهزمًا^(٣). وبالنظر في شخصية حكيم بن حزام قبل إسلامه نجده في مكانة مرموقة بين سادات قريش، كما نجده على فطرته السليمة لم يتأثر بما حوله من فساد.

قال الزبير: جاء الإسلام وفي يد حكيم الرفدة، وكان يفعل المعروف ويصل الرحم وفي الصحيح أنه سأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أرأيت أشياء كنت أفعلها في الجاهلية، ألي فيها أجر؟ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أسلمت على ما سلف لك من خير»^(٤).

(١) هو حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي الأسدي، ابن أخي خديجة أم المؤمنين زوج رسول الله. ابن عبد البر، الاستيعاب معرفة الأصحاب، ص ٢٠١؛ ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة ج ٢، ص ٤٤؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٢، ص ٩٧.

(٢) ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٢، ص ٩٧.

(٣) ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٢، ص ٤٤.

(٤) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان حكم عمل الكافر إذا أسلم بعده، ج ١، ص ٩٧ ح (٣٤٠).

وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من المؤلفة قلوبهم، أعطاه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم حنين مائة بعير.

قال ابن إسحاق: أعطى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم حنين المؤلفة قلوبهم، وكانوا أشرافاً من أشراف الناس يتألفهم ويتألف بهم قومهم، وأعطى من بينهم «حكيم بن حزام مئة بعير»^(١).

ولحكيم بن حزام قصة مع رسول الله تدل على تأثره بوعظ رسول الله له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد «سأل حكيم بن حزام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يعطيه من الغنائم فأعطاه، ثم سأله فأعطاه، ثم قال له يا حكيم، إن هذا المال خَصْرَةٌ حُلُوة، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى» قال حكيم: فقلت يا رسول الله، والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحداً بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا، فكان أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يدعو حكيماً إلى العطاء، فيأبى أن يقبله منه، ثم إن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دعاه ليعطيه، فأبى أن يقبل منه شيئاً، فقال عمر: إني أشهدكم يا معشر المسلمين على حكيم أني أعرض عليه حقه من هذا الفيء فيأبى أن يأخذه، فلم يرزأ حكيم أحداً من الناس بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كما وعده - حتى توفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٢).

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٤، ص ٤١٨.

(٢) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب الزكاة، باب الاستغفار عن المسألة، ج ١،

وأسلم حكيم بن حزام إسلاماً ملك عليه قلبه، وآمن إيماناً خالط دمه ومازج قلبه، وآلى على نفسه أن يكفر عن كل موقف وقفه في الجاهلية، أو نفقة أنفقها في عداوة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأمثال أمثاله وقد بر بقسمه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من ذلك أنه آلت إليه دار الندوة وهي دار عريقة ذات تاريخ، ففيها كانت قريش تعقد مؤتمراتها في الجاهلية، وفيها اجتمع ساداتهم وكبرأؤهم ليتآمروا برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فأراد حكيم بن حزام أن يتخلص منها -وكانه كان يريد أن يسدل ستاراً من النسيان على ذلك الماضي البغيض- فباعها بمئة ألف درهم، فقال له ابن الزبير: بعت مكرومة قريش، فقال حكيم: « ذهب المكارم إلا التقوى »^(١).

وحج حكيم بعد إسلامه، ومعه مئة بدنة قد جللها بالحبرة أهداها، ووقف بمئة وصيف مملوك بعرفة في أعناقهم أطواق الفضة منقوش فيها: عتقاء الله عن حكيم بن حزام، وأهدى ألف شاة، وكان جواداً فاضلاً تقياً سيداً بهاله غنياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه^(٢).

= ص ٥٨٠، ح (١٤٧٢)؛ مسلم: صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب أن اليد العليا خير من اليد السفلى وأن اليد العليا هي المنفعة وأن السفلى هي الآخذة، ج ٣، ص ٩٤، ح (٢٤٣٤).

(١) ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ص ٢٠١.

(٢) ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٢، ص ٤٤.

فهذه هي النتيجة التي كان يتوخاها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قسم الغنائم على أولئك تأليفاً لقلوبهم، نظراً لقرب عهدهم بالإسلام، وعدم تمكن معاني الإسلام من قلوبهم، ويعبر هذا الموقف عن دقة نظر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعمق معرفته بدخائل النفوس البشرية وما يقوم اعوجاجها، حيث أعطى الأعطيات السخية وبذل المنح الكثيرة لأعراب يعادونه، وطلاقاً لم يتمكن الإيمان بعد من قلوبهم لعلهم يؤمنون^(١).

وقد كان لوعظ رسول الله لحكيم بن حزام بعد أن أعطاه وأكرمه بالغ الأثر في نفس حكيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



(١) محمد أمخزون: منهج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدعوة من خلال السيرة الصحيحة، (ط ١، دار السلام، القاهرة، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م)، ص ٢١٩.

٣ - عطاؤه لسهيل بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١)

وقد وقف سهيل بن عمرو أثناء كتابة الصلح مواقف صارمة متشددة استفزازية قابلها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحلمه فلم تؤثر عليه في اتخاذ قراره الصائب في إمضاء الصلح رغم ذلك كله.

ودافعه إلى ذلك رغبته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الملحة في المحافظة على حرمة مكة، وتجنب القتال فيها، ولما أراه الله ما يترتب على هذا الصلح من مصلحة للإسلام والمسلمين، ولذلك قال -عليه الصلاة والسلام-: « لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمان الله إلا أعطيتهم إياها » (٢).

وقد أسر سهيل يوم بدر كافراً، وعندما أسر سهيل بن عمرو، قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا رسول الله: انزع ثنيته يدلع لسانه فلا

(١) هو سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي بن غالب القرشي العامري: يكنى: أبا يزيد، وكان أحد الأشراف من قريش، وسادتهم في الجاهلية، وخطيب قريش، وفصيحهم، وكان رئيس وفد قريش في مفاوضات الحديبية. ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص ٣٤٤؛ ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٢، ص ٣٩٦؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ١٢٤؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٣، ص ١٣٩.

(٢) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، ج ٢، ص ٤٩٠، ح (٢٧٣١ - ٢٧٣٢).

يقوم عليك خطيباً أبداً، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا أمثل به فيمثل الله بي وإن كنت نبياً ولعله يقوم مقاماً لا تكرهه»^(١)، وظل سهيل بن عمرو على موقفه تجاه الإسلام إلى أن امتن الله على رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالنصر من غير قتال ودخل مكة فاتحاً منتصراً.

ولم يكن سهيل بن عمرو من المظلومين للعدالة ولا من الذين أهدر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دماءهم من أهل مكة ولكنه كان يشعر بأن إساءاته للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طوال عشرين سنة كانت بالغة فكان لذلك يخشى أن يكون عرضة للانتقام من المسلمين الذين أصبحوا سادة مكة.

ونترك سهيل بن عمرو يحدثنا عن قصته، قال: فلما دخل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكة وظهر، انقحمت ببיתי وأغلقت علي بابي، وأرسلت إلى ابني عبد الله بن سهيل أن اطلب لي جواراً من محمد، وإني لا آمن أن أقتل، وجعلت أتذكر أثري عند محمد وأصحابه، فليس أحد أسوأ أثراً مني، وإني لقيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهالم يلقيه أحد.

(١) المقرئ: تقي الدين أحمد بن علي، إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، (تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م)، ج ١، ص ١١٣.

ذهب عبدالله بن سهيل إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله، تؤمنه؟ فقال: نعم، هو آمن بأمان الله فليظهر^(١) فخرج عبدالله إلى أبيه فأخبره بمقالة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال سهيل: كان والله براً صغيراً وكبيراً، فكان سهيل يقبل ويدبر لا يعرض له أحد، وخرج إلى حنين مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو على شركه ثم أسلم طائعاً مختاراً بالجعرانة^(٢)^(٣).

وأعطاه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يومئذ من غنائم حنين مئة من الإبل^(٤).

فعلاً إنه الامتلاك الحقيقي لقلب سهيل بن عمرو بهذه المعاملة الحسنة من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهذا هو فن الدعوة إلى الله، وهذا

(١) الحاكم: المستدرک علی الصحیحین، ج ٣، ص ٣٨١، ح (٥١٨٥)؛ الصالحی: سبل الهدی والرشاد فی سیرة خیر العباد، ج ٥، ص ٢٥٠؛ الواقدي: المغازی، ص ٥٦٩؛ المقریزی: إمتاع الأسماع، ج ١، ص ٣٩٧.

(٢) الجعرانة: ترددت في السيرة، جمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الغنائم والسبي من يوم حنين بالجعرانة، ومنها اعتمر، ولا زالت تعرف في رأس وادي سرف في الشمال الشرقي من مكة، يعتمد فيها المكيون، وبها مسجد، وقد عطلت بئرها اليوم، وكانت عذبة الماء يُضرب المثل بعذوبته. عاتق البلادي: المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية، ص ٧٢.

(٣) الواقدي، المغازی، ص ٥٦٩؛ المقریزی: إمتاع الأسماع، ج ١، ص ٣٩٧.

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٦، ص ٩؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٣، ص ١٧٩.

هو التصرف الرحيم من النبي الكريم، القدوة لنا أجمعين ولا يخفى على أحد أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ امتلك قلوب بني عامر جميعاً بتساهله وتسامحه وإكرامه لسهيل بن عمرو وزعيم بني عامر.

وكان سهيل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كثير الصلاة والصوم والصدقة ويقال: إنه صام وتهجد حتى شحبت لونه وتغير، وكان كثير البكاء إذا سمع القرآن^(١).

وقد استشهد يوم اليرموك وقيل: بل مات في طاعون عمواس^(٢) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه^(٣).

(١) ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص ٣٤٤، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ١٢٤.

(٢) طاعون عمواس: يسكون الميم وهو أول طاعون كان في الإسلام بالشام، وكان هذا الطاعون في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، سنة ثمان عشرة، ومات فيه جماعة من الصحابة، وعمواس من أسماء البقاع، وهي قرية بالشام عُرف الطاعون بها، لأنه منها بدأ، وقيل: إنها سمي طاعون عمواس، لأنه عمّ وآسى: أي جعل بعض الناس أسوة بعض. الزبيدي: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، (دار الهداية، د ط، د ت)، باب (ع م و س)، ج ١٦، ص ٢٨٧.

(٣) ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ص ٣٤٤، ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٣، ص ١٣٩، ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٢، ص ٣٩٦.

وصدق سهيل بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين قال: والله لا أدع موقفاً
وقفته مع المشركين إلا وقفت مع المسلمين مثله، ولا نفقة أنفقتها مع
المشركين إلا أنفقت على المسلمين مثلها، لعل أمري أن يتلو بعضه
بعضها^(١).



(١) ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٣، ص ١٧٩.

٤- عطاؤه لصفوان بن أمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١)

كان أبوه من أشد المعاندين للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن الذين قتلوا في بدر، وورث صفوان بن أمية الكراهية للإسلام والمسلمين من أبيه، وحارب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكل طاقته، وكان ممن التف حول ظهر المسلمين في أحد هو وخالد بن الوليد (٢) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، واشترك في قتل سبعين من شهداء الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وقاتل في غزوة الأحزاب،

(١) هو صفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي، يكنى أبا وهب، وقيل: أبو أمية. ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص ٣٦٥؛ ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٢، ص ٤٥٢؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٤، ص ١٤٨؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٣، ص ٣٥٨.

(٢) خالد بن الوليد: المخزومي أبو سليمان وقيل: هو خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، أمُّه: لبابة بنت الحارث بن حزن بن بجير بن الهزم بن رؤيبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة، أخت ميمونة زوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أسلم قبل الفتح بعد الحديبية وشهد مؤتة والفتح، وحينئذٍ جعله الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم الفتح على مقدمته وكان إسلامه مع إسلام عمرو بن العاص، وعثمان بن طلحة، ثلاثهم أسلموا وهاجروا، فاستبشر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهم، فقال: (ألقت إليكم مكة أفلاذ كبدها) فسماه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سيف الله المسلول على الكفار، وكان العذاب المصوب على المنافقين والفجار، فتح الله به الفتوح، وفُضَّ به الجموع، توفي بحمص سنة إحدى وعشرين. أبو نعيم: معرفة الصحابة، ج ٢، ص ٩٢٥-٩٢٦.

بل كان من الذين رفضوا الأمان وشاركوا في عملية القتال داخل مكة المكرمة يوم الفتح، وكان قد سبق أن دبر محاولة لقتل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد قتل أبيه في بدر، وكانت هذه المحاولة بينه وبين عمير بن وهب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان عمير وقتها لا يزال كافراً، وفيها تعهد صفوان بن أمية لعمير بن وهب أن يتحمل عنه نفقات عياله، وأن يسدّد عنه دينه في نظير أن يقتل عميرُ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأسلم عمير بن وهب في المدينة المنورة بعد أن أخبره الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما دار بينه وبين صفوان في حجر الكعبة^(١).

ومرت الأيام وجاء فتح مكة ودخلها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظافراً منتصراً لكنه لم يفعل كما يفعل الملوك في مثل تلك المواقف من إفساد الحرث والنسل وإنما دخلها وهو ملئ حِلماً وعفواً وصفحاً وهو يقول: « هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة » ولما تمكن من الفتح العظيم، وقبض على ناصية الجبابرة الطغاة، وهم لا يدرون ما سيفعل بهم، غير أنهم كانوا يطمعون في حلمه وكرمه كما عهدوا منه، ولهذا كان جوابهم لما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ما ترون أني فاعل بكم؟ قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم.

لكن صفوان بن أمية خرج من مكة هارباً يريد جُدّة ليركب منها إلى اليمن، فقال عمير بن وهب: يا نبي الله، إن صفوان بن أمية

(١) الصالحى: سبل الهدى والرشاد في سيرة خيرة العباد، ج ٥، ص ٢٤٠.

سيد قومه، وقد خرج هارباً منك، ليقذف نفسه في البحر، فأمنه يا رسول الله قال: « هو آمن » قال: يا رسول الله، فأعطني آية يُعرف بها أمانك، فأعطاه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عمامته التي دخل فيها مكة، فخرج بها عمير حتى أدركه وهو يريد أن يركب في البحر، فقال: يا صفوان، فذاك أبي وأمي، أَلله في نفسك أن تهلكها، فهذا أمان من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد جئتكَ به، قال: ويحك! أغرب عني فلا تكلمني، قال: أي صفوان، فذاك أبي وأمي، أفضل الناس، وأبر الناس، وأحلم الناس، وخير الناس، ابن عمك، عزه عزك، وشرفه شرفك، وملكه ملكك، قال: إني أخافه على نفسي قال: هو أحلم من ذاك وأكرم فرجع معه، حتى وقف به على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال صفوان: إن هذا يزعم أنك قد أمنتني، قال: « صدق » قال: فاجعلني فيه بالخيار شهرين، قال: أنت بالخيار بل تسير أربعة أشهر»^(١).

وحينما أراد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الخروج إلى حنين وقد ذكر له أن عند صفوان بن أمية أدرعاً وسلاحاً، فأرسل إليه وهو يومئذ مشرك، فقال: « يا أبا أمية، أعرنا سلاحك هذا نلق به عدونا غداً فقال صفوان: أغصباً يا محمد؟ قال: بل عارية مضمونة حتى نؤديها إليك، قال: ليس بهذا بأس، فأعطاه مئة درع بما يكفيها من السلاح، وسأله

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٤، ص ٣٥٣.

أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يكفيهم حملها، ففعل^(١).

وقد خرج رجال من أهل مكة على غير دين ركبناً ومشاة ينظرون لمن تكون الدائرة فيصيبون من الغنائم، ولا يكرهون أن تكون الهزيمة لمحمد وأصحابه، فمر بصفوان رجل منهم، فقال: أبشر أبا وهب، هُزِمَ محمد وأصحابه، فقال له صفوان: إن رباً من قريش أحب إليّ من رب من هوازن^(٢) إن كنتُ مربوباً^(٣)، ومعنى مربوباً أي محكوماً.

وكان المسلمون قد غنموا بعد انتصارهم في موقعة حنين غنائم عظيمة، ورأى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يتألف الطلقاء والأعراب من هذه الغنائم لحداثة عهدهم بالإسلام، فأعطى لزعماء قريش، وغطفان^(٤)

(١) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٣٧٣.

(٢) هوازن: بفتح الهاء والواو وبالزاي والنون، وهم بنو هوازن بن منصور ابن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان، وهم الذين أغار عليهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وغزاهم، ومن هوازن عزة بن جشم بن معاوية بن أبي بكر بن هوازن منهم: دريد بن الصمة، وقال في العبر: ومنازلهم مع قومهم بني جشم بالسراوات بين تهامة ونجد، ومن هوازن أيضاً: عامر بن صعصعة وهم: بنو صعصعة بن معاوية بن هوازن. القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، (تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، ص ١١٥.

(٣) انظر: الواقدي: المغازي، ص ٥٩٨.

(٤) غطفان: الغطفاني بفتح الغين والطاء المهملة والفاء وبعد الألف نون، هذه النسبة إلى

وتميم وغيرهم عطاء عظيمًا، إذ كانت عطية الواحد منهم مائة من الإبل، ومن هؤلاء: صفوان بن أمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بل زاده عليهم.

وكان صفوان مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يتصفح الغنائم؛ وإذا مر بشعب فيه غنم وإبل ورعاؤها مملوء، فأعجب صفوان وجعل ينظر إليه، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أعجبك يا أبا وهب هذا الشعب؟ قال: نعم، قال: هو لك وما فيه، فقال صفوان: أشهد ما طابت بهذا نفس أحد قط إلا نبي، وأشهد أنك رسول الله»^(١).

وفي صحيح مسلم «أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعطى صفوان بن أمية مئة من النعم، ثم مئة ثم مئة»^(٢).

= قبيلة كبيرة من قيس عيلان وهو غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان ينسب إليه كثير من العلماء منهم ربعي بن حراش العبسي الغطفاني يروي عن عمرو حذيفة وغيرهما، وأيضاً غطفان جذام وغطفان بن قيس بن جُهينة بطن من جهينة بن زيد بن ليث، ويقال: الغطيفي بضم الغين وفتح الطاء وسكون الياء آخر الحروف وفي آخرها فاء، هذه النسبة إلى غطيف بن عبدالله بن ناجية بن مراد وهو بطن من مراد ينسب إليه خلق كثير منهم فروة بن مسيك الغطيفي المرادي له صُحبة وروى عنه كثير. ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، باب الغين والطاء المهملة، ج ٢، ص ٣٨٦.

(١) الواقدي: المغازي، ص ٦٢٩.

(٢) النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئاً قط فقال لا وكثرة عطائه، ج ١٥، ص ٧٣، ح (٥٩٧٦).

وهذا الموقف الكريم منه-عليه الصلاة والسلام- كان سبباً في إسلام صفوان بن أمية وإنقاذه من النار، وقد كانت لصفوان مواقف مشهودة ماثورة بعد ذلك في فتوح الشام.

فقد تألف النبي ﷺ قلب صفوان بن أمية إلى الإسلام حتى أسلم، وذلك بإعطائه الأمان، ثم بتخيره في الأمر أربعة أشهر، ثم بإعطائه العطايا الكبيرة التي لا تصدر إلا من نبي، فأعطاه أولاً مائة من الإبل مع عدد من زعماء مكة، ثم أعطاه مائة أخرى ثم مائة ثالثة ثم أعطاه ما في أحد الشعاب من الغنم ورعائها حتى قال صفوان: ما طابت نفس أحد بها إلا نفس نبي، ثم أسلم مكانه.

وقد وصف صفوان بن أمية شعوره تجاه رسول الله ﷺ فقال: والله لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني وإنه لأبغض الناس إليّ فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليّ^(١).

إنه الكرم النبوي والجود المنقطع النظير الذي يراعي المصالح ويتألف القلوب على الإسلام وإنها الحكمة النبوية الرائعة.

وكرم النبي ﷺ وجوده ليس لأجل استمالة قلوبهم إلى باطل، وتزيينه في قلوبهم، وليس لأجل كسب ودهم وتعاطفهم مع شخصه بعيداً عن الوظيفة التي كلفه الله بها، وهي الرسالة السماوية

(١) النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله شيئاً قط فقال لا وكثرة عطائه، ج ١٥، ص ٧٣، ح (٥٩٧٦).

الخالدة، وإنما كان لهدف سام ومقصد غاية في النبل والنقاء، وهو
تأليفهم على الحق وتقريبهم له حتى يشبثوا وتخالط بشاشته قلوبهم
فصلى عليك ربي يا أكرم البشر وأنبلهم.



٥- معاملته للنضير بن الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١)

كان النضير بن الحارث هذا يكثر الشكر لله على ما منَّ به عليه من الإسلام، ولم يمت على ما مات عليه أخوه وآبؤه (٢).

ويحكي النضير بن الحارث عداوته للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنه خرج مع قومه من قريش إلى حُنين، وهم على دينهم بعد، قال: ونحن نريد إن كانت دبره على محمد أن نغير عليه، فلم يمكننا الله من ذلك. فلما صار بالجعرانة فوالله إني لعلى ما أنا عليه إن شعرت إلا برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تلقاني، فقال: النضير؟ فقلت: لبيك، قال: هذا خير مما وددت يوم حنين مما حال الله بينك وبينه، قال: فأقبلت إليه سريعاً، فقال: قد آن لك أن تبصر ما أنت فيه توضع. قلت: قد أرى أنه لو كان مع الله غيره لقد أغنى عني شيئاً، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللهم زده ثباتاً، قال النضير: فوالذي بعثه بالحق لكأن قلبي حجر ثباتاً في الدين وبصيرة بالحق، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الحمد لله الذي هداك (٣).

(١) هو النضير بن الحارث بن علقمة بن كندة بن عبد مناف بن عبدالدار بن قصي

القرشي العبدري. ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص ٧٢٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٧٢٩.

(٣) البيهقي: دلائل النبوة، ج ٥، ص ٢٠٥؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٤، ص ٣٦٤.

وقد أمر له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم حنين بمئة بعير، فأتاه رجل من بني الدليل يبشره بذلك، وقال له: أجزني منها، فقال النضير: ما أريد أخذها؛ لأنني أحسب أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يعطني ذلك إلا تألفاً على الإسلام، وما أريد أن أرتشي على الإسلام، ثم قال: والله ما طلبتها ولا سألتها، وهي عطية من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقبضها، وأعطى الديلي منها عشرة، ثم خرج إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فجلس معه في مجلسه، وسأله عن فرض الصلاة ومواقيتها، قال: فوالله لقد كان أحب إلي من نفسي، وقلت له: يا رسول الله، أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: «الجهاد والنفقة في سبيل الله»^(١).

ثم انتقل النضير إلى المدينة فلم يزل بها حتى خرج إلى الشام غازياً، وحضر اليرموك، وقتل بها شهيداً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وذلك في رجب سنة خمس عشرة^(٢).



(١) الإمام أحمد: المسند، ج ١، ص ٤١٨.

(٢) ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٧٢٩.

٦ - معاملته لعيينة بن حصن الفزاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

كان عيينة بن حصن الفزاري شخصية أعرابية عاصرت الحقبة المضيئة في تاريخ الإنسانية، وهي عصر النبي العظيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي أخبار هذه الشخصية بعض الطرافة وكثير من الغرابة، فكيف تصدر عن تشرف برؤية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟!

وقد أسلم قبل الفتح وشهد حيناً والطائف^(١)، وكان من المؤلفة قلوبهم.

ذكر ابن هشام، أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أذن بالرحيل - بأمر رسول الله - بعد حصاره للطائف، فلما استقل الناس، نادى سعيد بن عبيد^(٢) ألا إن الحيّ مقيم! فقال عيينة: أجل والله، مجدة كراماً، فقال له رجل من المسلمين: قاتلك الله يا عيينة! أتمدح المشركين بالامتناع عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد جئت تنصر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: إني والله ما جئت لأقاتل ثقيفاً معكم، ولكني أردت أن يفتح محمد الطائف، فأصيب من ثقيف جارية أتطهها لعلها تلد لي رجلاً،

(١) ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٤، ص ٦٣٣.

(٢) سعيد بن عبيد بن أبي أسيد الثقفي، أحد زعماء ورجالات ثقيف. انظر: ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٣، ص ٩٥.

فإن ثقيفاً قوم مناكير! أي ذوو دهاء وفطنة^(١).

وهذا الخبر إن صح يدل على حال عيينة في تلك الآونة، وينطبق عليه ما ينطبق على الأعراب الذين قال الله تبارك وتعالى في حقهم: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾^(٢).

يقول ابن إسحاق: "وأما عيينة بن حصن فأخذ عجوزاً من عجائز هوازن، وقال حين أخذها: أرى عجوزاً إني لأحسب لها في الحي نسباً، وعسى أن يعظم فداؤها. فلما ردّ رسول الله صلى الله عليه وسلم السبابا بست فرائض، أبا أن يردّها، فقال له زهير أبو صرد: خذها عنك، فوالله ما فوها ببارد، ولا ثديها بناهد، ولا بطنها بوالد، ولا زوجهّا بواجِد، ولا دَرّها بماكد، فردّها بست فرائض حين قال له زهير ما قال"^(٣).

ومع هذا قد تألف الرسول صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن يوم حنين فأعطاه مئة من الإبل^(٤).

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٤، ص ٤١١.

(٢) سورة الحجرات، آية: ٤١.

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٤، ص ٤١٦.

(٤) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٤١٦.

وقال سعد بن أبي وقاص^(١) في ذلك: يا رسول الله أعطيت عيينه بن حصن، والأقرع بن حابس مئة، وتركت جعيل بن سراقه الضمري^(٢) فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أما والذي نفسي بيده لجُعيل بن سراقه خير من طلاع الأرض كلها من مثل عيينه والأقرع ولكني تألفتها ليسلما، ووكلت جُعيل بن سراقه إلى إسلامه»^(٣).

(١) سعد بن أبي وقاص: واسم أبي وقاص مالك بن وهيب بن عبدمناف بن زهرة بن كلاب بن مرة، ويكنى أبا إسحاق، وأمه حمئة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، وكان أول رجل من العدل رَمَى بسهم في سبيل الله، فعن عمرو بن سلمة بن أبي بُريد، عن عمه، عن سعد بن أبي وقاص قال: (أنا أول من رمى في الإسلام بسهم، وخرجنا مع عبيدة بن الحارث في ستين راكباص)، ومات سعد بن أبي وقاص بالعقيق فحُمِلَ إلى المدينة ودفن بها. ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ١٤٧.

(٢) جُعيل بن سراقه الضمري، وقيل: الغفاري أثنى عليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ووكله إلى إيمانه، وذلك أنه أعطى أبا سفيان من الإبل، وأعطى عيينه بن حصن مئة من الإبل، وأعطى سهيل ابن عمرو مئة من الإبل، فقالوا: يا رسول الله، أتعطي هؤلاء وتدع جعيلاً؟ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «جعيل خير من طلاع الأرض من مثل هؤلاء ولكني أعطي هؤلاء وأتألفهم وأكل جعيلاً إلى ما جعل الله عنده من الإيمان». انظر: ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص ١٤٩؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٤، ص ٢٣١؛ ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ١، ص ٥٣٦؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ١، ص ٦٧٤.

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٤، ص ٤٢١؛ الواقدي: المغازي، ص ٦٣٠.

لقد كان التأليف للقلوب سمة بارزة من سمات المنهج النبوي في الدعوة إلى الله، فكان يتألف قلوب الرجال والأقوام بحسن الكلام والمعاملة وبالعطايا والأموال.

فلم يَقْصُر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عطاء غنائم حنين على الطلقاء من قريش، وإنما عم بالعطاء بعض رؤساء القبائل كعيينة بن حصن، والأقرع بن حابس، وعباس بن مرداس، لخوفه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليهم من الردة، فقد أسلموا حديثاً، وراعى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عطائهم مقاصد أخرى، من إسلام قومهم وثباتهم على الحق.

عن رافع بن خديج^(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -أبا سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية، وعيينة بن حصن، والأقرع بن حابس، كل إنسان منهم مئة من الإبل، وأعطى عباس بن مرداس دون ذلك فقال عباس بن مرداس:

أَتَجْعَلْ نَهْبِي وَنَهْبَ الْعَبِيدِ بَيْنَ عَيْنَةِ وَالْأَقْرَعِ

(١) رافع بن خديج: أبو عبدالله وهو رافع بن خديج بن رافع بن عدي بن زيد بن جُشَم بن حارثة بن حارث بن الخزرج، كان يخضب بالصفرة ويُنْفِي شاربته، وكان عريف قومه، استصغر عن بدر وأُجيز يوم أحد وكان يُعَدُّ في الرماة، أصيب بسهم يوم أحد في ثنودته فبقيت الحديدية في ثنودته تتحرك فترك فيها إلى أن توفي سنة ثلاث وسبعين بالمدينة، وكان له ست وثمانون. أبو نعيم: أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن موسى الأصبهاني، معرفة الصحابة، (تحقيق: عادل يوسف الفرازي، دار الوطن، الرياض، ط ١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م)، ج ٢، ص ١٠٤٤.

فما كان بدر ولا حابس يفوقان مرداس في المجمع
وما كنت دون امرئ منهما ومن تخفض اليوم لا يرفع
قال: فأتّم له رسول الله مئة^(١).

إن عيينة والأقرع وعباساً لم يتمكن الإسلام في قلوبهم جيداً،
بدليل تسمية العباس بن مرداس العطاء لهم من الغنيمة نهياً^(٢)، ولم
يسم ذلك بالاسم الشرعي، وهو « القسم » لأن النهب هو: أخذ
الشيء قهراً.

ولما رد المسلمون جميعاً ما عندهم من السبي اقتداءً برسول الله
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونزولاً عند رغبته في تأليف قلوب قبيلة هوازن، أبي
عيينة، والأقرع أن يردا السبي، إلا بمقابل^(٣).

ولم يكن استئلاف رؤساء القبائل وكبار القوم مقتصرًا فقط على
أموال الخمس من حنين، بل كان إذا أتاه من عماله على الأمصار مالا
من زكاة وغيره يبعث إليهم كل في ناحيته.

(١) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب: إعطاء المؤلف قلوبهم على الإسلام، ج ٧،
ص ١٦١، ح (١٠٦٠)؛ البخاري: الجامع الصحيح، كتاب أحاديث الأنبياء، باب:
قول الله ﷻ وأما عاد فأهلكوا، ج ٣، ص ٧، ح (٣٣٤٤).

(٢) الحارثي حمود بن جابر: دعوة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للأعراب، (ط ١)، دار المسلم،
الرياض، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م)، ص ٢٦٤.

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٤، ص ١٠٤.

فعندما بعث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو باليمن بذهبية في تُرْبَتِهَا إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قسمها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين أربعة نفر: الأقرع بن حابس، وعيينة بن بدر الفزاري، وعلقمة بن علاثة العامري^(١)، ثم أحد بني كلاب، وزيد الخير الطائي ثم أحد بني نبهان، فغضبت قريش فقالوا: أيعطي صناديد نجد ويدعنا. فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إني إنما فعلت ذلك لأتألفهم..^(٢)

لقد أدرك الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه لن يؤمن جانب هؤلاء الأعراب إلا بترضية سخية ومجزية من الدولة الإسلامية فلو أحسوا أن حالتهم المادية استقرت، وأن أموالهم كثرت، وأن وضعهم الاجتماعي تحسن بعد انتمائهم للدولة الإسلامية، فسيحبون هذه الدولة التي حققت لهم هذا الرخاء، ويحاولون بكل طاقة أن يدعموا هذه الدولة، ليستمر وضعهم في التحسن، وهؤلاء أصحاب طمع في الدنيا، وسوف يحسن إسلامهم بعد ذلك.

نعم، الإيمان الذي يكون سببه حب المال إيمان ضعيف، لكن قد يكون هذا في البداية، ثم إذا دخل في محاضن التربية الإسلامية يبدأ الإيمان في الرسوخ تدريجياً حتى يصبح الإيمان أغلى عنده من المال،

(١) علقمة بن علاثة العامري: كان من المؤلفة قلوبهم، ثم حسن إسلامه، وكان من الفقهاء المحدثين. أبي نعيم: معرفة الصحابة، ج ٤، ص ٢١٧٧.

(٢) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الزكاة باب ذكر الخوارج وصفاتهم، ج ٧، ص ١٦٦، ح

والرسول-عليه الصلاة والسلام-يعلم أن النظام القبلي المرسخ في الجزيرة العربية منذ قرون يجعل لقائد القبيلة الكلمة العليا المطلقة في قبيلته، من أجل ذلك أراد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يشتري رضا هؤلاء الزعماء واستقرار هؤلاء الزعماء بالمال، لأن هؤلاء الزعماء سوف يؤثرون تأثيراً إيجابياً على أتباعهم وبالتالي تتحقق الغاية المحمدية في نشر الإسلام وتمكينه من قلوبهم^(١).

وأيضاً اتخذ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع عيينة بن حصن أسلوباً آخر في دعوته رجاء إسلام غيره لماله من الطاعة عليهم حيث أَمَرَ عيينة بن حصن الفزاري على سرية إلى بني العنبر^(٢) من تميم ليس معه أنصاري ولا مهاجري^(٣).

(١) انظر: موقع إسلام ويب، سلسلة السيرة النبوية بين حنين والطائف، للشيخ راغب السرجاني (islamweb.net.1431).

(٢) بني العنبر: ويقال بلعنبر -بفتح الباء وسكون اللام- حي من تميم من العدنانية وهم بنو العنبر بن عمرو بن تميم، وبنو العنبر، بطن من بني يربوع بن حنظلة من العدنانية، وهم بنو العنبر بن يربوع. القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب (تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبنانيين، بيروت، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م)، باب الألف واللام مع العين المهملة، ص ٦٨-٦٩.

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٤، ص ٩٣؛ ابن سيد الناس: عيون الأثر في المغازي والسير، ج ٤، ص ٩٣.

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنه استأذن على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجل فقال « ائذنوا له، فبئس أخو العشيرة فلما دخل الآن له الكلام. فقلت له: يا رسول الله قلت ما قلت، ثم ألت له في القول، فقال: « أي: عائشة، إن شر الناس منزلة عند الله من تركه -أو ودَّعه- الناس اتقاء فحشه »^(١).

وهذا الرجل المستأذن هو عيينة بن حصن الفزاري.

وقد أعطى الله نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحكمة وعلمه مالم يكن يعلم، فحاشاه أن يفعل شيء إلا لحكمة، وتولية بعض الأعراب الإمارة سواء إمارة الجهاد أو الإمارة على البلاد أسلوب من أساليب الدعوة، وهي بلا شك تحقق مصالح عظيمة تعود بالفائدة على الأمة والإسلام بفوائدها أهمها:

١- إشباع الغريزة الفطرية وهي حب الجاه والسلطان وحب القيادة عند أولئك الزعماء.

٢- تكليف الأمير بالدعوة إلى الإسلام وتمكنه من استجلاب قومه للدخول في الدين الحنيف.

٣- الأمن من مكره ومكر قبيلته، وما يشكلونه من خطر على المسلمين.

(١) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب المدارة مع الناس، ج ٤، ص ٤٠٨، ح (٦١٣١).

٤- تمكن الإيمان من قلبه وقلوب قبيلته مع مرور الزمن وممارسة العبادة.

٥- المشاركة في نشر الإسلام والدعوة إليه، وتوطيد حكم الإسلام^(١).

والعطاء المادي من مجالات الترغيب التي تؤلف القلوب وتنزع ما فيها من غل وحسد ليحل محلها الحب والإخاء، ولقد كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعطي حينما يجد للعطاء نفعاً ويمنع حينما يرى للمنع حكمة، فالنفوس مجبولة على حب من أحسن إليها، والعطاء يورث المحبة وكثرته تفعل الأعاجيب.

إن سخاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإعطائه الأموال الكثيرة لرؤساء القبائل والزعماء من الأعراب من المرغبات التي ترغب الضعفاء فضلاً عن الأقوياء في الإسلام وتعاليمه كما ترغب غير المسلمين في إمعان النظر والفكر في الإسلام وفضله؛ لأنه يجمع بين سعادة الدنيا ونعيم الآخرة.

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أراد استمالة قلب عينة رجاء دخوله في الإسلام ودفع شره ومكره عن المسلمين، وفي هذا المعنى يقول صاحب تفسير المنار: "من الكفار من يخشى شره فيرجى بإعطائه كف

(١) الحارثي، حمود جابر: دعوة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للأعراب، ص ٢٥٦-٢٥٧.

شره وشر غيره معه" (١).

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إِنْ قَوْمًا كَانُوا يَأْتُونَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنْ أَعْطَاهُمْ مَدَحُوا الْإِسْلَامَ وَقَالُوا: هَذَا دِينٌ حَسَنٌ، وَإِنْ مَنَعَهُمْ ذَمُّوا وَعَابُوا (٢).

ولقد كانت حكمة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الترغيب في الإسلام بكل الوسائل المتاحة والمناسبة ووضع كل شيء في موضعه خاصة أن الإسلام كان في بدء ظهوره، يقتضي أن يرغب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمال أو الإمارة على الجهاد أو البلاد؛ لأن النفوس تميل إلى من يحسن إليها ويغدق عليها خاصة ضعاف الإيوان.



(١) محمد رشيد رضا: تفسير المنار، (ط ٢، ١٣٦٦هـ / ١٩٤٧م)، ص ٤٢٨.

(٢) الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، جامع البيان في تأويل آي القرآن، (تحقيق: محمد شاكر، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م)، ج ١٤، ص ٣١٣.

٧- تعامله مع الأقرع بن حابس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١)

لقد أعطى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم حنين الأقرع بن حابس مئة من الإبل، وأعطى عينة مثل ذلك، وأعطى ناساً، فقال رجل: ما أريد بهذه القسمة وجه الله، فقلت: لأخبرن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «رحم الله موسى، قد أودى بأكثر من هذا فصبر»^(٢).

وقد كان الأقرع بن حابس أحد الأربعة الذين قسم بينهم الذهب الذي بعث به علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من اليمن، فغضبت قريش فقالوا: أيعطي صناديد نجد ويدعنا.. فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إني إنما فعلت ذلك لأتألفهم»^(٣).

(١) هو الأقرع بن حابس بن عقال التميمي المجاشعي الدارمي، اسمه فراس بن حابس، ولقب بالأقرع، لقرع كان به في رأسه. وكان شريفاً في الجاهلية والإسلام، وهو أحد المؤلفات قلوبهم في يوم حنين. ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ص ٨٨؛ ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ١، ص ١٢٦؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ١، ص ٩٣.

(٢) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان، ج ٣، ص ٤٠٣، ح (٤٣٣٦).

(٣) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، ج ٧، ص ١٦٦، ح (١٠٦٤).

فكان لهذه الوسيلة والكرم المحمدي تأثيرها القوي في جذب الناس للدخول في دين الله أفواجا، ولقد منّ الله على رسوله والمؤمنين بالحصول على الغنائم التي لا تحصى ولا تعد فامتدت يوم حنين أعين قريش والأعراب نحوها، فأراد النبي ﷺ أن يؤثرهم بشيء من هذه الغنائم ليتألف من أسلم منهم فيبسط يده في العطاء وأعطاهم كثيراً مما امتدت إليه أعينهم، وكان منهم الأقرع بن حابس، فهذا العطاء وذلك الكرم يهيج العواطف محبة ووداداً، ويثير النفوس تقرباً وفداء.



٨ - تعامله مع العباس بن مرداس السلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١)

رغم أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان بعد حنين قد غلب على تأليفه الصبغة الجماعية، إلا أنه خص منهم أفراداً وميزهم بالعطاء لمقاصد مختلفة، فقد أعطى أبا سفيان بن حرب و صفوان بن أمية ليدخلا في الإسلام، كما أعطى عيينة بن حصن والأقرع بن حابس لخوفه عليهما من الردة، وأعطى عباس بن مرداس^(٢) لخوفه عليه كذلك، ثم زاده في العطاء كفاً لشر لسانه حيث أنشد بين يديه شعراً يعتب فيه على نقصه عن أمثاله من الزعماء.

فعن رافع بن خديج قال: «أعطى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا سفيان بن حرب، و صفوان بن أمية، وعيينة بن حصن، والأقرع بن حابس، كل إنسان منهم مئة من الإبل، وأعطى عباس بن مرداس أقل من ذلك، فقال عباس بن مرداس:

(١) عباس بن مرداس بن أبي عامر بن حارثة بن عبد السلمي، أبو الهيثم، أسلم قبل الفتح ببسير، حيث قدم على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ثلاثمائة من قومه فأسلموا جميعاً، وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شاعراً، وشجاعاً، ثم كان على رأس ألف وقيل سبعمائة فارس من قومه يوم فتح مكة، ويوم حنين.

(٢) ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج ٢، ص ٨٢٠؛ ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٣، ص ١٦٨.

أَتَجْعَلُ نَهْبِي وَنَهْبَ الْعَبِيدِ بَيْنَ عَيْنَةٍ وَالْأَقْرَعِ
فَمَا كَانَ بَدْرٌ وَلَا حَابِسٌ يَفُوقَانِ مُرْدَاسٌ فِي الْمَجْمَعِ
وَمَا كُنْتُ دُونَ أَمْرٍ مِنْهُمَا وَمَنْ تَخْفَضُ الْيَوْمَ لَا يَرْفَعُ
قال: فَأْتَمَّ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِئَةً^(١).

ويروي ذلك ابن إسحاق بوجه آخر فقال:

وَأَعْطَى عَبَّاسُ بْنُ مُرْدَاسٍ أَبَاعِرَ فُسْخَطَهَا، فَعَاتَبَ فِيهَا رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَائِلًا:

كُنْتُ نَهَابًا تَلَا فِئْتَهَا بَكَرِّي عَلَى الْمُهْرِ فِي الْأَجْرِعِ
وَأَيْقَاطِي الْقَوْمَ أَنْ يَرْقُدُوا إِذَا هَجَعَ النَّاسُ لَمْ أَهْجَعْ
فَأَصْبَحَ نَهْبِي وَنَهْبُ الْعَبِيدِ^(٢) بَيْنَ عَيْنَةٍ وَالْأَقْرَعِ
وَقَدْ كُنْتُ فِي الْحَرْبِ ذَا فَلَمْ أَعْطَ شَيْئًا وَلَمْ أَمْنَعْ
إِلَّا أَفَائِلَ^(٤) أَعْطِيَتْهَا^(٣) عَدِيدَ قَوَائِمِهَا الْأَرْبَعِ
وَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلَا حَابِسٌ يَفُوقَانِ شَيْخِي فِي الْمَجْمَعِ

(١) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلف قلوبهم على الإسلام ج ٧، ص ١٦١، ح (١٠٦٠).

(٢) العبيد: اسم فرس عباس بن مرداس. ابن هشام: السيرة النبوية: ج ٤، ص ٤١٨.

(٣) ذا تدر: ذا دفع عن قومي. المصدر نفسه، ج ٤، ص ٤١٨.

(٤) الأفائل: الصغار من الإبل، الواحد أفيل. المصدر نفسه، ج ٤، ص ٤١٨.

وَمَا كُنْتُ دُونَ أَمْرٍ مِنْهُمَا وَمَنْ تَضَعِ الْيَوْمَ لَا يُرْفَعَ

فقال رسول الله: « اذهبوا به فاقطعوا عني لسانه » فأعطوه حتى رضي، فكان ذلك قطع لسانه الذي أمر به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١).

لقد تألف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القلوب بهذا العطاء، وسقى بذور الإيمان بهذا الكرم، وغذي العواطف بهذا الهدى الحكيم، وتحمل وصبر، لأن أفعاله تصدر عن وحي ونبوة، وعن حكمة بالغة، وبصيرة نافذة، وفعلا عادت هذه السياسة الحكيمة بالخير على الإسلام والمسلمين بتمكين الإسلام وتثبيتته في القلوب، وتأليف قلوب الزعماء والأشراف حتى صاروا من أجلاء المسلمين وأعظمهم نفعاً، ففوت بهذه الأموال والعطايا شوكة المسلمين ومكن الله لدينه في الأرض وأعز الإسلام وأهله بسهم المؤلفة قلوبهم، فينبغي للدعاة أن يفيدوا من هذا الأسلوب النبوي لنصرة الإسلام والترغيب فيه.



(١) ابن هشام: السيرة النبوية: ج ٤، ص ١٨٤؛ ابن القيم: زاد المعاد في هدي خير العباد،

ج ٢، ص ١٨٨.

٩- إكرامه للشيءاء بنت الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وقومها ^(١)

قد وقعت ضمن السبايا في حنين كما ذكر الواقدي.

قال: لما هزم الله تعالى هوازن اتبعهم المسلمون يقتلونهم وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومئذ « إن قدرتم على بجاد فلا يفلتن منكم » وقد كان أحدث حدثاً عظيماً، وكان من بني سعد وكان قد أتاه رجل مسلم فأخذه بجاد فقطعه عضواً عضواً ثم حرقه بالنار، فكان قد عرف جُرمه فهرب فأخذته الخيل إلى الشيءاء بنت الحارث بن عبد العزى، أخت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الرضاعة، فعنفوا عليها في السياق فجعلت الشيءاء بنت الحارث تقول: إني والله أخت صاحبكم ولا يصدقوها، حتى أتوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالت: يا محمد إني أختك، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « وما علامة ذلك »؟.

فتعرفت إليه وأرته عضة، وقالت: عضضتنيها وأنا متوركتك، ونحن يومئذ برعائهم أبوك أبي، وأمك أُمي، قد نازعتك الثدي،

(١) الشيءاء هي حذافة بنت الحارث بن عبد العزى بن رفاعه بن بكر بن هوازن. والشيءاء لقب غلب عليها، وهي أخت رسول الله من الرضاعة؛ أمها حليلة السعدية، وكانت الشيءاء تحضن رسول الله مع أمها. ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ص ٨٩٩؛ ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٥، ص ٣٢٥؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٨، ص ٢٢٦.

وتذكر رسول الله العلامة فوثب قائماً فبسط رداءه، ثم قال: « اجلسي عليه ورحب بها، ودمعت عيناه وسألها عن أمه وأبيه من الرضاعة فأخبرته بموتهما في الزمان ثم قال: « إن أحببت فأقيمي عندنا مُحبةً مكرمة، وإن أحببت أن ترجعي إلى قومك وَصَلْتِكِ ورجعتِ إلى قومك » قالت: ارجُعِ إلى قومي، ثم أسلمت، فأعطاه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاثة أعبد وجارية أحدهم يقال له: مكحول، فزوجوه الجارية.

ولما رجعت الشياء، لمنزلها كلمها النسوة في بجاد لتشفع له عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فرجعت إليه فكلمته أن يهبه لها ويعفو عنه، ففعل، ثم أمر لها ببعير أو بعيرين وسألها عن أهلها: من بقي منهم؟ فأخبرته بأختها وأخيها، وبعمها أبي برقان^(١)، وأخبرته بقوم سألها عنهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأعطاه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نعماً وشاء لها، ولمن بقي من أهل بيتها^(٢).

ولم يتوقف إكرام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للشياء عند هذا فحسب بل شمل ذلك بني سعد^(٣)، بل هوازن كلها، فإنه لما انتصر عليهم يوم

(١) أبو برقان من بني سعد بن بكر بن هوازن، وهو عم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الرضاعة. انظر: ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٤، ص ٣٨٦.

(٢) الواقدي: المغازي، ص ٦٠٩؛ انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٤، ص ٣٨٨؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٣، ص ٨١.

(٣) بني سعد: السعدي بفتح السين وسكون العين وفي آخرها دال مُهملة، هذه النسبة

حنين وغنم أموالهم ونساءهم وذرايرهم انتظرهم أياماً بعد عودته من الطائف لعلهم يقدمون قبل قسم الغنائم، لكنهم تأخروا ثم جاءه وفد هوازن بالجعرانة وقد أسلموا، فقالوا: يا رسول الله، إنا أصل وعشيرة، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك فامن علينا من الله عليك، وقام خطيبهم زهير بن صرد^(١) فقال: يا رسول الله، إنما في الحظائر^(٢) من السبايا خالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك، ولو أنا ملحننا^(٣)

= إلى عدة قبائل إلى سعد بن بكر بن هوازن وإلى سعد تميم وإلى سعد الأنصار وإلى سعد جذام وإلى سعد خولان وإلى سعد تجيب وإلى سعد بن أبي وقاص وإلى سعد بن عبد شمس من تميم وإلى سعد هذيم من قضاة. ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم، اللباب في تهذيب الأنساب، (دار صادر، بيروت، دت، دط)، ج ٢، باب السين والعين المهملة، ص ١١٧.

(١) زهير بن صرد أبو صرد الجشمي السعدي، من بني سعد بن بكر وقيل يكنى: أبا جرول، كان رئيس قومه، وفد على رسول الله ﷺ في وفد هوازن إذ فرغ من حنين ورسول الله حينئذ بالجعرانة يميز الرجال من النساء في سبي هوازن. انظر: ابن عبد البر: الإستيعاب في معرفة الأصحاب، ص ٢٧٥؛ ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٢، ص ٢٢١؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٢، ص ٤٨٤.

(٢) الحظائر: هي أماكن تجمع الأغنام والإبل، وقد جُمع السبايا في ذلك المكان. انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٤، ص ٤١٤.

(٣) ملحننا: أروضنا والملح الرضاع. انظر: البيهقي: دلائل النبوة، ج ٥، ص ١٩٤؛ ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٤، ص ٤١٤.

للحارث بن أبي شمر^(١)، أو للنعمان بن المنذر^(٢)، ثم أنزل بنا بمثل الذي نزلت به، رجونا عطفه وعائدته علينا، وأنت خير المكفولين^(٣)، ثم أنشد:

امنن علينا رسول الله في كرم	فإنك المرء نرجوه وندخرُ
امنن على بيضة قد عاقها قدر	ممزقٌ شملها في دهرها غيرُ
امنن على نسوة قد كنتَ	إذ فوك يملؤه من مخضها
إذ أنت طفل صغير كنتَ	وإذ يزينك ما تأقي وما تذر
لا تجعلنا كمن شالت	واستبق منا فإننا معشر - زهر
إننا لنشكر للنعماء إذ كفرت	وعندنا بعد هذا اليوم مدخر ^(٤)

قال ابن كثير: ولقد كان هذا سبب إعتاقهم عن بكرة أبيهم^(٥).
فقال لهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أحب الحديث إلي أصدقاه،
فاختاروا إحدى الطائفتين: إما السبي وإما المال، وقد كنت

(١) الحارث بن أبي شمر الغساني ملك الشام من العرب، المصدر نفسه، ج ٤، ص ٤١٤.

(٢) النعمان بن المنذر ملك العراق من العرب، المصدر نفسه، ج ٤، ص ٤١٤.

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٤، ص ٤١٤؛ المقرئ: إمتاع الأسماع، ج ٢، ص ٣٠.

(٤) البيهقي: دلائل النبوة، ج ٥، ص ١٩٤.

(٥) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٤، ص ٣٥٢.

استأنيت^(١) بهم» وقد كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انتظرهم بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف، فلما تبين لهم أن رسول الله غير راد إليهم إلا إحدى الطائفتين قالوا: فإننا نختار سبينا. فقام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المسلمين فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: «أما بعد، فإن إخوانكم هؤلاء قد جاؤونا تائبين، وإني قد رأيت أن أرد إليهم سييهم فمن أحب منكم أن يطيب بذلك فليفعل، ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل» فقال الناس: قد طيَّبنا ذلك لرسول الله لهم، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنا لا ندري من أذن منكم في ذلك ممن لم يأذن، فارجعوا حتى يرفعوا إلينا عرفاؤكم أمركم» فرجع الناس، فكلّمهم عرفاؤهم، ثم رجعوا إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبروه أنهم قد طيَّبوا وأذنوا^(٢).



(١) استأنيت: أي انتظرت وتربصت يقال أنيت، وأنيت، وتأنيت، واستأنيت. ابن

الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، باب (أنا)، ج ١، ص ٧٨.

(٢) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب الحوالات، باب إذا وهب شيئاً لوكيل أو شفيع

قوم، ج ٢، ص ٣٠٠، ح (٢٣٠٧/٢٣٠٨).

١٠- تعامله مع مالك بن عوف النصري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

هو مالك بن عوف بن سعد بن ربيعة بن يربوع بن واثلة بن دهمان بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن، النصري^(١).

كان رئيس جيش المشركين يوم حنين، وكانت هوازن لما سمعت برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما فتح الله عليه من مكة تجمعت تحت قيادته واجتمع إليه من هوازن، وثقيف كلها؛ نصر وجشم كلها، وسعد بن بكر، وناس من بني هلال بن عامر بن صعصعة وكان تجمعهم بأوطاس^(٢) وفيهم دريد بن الصمة^(٣) قد عمي، يقاد به، فلما نزل قال:

(١) ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص ٦٤٨؛ ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٤، ص ٣٣؛ ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٥، ص ٥٥٩.

(٢) أوطاس: واد في ديار هوازن، ولما نزل المشركون بأوطاس، قال دريد بن الصمة عن الوادي: نعم مجال الخيل لا حزن ضرر ولا سهل دهس، وقد لجأ إليه بعض المنهزمين من حنين، فلحق بهم أبو عامر الأشعري، فقاتلهم حتى انتصر عليهم واستشهد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٢٢٤.

(٣) دريد بن الصمة: دريد بن الصمة الجشمي البكري، من هوازن: شجاع من الأبطال، الشعراء، المعمرين في الجاهلية، كان سيد بني جشم وفار سهم وقائدهم، وغزا نحو مئة غزوة لم يهزم في واحدة منها، وعاش حتى سقط حاجباه عن عينيه، وأدرك الإسلام، ولم يسلم، فقتل على دين الجاهلية يوم حنين، وكانت هوازن خرجت لقتال المسلمين فاستصحبته معها تيمناً به، وهو أعمى، فلما انهزمت جموعها أدركه ربيعة

بأي واد أنتم؟ قالوا: بأوطاس قال: نعم مجال الخيل لا حزن ضرر، ولا سهل دهس، مالي أسمع رُغاء البعير، ونهاق الحمير، وبكاء الصغير، ويُعار الشاء؟ قالوا: ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم قال: أين مالك؟ قيل: هذا مالك ودعي له، فقال: يا مالك، إنك قد أصبحت رئيس قومك، وإن هذا يوم كائن له مابعده من الأيام. مالي أسمع رُغاء البعير، ونهاق الحمير، وبكاء الصغير، ويعار الشاء؟ قال: سقت مع الناس أموالهم وأبناءهم ونساءهم، قال: ولم ذاك؟ قال: أردت أن أجعل خلف كل رجل منهم أهله وماله، ليقاتل عنهم، فزجره دريد. ثم قال: راعي ضأن والله! وهل يرد المنهزم شيء؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فُضِحت في أهلك ومالك^(١)، فلما انهزمت هوازن فرّ مالك حتى تحصن مع ثقيف في الطائف.

ولما قدم وفد هوازن إلى الجعرانة، سأل رسول الله عن مالك بن عوف ما فعل؟

فقالوا: هو بالطائف مع ثقيف، فقال رسول الله ﷺ: أخبروا مالكا أنه إن أتاني مسلماً رددت عليه أهله وماله، وأعطيته مئة

= بن ربيع السلمي فقتله، له أخبار كثيرة، والصمة لقب أبيه معاوية بن الحارث.

الأعلام: الزركلي، ج ٢، ص ٣٣٩.

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٤، ص ٣٧١.

من الإبل، فأُتي مالك بذلك، فخرج إليه من الطائف، وقد كان مالك خائفاً من ثقيف على نفسه أن يعلموا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له ما قال فيحبسوه، فأمر براحلته فهيئت له، وأمر بفرس له، فأُتي به إلى الطائف، فخرج ليلاً فجلس على فرسه فركضه، حتى أتى راحلته حيث أمر بها أن تحبس، فركبها فلحق برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأدركه بالجعرانة، فرد عليه أهله وماله، وأعطاه مئة من الإبل، وأسلم فحسن إسلامه، فقال حين أسلم:

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله في الناس كلهم بمثل محمد
أوفى وأعطى للجزيل إذا اجتدي ومتى تشأ يُجبرك عما في غدٍ
وإذا الكتيبة عردت أنيابها^(١) بالسهمري^(٢) وضرب كل مهند^(٣)
فكانه ليث على أشباله وسط الهباءة^(٤) خادر^(٥) في مرصد^(٦)

وقد استعمله رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على من أسلم من قومه،

(١) عردت أنيابها: قويت واشتدت. المصدر نفسه، ج ٤، ص ٤١٦.

(٢) السهمري: الرمح. المصدر نفسه، ج ٤، ص ٤١٦.

(٣) المهند: السيف. المصدر نفسه، ج ٤، ص ٤١٦.

(٤) الهباءة: الغبار يثور عند اشتداد الحرب. المصدر نفسه، ج ٤، ص ٤١٦.

(٥) الخادر: الأسد في عرينه، وهو حيثئذ أشد ما يكون يأساً أخوفه على أشباله: يصفه

بالقوة. المصدر نفسه، ج ٤، ص ٤١٦.

(٦) المرصد: المكان يرقب منه، يصفه باليقظة. المصدر نفسه، ج ٤، ص ٤١٧.

وقبائل أخرى: ثمالة وسلمة، وجهم، فكان يقاتل بهم ثقيف لا يخرج لهم سرح إلا أغار عليه حتى ضيق عليهم^(١).

وهكذا هو الإسلام إذا لامس قلب الإنسان وخالطه، أزال منه كل عوامل الشر، وغرس مكانها عناصر الخير.

وهذا هو أثر التعامل الحسن والكرم والعطاء، حوّل مالكا من عدو محارب إلى قائد يدافع عن الإسلام ويحارب أعداءه، فقد تحول مالك بعد أن تهذبت طباعة وجعل منه الإسلام إنساناً آخر، وها هو يتحول إلى سيف أرسله الله على المشركين، فصار يشن عليهم الغارات صادقا مخلصاً للإسلام، حتى أزعجهم، وخاصة قومه ثقيف، فصار جهاده من أكبر العوامل التي مهدت الطريق لسلطان الإسلام كي يبسط ظله على ثقيف التي ظلت حتى السنة التاسعة للهجرة مستعصية تقاوم الدعوة الإسلامية وتحاربها بكل شراسة وعناد^(٢).

بل إن رسول الله فعل ما هو أعظم من ذلك وأرقى...!! لقد أعاد مالك بن عوف زعيماً مرة أخرى على هوازن؛ بل وكلفه بمهمة عسكرية في منتهى الأهمية وهي مهمة حصار مدينة الطائف...!!

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٤، ص ٤١٦-٤١٧؛ البيهقي: دلائل النبوة، ج ٥،

ص ١٩٨؛ الصالح: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ج ٥، ص ٥٨٨.

(٢) محمد باشميل: موسوعة الغزوات الكبرى، ج ٢، ص ١٦٩١.

لقد احترم رسول الله ﷺ إمكانيات مالك بن عوف القيادية وحفظ له سمعته ومكانته •

لقد نسي رسول الله ﷺ ماضي مالك بن عوف في لحظة واحدة، وعامله معاملة القواد المحترمين، وحول جهده من الإفساد في الأرض إلى إصلاحها، فأَي خير عاد على المسلمين!! وأي خير عاد على هوازن...! وأي خير عاد على مالك بن عوف...!!^(١).



(١) انظر: مقال بعنوان بر الرسول ﷺ مع مالك بن عوف، للدكتور/ راغب السرجاني (الشبكة العنكبوتية) •

المبحث الثاني

أثر كرمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ووفائه

وفيه:

التمهيد.

- (١) إسلام المرأة صاحبة المزداتين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .
- (٢) إسلام أبي رافع رسول قريش إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
- (٣) إسلام أبي العاص بن الربيع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
- (٤) وفاء الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع مشركي قريش في صلح الحديبية، وأثر ذلك في نشر الإسلام وتمكينه .
- (٥) إسلام الأعرابي الذي طلب منه مالاً .

* * * * *

تهديد أثر كرمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ووفائه

لئن كان الكرم جامعاً لمكارم الأخلاق، فإن الذي بعث ليطمئن مكارم الأخلاق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيكون تمثل هذا الخلق فيه بالغاً مبلغ الكمال والعظمة.

وكان للكرم المحمدي أثره في تأليف القلوب، علَّ الله أن يهديهم للإسلام ويكفيه مؤنة قتالهم وعداوتهم، ليتهيأ له الانطلاق بالدعوة إلى آفاق الأرض وأرجائها.

ويدل على ذلك عطاؤه العظيم عند كل مغنم، وكل مال يجبي إليه، وما أكثر ذلك في حياته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى أسلم الكثير بعد طول انتظار، فكثرت بهم سواد المسلمين، وأصبحوا من حماته وجنوده.

وإلى جانب ذلك الكرم المحمدي خلق الوفاء الذي تمثل فيه كأوفى ما يكون الوفاء وأعظمه في كل أحواله: مع الله تعالى، ومع أصحابه، ومع أزواجه، ومع أقاربه، ومع أعدائه، بحيث كانت حياته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلها وفاءً وعرفاناً، قبل البعثة وبعدها.

وكم له -عليه الصلاة والسلام- من مواقف في الكرم والوفاء عظيمة، كانت عواقبها محمودة، وثمارها عظيمة جلييلة كما سنرى في هذا المبحث.

١- إسلام المرأة صاحبة المزدتين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وقومها

عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت مع نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مسير له، فأدجنا ليلتنا، حتى إذا كان في وجه الصبح عَرَّسنا، فغلبتنا أعيننا حتى بزغت الشمس... ثم عَجَّلني في ركب بين يديه، نطلب الماء، وقد عطشنا عطشاً شديداً. فبينما نحن نسير إذا نحن بامرأة سادلة رجليها بين مزدتين^(١) فقلنا لها: أين الماء؟ قالت: أيها، أيها، لا ماء لكم^(٢) قلنا: فكم بين أهلك وبين الماء؟ قالت: مسيرة يوم وليلة قلنا: انطلقني إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالت: وما رسول الله؟ فلم نملكها من أمرها شيئاً حتى انطلقنا بها، فاستقبلنا بها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسألها فأخبرته مثل الذي أخبرتنا، وأخبرته أنها مؤتمة^(٣) لها صبيان أيتام.

(١) سادلة رجليها بين مزدتين: السادلة (المرسلة المدنية)، والمزادة معروفة، وهي أكبر من القربة، والمزادتان: حمل البعير، سميت مزادة لأنه يزداد فيهما من جلد آخر من غيرها. النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم، كتاب المساجد، باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها، ج ٥، ص ١٩٦، ح (١٥٦١-٣١٢).

(٢) أيها أيها لا ماء لكم: هيهات هيهات أي البعد من المطلوب واليأس منه، كما قالت بعده، لا ماء لكم، أي ليس لكم ماء حاضر ولا قريب. المصدر نفسه، ج ٥، ص ١٩٦، ح (١٥٦١-٣١٢).

(٣) مؤتمة: بضم الميم وكسر التاء أي ذات أيتام. المصدر نفسه، ج ٥، ص ١٩٦، ح (١٥٦١-٣١٢).

فأمر براويتها^(١) فأنيخت، فمَجَّ في العزلاوين العلياوين^(٢) ثم بعث براويتها، فشربنا، ونحن أربعون رجلاً عطاشاً. حتى رويننا وملأنا كل قربة معنا وإداوة، وغسلنا صاحبنا، غير أنا لم نسق بغيراً، وهي تكاد تنضرج^(٣) من الماء [يعني المزدتين] ثم قال: «هاتوا ما كان عندكم» فجمعنا لها من كسر وتمر، وصَرَّ لها صُرَّةً، فقال لها: « اذهبي فأطعمي هذا عيالك، واعلمي أنا لم نَرَزْأ من مائك^(٤) ».

فلما أتت أهلها قالت: لقد لَقِيتُ أُسْحَرَ البشر، أو أنه لنبي كما زعم، كان من أمره زيت وذيت^(٥)، فهدى الله ذاك الصرم بتلك المرأة،

(١) فأمر براويتها فأنيخت: الرواية عند العرب: هي الجمل الذي يحمل الماء وأهل العرف قد يستعملونه في المزايدة استعارة، والأصل البعير. المصدر نفسه، ج ٥، ص ١٩٦، ح (١٥٦١-٣١٢).

(٢) فمَجَّ في العزلاوين العلياوين: المَجَّ: زرق الماء بالفم، والعزلاء بالمد: هو المشعب الأسف للمزادة، الذي يفرغ منه الماء، ويطلق أيضاً على فمها الأعلى. المصدر نفسه، ج ٥، ص ١٩٦، ح (١٥٦١-٣١٢).

(٣) تنضرج: أي: تنشق، وهو- بفتح التاء، وإسكان النون، وفتح الضاد المعجمه، وبالجميم-، وروي، -بتاء أخرى، بدل النون-، بمعناه، والأول هو مشهور. النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، كتاب المساجد، باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها، ج ٥، ص ١٩٧، (١٥٦١-٣١٢).

(٤) لم نَرَزْأ من مائك: هو بنون مفتوحة، ثم راء ساكنة ثم زاء، ثم همزة، أي: لم نقص من مائك شيئاً. المصدر نفسه، ج ٥، ص ١٩٧، ح (١٥٦١-٣١٢).

(٥) زيت وذيت: بمعنى كيت وكيت، وكذا وكذا. المصدر نفسه، ج ٥، ص ١٩٦، ح (١٥٦١-٣١٢).

فأسلمت وأسلموا^(١).

لقد كان سبب إسلام هذه المرأة المشاركة أمران^(٢):

١- ما رآته من أخذ النبي ﷺ وأصحابه من مزادتيها ولم ينقص ذلك من مائها شيئاً، وهذا من معجزات النبي ﷺ

(١) النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، كتاب المساجد، باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها، ج ٥، ص ١٩٦-١٩٧، ح (١٥٦١-٣١٢)؛ البخاري: الجامع الصحيح، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ج ٣، ص ١١٧، ح (٣٥٧١)؛ البيهقي: دلائل النبوة، ج ٤، ص ٢٧٦.

(٢) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ج ٦، ص ٧١٤، ح (٣٥٧١)؛ النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج ٥، ص ١٩٧، ح (١٥٦١-٣١٢).

* اختلف في تعيين زمان الحادثة ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أنها كانت عند رجوعهم من خير، وفي أبي داود من حديث ابن مسعود « أقبل النبي ﷺ من الحديبية ليلاً فنزل وقال: من يكلؤنا؟ فقال بلال أنا، وفي الموطأ عن زيد بن أسلم مرسلاً عرس رسول الله ﷺ ليلة بطريق مكة ووكل بلالاً، وفي مصنف عبد الرزاق عن عطاء بن يسار مرسلاً أن ذلك كان بطريق تبوك، ووقع في رواية لأبي داود أن ذلك كان في غزوة جيش الأمراء، وتعبه ابن عبد البر بأن غزوة جيش الأمراء هي غزوة مؤتة ولم يشهدا النبي ﷺ، لكن يحتمل أن يكون المراد بغزوة جيش الأمراء غزوة أخرى غير غزوة مؤتة، ابن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التيمم، باب الصعيد الطيب وضوء المسلم يكفيه من الماء، ج ١، ص ٥٨١، ح (٣٤٤).

التي تدل على صدق رسالته.

٢- أخلاق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكرمه ورحمته حينما أمر أصحابه أن يجمعوا لها، فجمعوا لها طعاماً كثيراً، وخاصة أنها أخبرت أن وراءها أيتام صغار مع أنه أخبرها أنهم لم ينقصوا من مائها شيئاً وإنما رزقهم الله.

فكلا الأمرين أثرا فيها وفي قومها واستنبطوا من ذلك صدق نبوته فأتى ذلك الحي إلى رسول الله وأسلموا. وهكذا مكارم الأخلاق تفعل فعلها في النفوس البشرية فتلهي لصاحبها وتستجيب له.



٢- إسلام أبي رافع ^(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رسول قريش إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

الوفاء بالعهد من شيم الفضلاء، وكرام الناس، وقد كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبْرُ ويصل ذوي رحمه، ويفي لهم بحقوقهم عليه... حتى وإن كانوا مشركين، والوقائع التاريخية تصدق ذلك ففي سنن أبي داود ^(٢) أن أبا رافع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بعثني قريش إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما رأيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ألقى في قلبي الإسلام، فقلت: يا رسول الله، إني والله لا أرجع إليهم أبداً، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إني لا أخيسُ بالعهد ^(٣)، ولا أحبس البرد ^(١)،

(١) أبو رافع: اختلف في اسمه، فقيل: إبراهيم، وقيل: أسلم، وقيل: هرمنز، وقيل: ثابت وكان قبطياً، فقيل: كان للعباس عم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فوهبه لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقيل لسعيد بن العاص، توفي في خلافة عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقيل: في خلافة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو الصواب إن شاء الله تعالى. انظر: ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص ٨٠؛ ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ١، ص ٢٥؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٣، ص ٣٢٢.

(٢) أبي داود: سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب يستجن بالإمام في العهود، ج ٣، ص ٤٣٤-٤٣٥، ح (٢٧٥٢).

(٣) لا أخيس بالعهد: لا أنقضه، والعهد هنا الأمر المعهود المتعارف عليه. أبي داود: سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني. سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب يستجن بالإمام في العهود، تحقيق: محمد عوامه، ط ٣، دار قرطبة، بيروت، ١٤٣١ هـ- ٢٠١٠ م، ج ٣، ص ٤٣٤، ح (٢٧٥٢).

ولكن ارجع، فإن كان في نفسك الذي في نفسك الآن فارجع » قال:
فذهبت، ثم أتيت النبي فأسلمت.

قال بكير: وأخبرني: أن أبا رافع كان قبطياً.

وقد ذكر الشارح في عون المعبود^(٢) أن هذا كان في زمن الهدنة
التي كانت بين رسول الله ﷺ وكفار قريش.

وذلك أن أبا رافع جاء رسولاً يحمل رسالة من قريش وقد وقع
في قلبه الإسلام عندما قابل رسول الله ﷺ وأخبره بذلك،
فقال له النبي ﷺ: «ارجع يعني إلى من أرسلك فإن كان في
نفسك بعد العودة إلى مكة الذي في نفسك الآن وهو الرغبة في
الإسلام فارجع إلينا».

وهذا التصرف من رسول الله ﷺ يقرر قاعدة وهي: أن
الرسول لا تجس، وهذا عرف دولي متفق عليه. وقاعدة أخرى وهي
الوفاء بالعهد، فبينه وبين قريش عهد وهدنة وخشي ﷺ إن
قبله وهو في هذه الحالة أن يتهم من عدوه أنه أجبره على الإسلام وهذا

(١) لا أحبس البرد: جمع بريد، وهو هنا الرسول. المصدر نفسه، ج ٣، ص ٤٣٥،
ح (٢٧٥٢).

(٢) أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم أبادي: عون المعبود شرح سنن أبي داود،
تحقيق: عبدالرحمن محمد عثمان، د ط، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، د ت، ج ٥،
ص ١٩٢.

خلاف الواقع، ولهذا أمره أن يعود إلى قريش، ثم إذا رغب في الإسلام يأتي طائعاً وراغباً في الخير، وخلق الوفاء الذي لحظه أبو رافع جعله يزيد إعجاباً بوفاء ذلك الرسول الأمين حتى مالت النفس إلى الإسلام والإيمان أكثر من ذي قبل وبادر أبو رافع بعد أداء الرسالة لقريش بمكة بالعودة إلى المدينة والدخول في دين الإسلام.



٣ - إسلام أبي العاص بن الربيع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١)

كان أبو العاص بن الربيع صهر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ابنته زينب، وكان زوجه بها قبل البعثة، وبقي أبو العاص على شركه وأسلمت زينب لكنها بقيت معه بمكة، وأسر أبو العاص في بدر ثم أطلق سراحه وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أخذ عليه العهد أن يخلي سبيل زينب إليه، فهاجرت زينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وأقام أبو العاص بمكة وأقامت زينب عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمدينة، ثم فرق الإسلام بينهما، حتى إذا كان قبيل فتح مكة، خرج أبو العاص تاجراً إلى الشام، وكان رجلاً مأموناً بهال له وأموال لرجال من قريش، أبضعوها معه، فلما فرغ من تجارته، وأقبل قافلاً، لقيته سرية لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأصابوا ما معه، وأعجزهم هارباً فلما قدمت السرية بما أصابوا من ماله، أقبل أبو العاص تحت جناح الليل، حتى دخل على زينب بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) هو أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، القرشي، صهر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زوج ابنته زينب أكبر بناته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ، وأمه هالة بنت خويلد بن أسد أخت خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لأبيها وأمها.

انظر: ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص ٨١٨؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ج ٥، ص ٢٣؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ١٧.

فاستجار بها، فأجارته، فلما خرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الصبح، فكبر وكبر الناس معه، صرخت زينب من صُفَّة^(١) النساء أيها الناس. إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع، فلما سلم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الصلاة أقبل على الناس، فقال: « أيها الناس، هل سمعتم ما سمعت؟ قالوا: نعم، قال: أما والذي نفس محمد بيده، ما علمت بشيء من ذلك، حتى سمعت ما سمعتم، إنه يجير على المسلمين أدناهم، ثم انصرف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فدخل على ابنته، فقال: أي بنية أكرمي مثواه، ولا يخلصن إليك، فإنك لا تحلين له^(٢) ».

ثم بعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى السرية الذين أصابوا مال أبي العاص فقال لهم: « إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم، وقد أصبتم له مالا، فإن تحسنوا وتردوا عليه الذي له، فإننا نحب ذلك، وإن أبيتم فهو فيء الله الذي أفاء عليكم فأنتم أحق به، فقالوا: يا رسول الله بل نردها عليه، فردوه عليه، حتى إن الرجل ليأتي بالدلو^(٣)، ويأتي

(١) الصفة: السقيفة، والمراد مصلى النساء. ابن هشام: السيرة النبوية، ج ١، ص ٥٧١.

(٢) الواقدي: المغازي، ص ١٢٢؛ ابن هشام: السيرة النبوية، ج ١، ص ٥٧٩؛ السهيلي: الروض الآنف، ج ٣، ص ١٠٩؛ ابن سيد الناس: عيون الأثر في المغازي والسير، ص ٣٠٦.

(٣) الدلو: معروف هي التي يُستقى بها، وقد تذكر والتأنيث أكثر. انظر: الزبيدي محمد مرتضى: تاج العروس من جواهر القاموس، (ط ١، مكتبة الحياة، بيروت)، ج ١٩، ص ٤١١.

الرجل بالشنة^(١)، وبالإداوة^(٢)، حتى إن أحدهم ليأتي بالشظاظ^(٣) حتى ردوا عليه ماله بأسره، لا يفقد منه شيئاً.

ثم احتمل ماله إلى مكة، فأدى إلى كل ذي مال من قريش ماله، ومن كان أبضع منه، ثم قال: يا معشر قريش، هل بقي لأحد منكم عندي مال يأخذه؟ قالوا: لا، فجزاك الله خيراً، فقد وجدناك وفياً كريماً، قال: فأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، والله ما منعني من الإسلام عنده إلا تخوف أن تظنوا أنني إنما أردت أن آكل أموالكم، فلما أداها الله إليكم وفرغت منها، أسلمت^(٤).

هذا الوفاء والكرم المحمدي جعل أبا العاص يتأمل ويفكر ما يصنع الإسلام بالنفوس.. امرأة عملاقة في قوة النفس والخلق.. ونبي كريم وفيّ يحكم الناس بالحب والعدل والسماحة.. وأصحاب يتنافسون على البر والإحسان..

(١) الشنة: واحدها شن وشنة، والجمع شنان، وهي: الأسقية الخلقة، وهي أشد تبريداً

للماء من الجدد. انظر: ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، ج ٢، ص ٥٠٦.

(٢) الإداوة: بالكسر، إناء من جلد يتخذ للماء كالسطيحة ونحوها، وجمعها أداوى.

انظر: المصدر نفسه ج ١، ص ٣٣.

(٣) الشظاظ: خشبة محددة الطرف تدخل في عروقي الجوالقين لتجمع بينهما عند حملها

على البعير. والجمع أشظّة. انظر: المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٧٦.

(٤) الحاكم النيسابوري: المستدرک على الصحيحين، ج ٣، ص ٢٦٢، ح (٥٠٣٨)؛ ابن

هشام: السيرة النبوية، ج ١، ص ٥٧٩؛ السهيلي: الروض الآنف، ج ٣، ص ١٠٩.

ثم انطلق إلى مكة وهو يكتنم النور في عقله وقلبه.. يريد أداء الحقوق إلى الناس دون أن يراود نفوسهم شك في أمانته، ثم يقول: أيها الناس هل بقي لكم عندي شيء؟ فانطلقت الأفواه تثني على أمانته ووفائه وكرمه.. فالآن أعلنها على الملأ ولو غاظتكم بعد أن اعترفتكم بأني لم أطمع في أموالكم.. الآن أعلن إسلامي وأفارقكم.. فمكاني هناك بين أولئك المؤمنين المحبين المحسنين.

فهكذا يصنع حسن الخلق والكرم والوفاء بالنفوس ويقربها حتى تعتنق دين الحق وتؤمن بها.



٤- وفاء الرسول ﷺ مع مشركي قريش في صلح الحديبية وأثر ذلك في نشر الإسلام وتمكينه

لقد كان صلح الحديبية خير شاهد على وفاء الرسول ﷺ مع مشركي قريش الذي ظهرت آثاره على أرض الواقع من خلال قصة أبي جندل وأبي بصير، حيث اتضح المثال العملي من رسول الله ﷺ في وجوب الوفاء بالعهود، وحرمة الغدر والخيانة حتى مع الأعداء، وكان ذلك دليلاً على بعد نظره ﷺ في حصول ما كان يرجوه ويطمح إليه من آثار باهرة كانت لها أهميتها كما سيتضح لنا من خلال ذكر هذه الوقائع التاريخية التي يتجلى فيها حسن أخلاقه ﷺ وأثرها في انتشار الإسلام.

لقد خرج ﷺ من المدينة على رأس ألف وأربعمائة^(١) من الصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وساق معه الهدى الكثير ليثبت للجميع أنه ما ذهب إلا للعمرة، وعند ذي الحليفة^(٢) أحرم، وأحرم معه كل

(١) النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، كتاب الإمارة، باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال، وبيان بيعة الرضوان تحت الشجرة، ج ٣، ص ٥، ح (١٨٥٦).

(٢) ذو الحليفة: موضع على مقدار ستة أميال من المدينة مما يلي مكة، وهو ميقات المدينة

الصحابة، وانطلقوا في التلبية طوال الطريق^(١).

وعسكر رسول الله ﷺ بالحديبية^(٢) استعداداً لدخول مكة لأداء نسكه هو ومن صحبه من صحابته-رضوان الله عليهم-، ولكن كفار مكة تعنتوا وأخذتهم العزة بالاثم، واستكبروا استكباراً، فأبوا على المسلمين أن يدخلوا مكة، ورفضوا أن يسمحوا لهم بالطواف بالبيت العتيق، فتأزم الموقف بين المسلمين والمشركين، وهاجت النفوس، وشاءت إرادة-الله سبحانه وتعالى-ألا يتصاعد الموقف تأزماً، وخفت حدة التأزم بأن قيض الله أناساً تداركوا الموقف، حيث جرت سفارات واتصالات بين المسلمين والمشركين؛ لاستطلاع الحقيقة، وتهدئة الأحوال، وفتح باب الحوار، فتبادل الفريقان السفراء، وطال الخطب إلى أن أتاه ﷺ سهيل بن عمرو وقد بعثته قريش وقالت له: ائت محمداً فصالحه، ولا يكن في صلحه إلا أن

= والشام، كان منزل رسول الله ﷺ إذا خرج من المدينة الحج أو العمرة. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٩٥.

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٧٣.

(٢) الحديبية: موضع على بعد (٢٢) كيلاً غرب مكة على طريق جدة القديم، وبها بويتات يعدها الناظر، ومسجد غير مسجد الشجرة يصلى فيه، وبها مخفر للشرطة، وهي خارج الحرم غير بعيدة عنه، على مرأى وملاكها الأشراف ذوو ناصر، انظر: البلادي عاتق ، معجم المعالم الجغرافية، (ط ١)، دار مكة، مكة المكرمة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٢م)، ص ٩٤.

يرجع عنا عامة هذا، فوالله لا تحدث العرب عنا أنه دخلها علينا عنوة أبداً^(١).

فجاء سهيل بن عمرو، فقال: هات اكتب بيننا وبينكم كتاباً، فدعى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الكاتب، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» قال سهيل: أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتب: باسمك اللهم كما كنت تكتب، فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اكتب باسمك اللهم»، ثم قال: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله «فقال سهيل: والله لو كنّا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب: محمد بن عبدالله، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «والله إني لرسول الله، وإن كذبتُموني اكتب: محمد بن عبدالله» قال الزهري: وذلك لقوله: «لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمة الله إلا أعطيتهم إياها». فقال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «على أن تخلوا بيننا وبين البيت، فنطوف به»، فقال سهيل: والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة^(٢)، ولكن ذلك من العام المقبل، فكتب، فقال سهيل:

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤، ص ٢٧٠.

(٢) ضغطة: أي قهراً أو كرهاً. البخاري: الجامع الصحيح، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، ج ٢، ص ٤٩٤، ح (٢٥٨٣).

وعلى أن لا يأتيك منّا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، قال المسلمون: سبحان الله، كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلماً؟

فبينما هم كذلك إذ دخل أبو جندل^(١) بن سهيل بن عمرو يَرْسُفُ^(٢) في قيوده، وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيل: هذا يا محمد أول ما أقاضيك عليه أن ترده إليّ، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فأجزه لي» قال: ما أنا بمُجزيه لك، قال: «بلى فافعل» قال: ما أنا بفاعل. قال أبو جندل: أي معشر المسلمين، أُرَدُّ إلى المشركين وقد جئت مسلماً؟! ألا ترون ما قد لقيت؟ وكان قد عذب عذاباً شديداً في الله. قال: فقال عمر بن الخطاب: فأتيت نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقلت أأست نبي الله حقاً؟ قال: «بلى» قلت: أألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: «بلى» قلت: فلم

(١) أبو جندل بن سهيل بن عمرو: سهيل بن عمرو بن العاص بن عمرو أسلم بمكة فطرحه أبوه في حديد، فلما كان يوم الجمعة جاء يرسف في الحديد إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان أبوه سهيل قد كتب في كتاب الصلح أن من جاءك منا ترده علينا، فخلاه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لذلك، ثم إنه أفلت بعد ذلك فلحق بأبي بصير الثقفي، وكان معه في سبعين رجلاً من المسلمين يقطعون على من مر بهم من غير قريش وتجارهم، فكتبوا منهم إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يضمهم إليه فضمهم إليه. ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص ٧٨٠.

(٢) يرسف: أي يمشي مشي المقيّد. البخاري: الجامع الصحيح، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، ج ٢، ص ٤٨٩، ح (٢٧٣١-٢٧٣٢).

نُعْطِي الدِّينَةَ فِي دِينِنَا إِذَا؟ قَالَ: «إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَلَسْتُ أَعْصِيهِ، وَهُوَ نَاصِرِي» قُلْتُ: أَوَلَيْسَ كُنْتَ تَحَدِّثُنَا أَنَا سَنَأُتِي الْبَيْتَ فَنُطَوِّفُ بِهِ؟ قَالَ: «بَلَى، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَا نَأْتِيهِ الْعَامَ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَوِّفٌ بِهِ»^(١).

ثم رجع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَجَاءَ أَبُو بَصِيرَ^(٢)، رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَهُوَ مُسْلِمٌ، فَأَرْسَلُوا فِي طَلْبِهِ رَجُلَيْنِ، فَقَالُوا: الْعَهْدُ الَّذِي جَعَلْتَ لَنَا؟ فَدَفَعَهُ إِلَى الرَّجُلَيْنِ، فَخَرَجَا بِهِ حَتَّى بَلَّغَا ذَا الْحُلَيْفَةِ فَنَزَلُوا يَأْكُلُونَ مِنْ تَمَرٍ لَهُمْ، فَقَالَ أَبُو بَصِيرَ لِأَحَدِ الرَّجُلَيْنِ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى سَيْفَكَ هَذَا يَا فُلَانُ جَيِّدًا، فَاسْتَلْتَهُ الْآخَرَ، فَقَالَ: أَجَلٌ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَجَيِّدٌ، لَقَدْ جَرَبْتُ ثُمَّ جَرَبْتُ، فَقَالَ أَبُو بَصِيرَ: أَرْنِي أَنْظُرْ إِلَيْهِ، فَأَمَكَنَهُ مِنْهُ، فَضْرَبَهُ حَتَّى بَرَدَ، وَفَرَّ الْآخَرُ حَتَّى أَتَى الْمَدِينَةَ، فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ يَعْذُو، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ رَأَاهُ: «لَقَدْ رَأَى هَذَا اذْغُرًّا^(٣)» فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: قُتِلَ وَاللَّهِ صَاحِبِي، وَإِنِّي لَمُقْتُولٌ.

(١) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع

أهل الحرب وكتابة الشروط، ج ٢، ص ٤٨٩، ح (٢٠٧٣-٢٧٣٢).

(٢) أبو بصير: هو عتبة بن أسيد بن جارية ابن أسيد بن عبدالله بن سلمة بن عبدالله بن غيرة بن عوف بن قيس، وهو رجل من قريش. قال ابن هشام: هو ثقفى وله قصة في المغازي عجيبة، ذكرها ابن إسحاق وغيره في قصة القضية عام الحديبية. ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص ٧٦٦.

(٣) اذغراً: الأمر المخوف. الزبيدي: تاج العروس، (باب ذعر)، ج ١١، ص ٣٧١.

فجاء أبو بصير فقال: يا نبي الله، قد والله أوفى الله ذمتك، قد رددتني إليهم، ثم أنجاني الله منهم، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « ويل أمه مسعر حرب^(١) لو كان له أحد »، فلما سمع ذلك عَرَفَ أَنَّهُ سَيَرُدُّهُ إِلَيْهِمْ، فخرج حتى أتى سيف البحر^(٢)، قال: وَيَنْفَلْتُ مِنْهُمْ أَبُو جَنْدَلُ بْنُ سُهَيْلٍ فَلَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ، حَتَّى اجْتَمَعَتْ مِنْهُمْ عَصَابَةٌ، فَوَاللَّهِ مَا يَسْمَعُونَ بَعِيرٍ خَرَجَتْ لِقْرِيشٍ إِلَى الشَّامِ إِلَّا اعْتَرَضُوا لَهَا، فَقَتَلُوهُمْ وَأَخَذُوا أَمْوَالَهُمْ، فَأَرْسَلْتُ قْرِيشَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَنَاشِدُهُ بِاللَّهِ وَالرَّحِمِ لَمَّا أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ، فَمَنْ أَتَاهُ فَهُوَ آمِنٌ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ^(٣).

فمن هذه الوقائع التاريخية يظهر لنا فيها وفاؤه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمشركي قريش في صلح الحديبية بنود الصلح التي اتفقوا عليها مع ما

(١) المِسْعَر: هو ما يحرك به من النار من آلة الحديد. وكأنه يصفه بالإقدام في الحرب والتسكير لنارها. البخاري: الجامع الصحيح، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، ج ٢، ص ٤٩٥، ح (٢٧٣١) - (٢٧٣٢).

(٢) سيف البحر: أي ساحله، وكان طريق أهل مكة إذا قصدوا الشام. وقال ابن حجر: وهو يحاذي المدينة إلى جهة الساحل. ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ٨، ص ٢٨٣.

(٣) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب الشروط، بابا الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، ج ٢، ص ٤٩٤ - ٤٩٥، ح (٢٧٣١) - (٢٧٣٢).

في هذه البنود والشروط من صعوبة نفسية عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى أصحابه؛ إلا أنه بوحى من الله أمضى هذه الشروط وتغلب عليها، ووفى بها لعلمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن عاقبتها ستكون خيراً، وأن الوفاء من الأخلاق الربانية التي أمر الله بها ﷺ، وأنه لا يأمر إلا بما فيه الخير للإنسانية جميعاً وللمسلمين على وجه الخصوص فكم من دماء حقنت، وأنفس أسلمت بسبب وفائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كما رأينا - يتنازل عن كتابة البسملة كاملة في أول العهد، ويتنازل عن كتابة وصف نفسه بالرسالة، ويقبل أن يعود من هذا العام فلا يطوف بالبيت، ويقبل أن يرُدَّ من جاءه مسلماً من أهل مكة إذا طلب أوليائه ذلك.. بل ويتفاقم الأمر جداً عندما يأتي أبو جندل بن سهيل بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو في حالة شديدة من الإعياء والإجهاد والمعاناة يطلب النصرة من المسلمين، فيطلبه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من سهيل بن عمرو - وهو أبو أبي جندل - فيرفض سهيل، ويعلق نجاح المفاوضات بكاملها على أخذ لهذا الفتى المسلم المعذب، وأمام مخاطر فشل المعاهدة يوافق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أجل أن يتم الصلح برغم كل ما نراه من أزمات ومعوقات، وبرغم اعتراض كثير من الصحابة، وفي مقدمتهم عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ... إنه يكفي للدلالة على هذا الوفاء في الصلح أن نذكر بعد ذلك قصة أبي بصير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فعندما سمع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ويل أمة مسعر حرب لو كان له أحد» أدرك أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيرده إلى المشركين لكي لا تشتعل الحرب، فخرج من المدينة مسرعاً، حتى أتى منطقة سيف البحر، وعسكر هناك، وبدأ يقطع الطريق على قوافل قريش، وقريش لا تقدر عليه، ولا تستطيع أن تلوم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه ليس تحت سيطرته، وسمع بمكانه آخرون في مكة، فقرروا أن يلتحقوا به ليكونوا له عوناً على قطع قوافل مكة، فلحق به أبو جندل سهيل بن عمرو، ولحق به عدد من المسلمين الذين لا يستطيعون اللحاق بالمدينة لشروط المعاهدة، ولا يستطيعون البقاء في مكة لتعذيب الكفار لهم، وازدادت حدة الصدام بشدة بين هذه المجموعة المسلمة وبين قوافل قريش...

حتى اضطرت قريش أخيراً إلى أن تذهب إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وترجوه أن يلحق هؤلاء به، فإنه قبل ذلك، وضمهم إليه
رحمة بهم •

إن المصلحة المترتبة على الوفاء بالعهد في هذا الصلح هي ما ظهر من ثمراته الباهرة، وفوائده المتظاهرة التي كانت عاقبتها فتح مكة وإسلام أهلها كلهم، ودخول الناس في دين الله أفواجاً.

وذلك أنهم قبل الصلح لم يكونوا يختلطون بالمسلمين، ولا تظهر عندهم أمور النبي كما هي، ولا يخلون بمن يعلمهم بها مفصلة، فلما حصل صلح الحديبية اختلطوا بالمسلمين، وجاءوا إلى المدينة وذهب

المسلمون إلى مكة، وخلوا بأهلهم وأصدقائهم وغيرهم ممن يستنصحوونه، وسمعوا منهم أحوال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومعجزاته الظاهرة وأعلام نبوته المتظاهرة، وحسن سيرته، وجميل طريقته، وعانوا بأنفسهم كثيراً من ذلك، فمالت نفوسهم إلى الإيمان، حتى بادر خلق منهم إلى الإسلام، قبل فتح مكة، فأسلموا بين صلح الحديبية وفتح مكة، وازداد الآخرون ميلاً إلى الإسلام، فلما كان يوم الفتح أسلموا كلهم، لما كان قد تمهد لهم وممن سبق بإسلامه الفتح خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة وغيرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، وكانت العرب من غير قريش في البوادي ينتظرون بإسلامهم إسلام قريش، فلما أسلمت قريش أسلمت العرب في البوادي^(١).

فأقبل الناس على هذا الدين في ظل هدنة الحديبية لأمنهم عن الحرب والدليل على ذلك كما يقول الزهري: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خرج إلى الحديبية في ألف وأربعمائة ثم خرج في عام الفتح في عشرة آلاف^(٢).



(١) انظر: القسطلاني: المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، ج ١، ص ٥٠٢.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٤، ص ٢٧٣.

٥- إسلام الأعرابي الذي طلب منه مالاً

كان جوده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مضرب المثل، فلم يعرف العرب في تاريخهم رجلاً أكرم منه عليه الصلاة والسلام، إذ كان يؤثر على نفسه، ولا يلتفت إلى الدنيا وهذا غاية الكرم والسخاء...

فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «ما سئل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه، قال: فجاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين، فرجع إلى قومه، فقال: يا قوم أسلموا، فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة»^(١).

وفي رواية أخرى عن أنس: «أن رجلاً سأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غنماً بين جبلين، فأعطاه إياه فأتى قومه، فقال: أي قوم! أسلموا، فوالله إن محمداً ليعطي عطاءً ما يخاف الفقر. فقال أنس: إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا، فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها»^(٢).

(١) النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئاً قط فقال: لا وكثرة عطائه، ص ٧٢، ح (٥٩٧٤-٥٧).

(٢) المصدر نفسه: كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئاً قط فقال: لا وكثرة عطائه، ج ١٥، ص ٧٢، ح (٥٩٧٤-٥٧).

ومن أجل المواقف عطاياه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم حنين، والذي يدل دلالة واضحة على عظيم كرم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد غنم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو وأصحابه مغانم - في هذا اليوم - فاقت الوصف كثرة، حتى إن جبير بن مطعم أثناء عودته من حنين قال: علقت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأعراب يسألونه، حتى اضطروه إلى سمرة، فخطفت رداءه، فوقف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: « أعطوني ردائي، لو كان عدد هذه العِصاه نَعْمًا لَقَسَمْتُه بينكم، ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذوباً، ولا جباناً^(١)، فلم يكتنز رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأموال لنفسه، ويوزع الفتات القليل منها على جنوده، ولكنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلم جيداً أن المال وسيلة وليست غاية، فاستخدمه في تأليف قلوب زعماء مكة كأبي سفيان وحكيم بن حزام، والحارث بن هشام أخو أبي جهل، والنضير بن الحارث الذي كان من ألد^(٢) أعداء رسول الله، وكما أعطى زعماء القبائل من الأعراب كعيينة بن حصن زعيم قبيلة بني فزارة، والأقرع بن حابس زعيم بني تميم وغيرهم^(٣)

(١) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب الشجاعة في الحرب والجبن، ج ٣، ص ٥٣٥، ح (٢٨٢١).

(٢) ألد: الخصم الجدل الشحيح الذي لا يزيغ إلى الحق. الزبيدي: تاج العروس، باب لدد، ج ٩، ص ١٣٨.

(٣) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان، ج ٣، ص ٤٠٣، ح (٤٣٣٦).

فكان جوده وكرمه سبباً من أسباب رسوخ الإسلام في قلوب هؤلاء،
وغدت كلمة أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خير دليل على حالهم: « إن كان الرجل
ليسلم ما يريد إلا الدنيا، فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من
الدنيا وما عليها »^(١).



(١) النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، كتاب الفضائل، باب ما سئل
رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئاً قط فقال: لا وكثرة عطائه، ج ١٥، ص ٧٢،
ح (٥٨-٥٩٧٥).

الفصل الثالث

العفو والمنّ والصفح

وفيه مبحثان :

✽ المبحث الأول : عفوهُ عَمَّنْ أَسَاءَ.

✽ المبحث الثاني : المنّ والعفو عن الأسارى.

المبحث الأول

عفو عن أساء

وفيه:

- التمهيد.
- المطلب الأول: العفو عن عمير بن وهب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
- المطلب الثاني: العفو عن الأعرابي الذي أراد قتله.
- المطلب الثالث: العفو عن أهل مكة.
- المطلب الرابع: العفو عن بعض من هجاه من الشعراء.
- المطلب الخامس: العفو عن شيبة بن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

* * * * *

تقهيـد

لقد كان حلمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعفوه من الأثر في جذب الناس إلى الإسلام والتسليم برسالته ونبوته، ومفارقة قراباتهم الذين غلبت عليهم شقوتهم، أو الذين لم تنشرح صدورهم للإسلام بعد، مع علمهم بما سينالونه من الإيذاء والعداوة والبغضاء، من أقوامهم خاصة ومن الناس عامة، فلم يمنعهم ذلك عن الدخول في الإسلام والتضحية بالنفس، والنفيس من أجله، لما رأوا في رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من دلائل الصدق وعظيم الأخلاق ما لم يعهدوا مثله، وكان حلم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسرع أثراً، وأوضح دلالة على ما للأخلاق الكريمة من ثمرات إيجابية كبيرة.

وقد كان عفوه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قائماً على منهج اتخذ لنفسه، وهو إسقاط حق نفسه عن المؤاخظة مهما كانت الإساءة، ولا يقوم إلا لحق الله تعالى، قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «ما ضرب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئاً قط بيده، ولا امرأة ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله وَعَلَى»^(١).

(١) النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، كتاب الفضائل، باب مباحثته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للأثام، واختياره من المباح أسهله، وانتقامه لله عند انتهاك حرماته، ج ١٥، ص ٨٢ ح (٦٠٠٤-٧٩-٦).

فإن هذا الحديث يدل على أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقدم العفو والصفح فيسقط حق نفسه عمن يؤذيه في حياته، ولم يصبح مهتماً إلا بدين الله ﷻ وحرماته، فإنه لا يتهاون فيها إذا انتهكت أو أهملت.

وهذا المنهج هو الذي دلت عليه الوقائع التاريخية في حياته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدعوية، حيث برز فيها عفوه حتى عن أعدائه فتحوّلت تلك العداوة إلى محبة ومودة والدخول في الإسلام، اعتزازاً به ورغبة فيه، وسوف يتضح لنا ذلك من خلال بعض الوقائع التاريخية الدالة على ذلك.



المطلب الأول: العفو عن عمير بن وهب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١)

انتهت معركة بدر بالانتصار الحاسم للمسلمين، الذي تدهورت له سمعة قريش العسكرية والسياسية في بلاد العرب.

ففي مكة انطوى أهلها على أنفسهم، يندبون قتلاهم، ويداوون جراح قلوبهم، بعد أن مرغت الهزيمة كبرياءهم وجذعت أنف غرورهم، ولكنهم مع هذا لم يستكينوا فبعد أن أفاقوا من هول الصدمة أخذوا يواصلون الاجتماعات، ويعقدون اللقاءات للنظر في الطريقة التي يغسلون بها عار الهزيمة التي أنزلها المسلمون بهم، والتي لم تزدهم إلا حقداً على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبغضاً للإسلام.

فإن كان انتصار المسلمين في غزوة بدر عزز مركزهم في المدينة أكثر من أي وقت مضى، حيث أصبحت وما حولها خاضعة لنفوذهم، إلا أنهم أصبحوا أكثر من ذي قبل عرضة لشتى الدسائس والمؤامرات

(١) هو عمير بن وهب بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح، يكنى أبا أمية، كان له قدر وشرف في قريش، وشهد بدرًا كافرًا، وكان من أبطال قريش وشيطانًا من شياطينها، وهو الذي مشى حول عسكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من نواحيه ليحزر عددهم يوم بدر، وأسر ابنه وهب بن عمير يومئذ، أسلم بعد وقعة بدر، وشهد أحداً مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعاش إلى صدر خلافة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. انظر: ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص ٥٨٤.

والاستفزازات، حيث كانت مكة ضدهم تغلي كالمرجل، تهدد وتتوعد حيث أعلنت التعبئة العامة لغسل عار الهزيمة بغزو محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عقر داره.

بل لقد بلغ الغيظ والحقد إلى أبعد من هذا، فقد قرر بعض زعماء مكة اختصار الطريق للتخلص من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فدبر مؤامرة لاغتياله في المدينة.

وقد اختار لتنفيذ هذه المؤامرة الخطيرة فارساً من فرسان قريش المشهورين بعدائهم الشديد وبغضهم العارم للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودينه، وهو عمير بن وهب الجمحي، الذي زاده كرهاً للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحقداً عليه أن أسر المسلمون ابنه وهباً يوم بدر.

فقد اتفق مع صفوان بن أمية الذي قُتل أبوه وأخوه يوم بدر على أن يقوم باغتيال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المدينة^(١).

لقد جلس صفوان بن أمية مع عمير بن وهب في الحجر عند الكعبة بعد مصاب أهل بدر بيسير، وكان عمير بن وهب شيطاناً من شياطين قريش، وممن كان يؤذي رسول الله وأصحابه ويلقون منه عناء وهم بمكة، وكان ابنه وهب بن عمير في أسارى بدر، فتذاكرا أصحاب القليب^(٢) ومصابهم، فقال صفوان: والله ما في العيش بعدهم

(١) انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٢، ص ٥٨٢.

(٢) القليب: البئر. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، فصل القاف، ص ١٢٧.

خير، قال له عمير: صدقت والله، أما والله لولا دين عليّ ليس له عندي قضاء وعيالي أخشى عليهم الضيعة بعدي لركبت إلى محمد حتى أقتله، فإن لي فيهم علّة، ابني أسير في أيديهم، فقال: عليّ دينك أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا، لا يسعني شيء ويعجز عنهم، فقال له عمير: فاكتم عليّ شأني وشأنك قال: سأفعل، ثم أمر عمير بسيفه فشحذ له وسّم، ثم انطلق حتى قدم المدينة، فبينما عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر ويذكرون ما أكرمهم الله به وما أراهم في عدوهم، إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب وقد أناخ على باب المسجد متوشحاً السيف فقال: هذا عدو الله عمير بن وهب ما جاء إلا لشر، وهو الذي حرش بيننا، وحزنا للقوم يوم بدر، ثم دخل عمر على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا نبي الله، هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحاً سيفه، قال: فأدخله علي « قال: فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه، فلبيه بها، وقال لمن كان معه من الأنصار: ادخلوا على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاجلسوا عنده، واحذروا عليه من هذا الخبيث فإنه غير مأمون، ثم دخل به على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلما رآه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعمر أخذ بحمالة سيفه في عنقه، قال: أرسله يا عمر، ادن يا عمير، فدنا ثم قال: أنعموا صباحاً، وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير، بالسلام، تحية أهل الجنة قال: أما والله يا محمد إن كنت

بها لحديث عهد، قال: فما جاء بك يا عمير، قال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه، قال: فما بال السيف في عنقك؟ قال: قبّحها الله من سيوف! وهل أغنت عنا شيئاً؟ قال: أصدّقني ما الذي جئت له؟ قال: ما جئت إلا لذلك، قال: بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحِجْر فذكرتما أصحاب القليب من قريش، ثم قلت: لولا دين عليّ وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمداً، فتحمل لك صفوان بن أمية بدينك وعيالك على أن تقتلني له، والله حائل بينك وبين ذلك.

فقال عمير: أشهد أنك رسول الله، قد كنا يا رسول الله نكذّبك، بما كنت تأتينا به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحي، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان، فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذي هداني للإسلام، وشهد شهادة الحق، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « فقهاوا أخاكم في دينه، وعلموه القرآن، وأطلقوا أسيره »^(١).

وكانت النتيجة العظمى تجاه هذه المعاملة الحسنة من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالعفو والتجاوز عنه رغم أنه جاء لقتله بل وأطلق ولده الأسير، وهكذا فشلت المؤامرة الخبيثة، وبدلاً من أن يعود بطلها إلى

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٢، ص ٥٨٣؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٣، ص ٣١٣؛ المقرئ: إمتاع الأسماع، ج ١، ص ١١٨؛ أكرم العمري: السيرة النبوية، ص ٢٩؛ الصلابي: السيرة النبوية، ص ٤٣٥؛ أحمد الحداد: أخلاق النبي في القرآن والسنة، ج ٢، ص ٦٠٠.

مكة مبشراً رؤوس الكفر بقتل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عاد إليهم مسلماً، يتحدى مكة كلها بإسلامه، فقد جاهر أهل مكة بأنه قد أسلم، وكان شجاعاً مهيباً، ولذلك لم يجرؤ أحد من أشراف مكة على التعرض له عندما قام يدعو إلى الإسلام علناً في مكة، حيث كان من المحظور التظاهر بالإسلام فضلاً عن الدعوة إليه وخاصة بعد معركة بدر.

قال ابن كثير في تاريخه^(١): إن عمير هذا بعد أن هداه الله للإسلام استأذن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في العودة إلى مكة ليكون داعياً إلى الإسلام قائلاً: « يا رسول الله، إني كنت جاهداً على إطفاء نور الله شديد الأذى لمن كان على دين الله، وأنا أحب أن تأذن لي فأقدم مكة فأدعوهم إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام لعل الله يهديهم، وإلا أذيتهم في دينهم كما كنت أؤذي أصحابك في دينهم ».

لقد كان حلمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعفوه عن عمير رغم عزمه على قتل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واستعداده لذلك مع ما رأى من دلائل النبوة حيث أخبره رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأمر لم يطلع عليه إلا هو وصفوان بن أمية مما دفعه للمسارعة لإعلان إسلامه بين يدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٣، ص ٢١٤؛ ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٢، ص ٥٨٤.

المطلب الثاني: العفو عن الأعرابي الذي أراد قتله

لما كان عليه الصلاة والسلام- في غزوة قبل نجد تُسمَّى غزوة (ذات الرقاع)^(١)، أدركته القائلة^(٢) في واد كثير العضاة^(٣)، فنزل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتفرَّق الناس في العضاة يستظلون بالشجر، ونزل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تحت سمرة^(٤)، فعلق بها سيفه، يقول جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٥): فمنا نومة ثم إذا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعوننا،

(١) وكانت في السنة الرابعة من الهجرة، وسميت بذلك؛ لأنهم كانوا يعصبون الخرق على أرجلهم لما نعبت أقدامهم وسقطت أظفارهم، وقيل غير ذلك، انظر: السهيلي: الروض الأنف، ج ٣، ص ٢٥٣.

(٢) القائلة: وسط النهار وشدة الحر، ابن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة ذات الرقاع، ج ٧، ص ٥٣٣ ح (٤١٣٥).

(٣) العضاة: كل شجر شوك، الواحدة عضاة، وهي ما عظم، وما صغر من الشوك، فهو العض، وفي الشوك الضهياء، والقتاد، والغاف، والضال، والعتم، والرند، والعزب، والشوحط، والشريان، والشقب، والسراء، والنشم، والعجرم، والإسحل، والتالب، والغرف. أبو إسحاق الحربي: إبراهيم بن إسحاق، غريب الحديث، (تحقيق: سليمان إبراهيم العايد، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط ١، ١٤٠٥هـ /)، باب عضه، ج ٣، ص ٩٢٦.

(٤) سمرة: أي شجرة كثيرة الورق، المصدر نفسه، ج ٧، ص ٥٣٣ ح (٤١٣٥).

(٥) هوجابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن سلمة الأنصاري، أحد المكثرين عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، منعه أبوه من شهود بدر وأحد، وقتل أبوه في أحد، فشهد ما بعدها، يروي كثيراً من أحاديث المعجزات، مات بالمدينة بعد السنة السبعين. ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ١، ص ٢١٤.

قال: فجئناه، فإذا عنده أعرابي جالس، فقال رسول الله ﷺ: إن هذا اخترط سيفي^(١)، وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده صلتاً^(٢)، فقال لي: من يمنعك مني؟ قلت: الله، فهذا هو ذا جالس، ثم لم يعاقبه رسول الله ﷺ^(٣).

وفي رواية أن النبي ﷺ قال له: من يمنعك مني؟ فقال: كن خير آخذ، قال: أتشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟ قال: لا، غير أني لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك فخلني سبيله، فجاء إلى قومه فقال لهم: جئكم من عند خير الناس^(٤).

الله أكبر ما أعظم هذا الخلق وما أكبر أثره في النفس! أعرابي يريد قتل النبي ﷺ ثم يعصمه الله منه، ويمكنه من القدرة على قتله، ثم يعفو عنه، إن هذا لخلق عظيم وصدق الله العظيم إذ يقول

(١) اخترط سيفي: أي سلّه من غمده، المصدر السابق، ج ٧، ص ٥٣٣، ح (٤١٣٥).
(٢) صلتاً: بفتح الصاد، وسكون اللام، أي مجرداً من غمده. المصدر نفسه، ج ٧، ص ٥٣٣، ح (٤١٣٥).

(٣) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب الجهاد، باب من علّق سيفه بالشجر في السّفَر عند القائلة، ج ٢، ص ٥٦٦-٥٦٧، ح (٢٩١٠)؛ النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، كتاب صلاة المسافرين، باب صلاة الخوف، ج ٦، ص ٣٦٧، ح (١٩٤٦) - ٢٤٩/٨؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٢، ص ٢٤٩.

(٤) الإمام أحمد: المسند، ج ٣، ص ٣٦٥، ح (١٤٣٣٥)، الحاكم النيسابوري: المستدرک على الصحيحين، ج ٣، ص ٢٩.

للنبي: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١)، وهذا الخلق الحكيم قد أثر في حياة الرجل، وأسلم بعد ذلك، فاهتدى به خلق كثير^(٢).



(١) سورة القلم، آية: ٤.

(٢) انظر: ابن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة ذات الرقاع، ج ٧، ص ٥٣٣، ح (٤١٣٥)، النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، كتاب صلاة المسافرين، باب صلاة الخوف، ج ٦، ص ٣٦٧، ح (١٩٤٦ - ٨/٣١١) وذكر ابن حجر والنووي في هذا الموضع أن اسم الأعرابي: غورث بن الحارث.

المطلب الثالث: العفو عن أهل مكة

لقد كان لأخلاقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العظيمة أثر بالغ في جذب الناس إلى الإسلام، تبين ذلك من عامة أخلاقه، ولا سيما في حلمه وعفوه وصفحته عن كثير من الناس في مواقف كثيرة ومناسبات عديدة، فكانت عظمة أخلاقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سبباً مباشراً في إسلامهم وهدايتهم، وما كان لهم أن يسلموا لو لم يتأثروا بتلك الأخلاق العظيمة، وذلك لما كانوا عليه من النفور والإباء والحمية الجاهلية، فكانت معاملته لهم بتلك الأخلاق مفتاح هدايتهم^(١).

ومن أشهر مواقفه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في العفو والصفح ما قام به عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من العفو عن أهل مكة.

فإن الكلمات الخالدة التي قالها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأهل مكة يوم فتحها ينبغي أن تكتب بهاء من ذهب، فهي إنما تنبئ عن معدن نفيس نقي غاية النقاء.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « ما تقولون وما تظنون؟ قالوا: نقول: ابن أخ، وابن عم، حليم، رحيم، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أقول كما قال يوسف: ﴿لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمْ أَلْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ

(١) أحمد الحداد، أخلاق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في القرآن والسنة، ج ٣، ص ١٤٣٥.

الرَّحِمَتِ ﴿١﴾، قال: فخرجوا كأنما نشروا من القبور، فدخلوا في الإسلام»^(٢).

وبهذا البيان التاريخي العظيم أصدر النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عفواً عاماً عن كل الذين ناصبوه العداء، وحاربوه طويلاً، وكان قادراً على أن يذيقهم العذاب ألواناً، ولكنه قَدِرَ فعفاً، فحل العفو من النفوس، محل البلسم من الجراح الأليمة، وهدأت بذلك النفوس المتوترة، وسكنت القلوب الواجفة، وساد الناس الحب والبر والوفاء، وكانت هذه المعاملة الرحيمة الحانية الكريمة التي عامل بها الرسول الظافر المنتصر على قومه المنهزمين، سبباً في إسراع أهل مكة رجالاً ونساءً وأحراراً وموالي إلى الإسلام طوعية واختياراً، وبدخول مكة تحت راية الإسلام دخل الناس في الإسلام أفواجا^(٣)، وبايع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الناس جميعاً الرجال والنساء، والكبار والصغار فأخذ عليهم البيعة على الإسلام والسمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوه^(٤) عدا أفراد صدرت منهم جرائم ضد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والإسلام فهربوا ثم رجعوا بعد إرسال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العفو عنهم فأسلموا وكان من أبرز أولئك:

(١) سورة يوسف: آية (٩٢).

(٢) البيهقي: دلائل النبوة، ج ٥، ص ٥٧-٥٨.

(٣) الوكيل، محمد السيد، تأملات في سيرة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (ط ١)، دار المجتمع،

جدة، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م)، ص ٢٦٢.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٦٢.

❁ ١- عبدالله بن سعد بن أبي سرح^(١) :

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كان عبدالله بن سعد بن أبي سرح يكتب لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأزله الشيطان، فلهق بالكفار، فأمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقتل يوم الفتح، فاستجار له عثمان، فأجاره رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٢).

وعن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما كان يوم فتح مكة اختبأ عبدالله بن سعد بن أبي سرح عند عثمان بن عفان، فجاء به حتى أوقفه على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله بايع عبدالله، فرفع رأسه، فنظر إليه ثلاثاً، كل ذلك يأبى، فبايعه بعد الثلاث، ثم أقبل على أصحابه فقال: « أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حيث رأيته كففت يدي عن بيعته فيقتله؟ فقالوا: ما ندري يا رسول الله

(١) هو عبدالله بن سعد بن أبي سرح بن الحارث بن حبيب بن جذيمة بن نصر بن مالك ابن حسل بن عامر بن لؤي القرشي العامري، يكنى: أبا يحيى، أسلم قبل الفتح، وهاجر، وكان يكتب الوحي لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم ارتدّ مشركاً وصار إلى قريش بمكة، فقال لهم: إني كنت أصرف محمداً حيث أريد، كان يميل عليّ عزيز حكيم، فأقول: « أو عليم حكيم، فيقول: نعم، كل صواب » انظر: ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص ٤٥٨، ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٢، ص ٦١٠؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٤، ص ٨٨.

(٢) الإمام أبي داود: سنن أبي داود، كتاب الحدود، باب الحكم فيمن ارتد، ج ٥، ص ٨٣ ح (٤٣٥٨).

ما في نفسك، ألا أومأت إلينا بعينك قال: إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين»^(١).

فقد كان لعفو النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن عبدالله بن أبي سرح الأثر الواضح في حياته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقد حسن إسلامه بعد ذلك، وهو أحد العقلاء الكرماء من قريش، وقد ولاه عثمان بعد ذلك مصر كلها، وشارك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في ثلاث معارك كبرى:

معركة أفريقية، ومعركة ذات الصواري، ومعركة الأسود من أرض النوبة. وأبلى فيهن بلاء حسناً، ودعا عبدالله بن سعد فقال: «اللهم اجعل خاتمة عملي الصلاة». فصلی الصبح فقرأ في الركعة الأولى بأم القرآن والعاديات، وفي الثانية بأم القرآن وسورة، وسلم عن يمينه، ثم ذهب يسلم عن يساره فتوفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه^(٢).

(١) الإمام أبي داود: سنن أبي داود، كتاب الحدود، باب الحكم فيمن ارتد، ج ٥، ص ٨٣ ح (٤٣٥٩).

(٢) ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٢، ص ٦١٠.

❖ ٢- عكرمة بن أبي جهل^(١) :

كان عكرمة من أشد أعداء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الجاهلية، وقد شرب العداوة جُلَّ هذه المدة الطويلة من أبيه فرعون هذه الأمة وألَدَّ أعداء الإسلام أبي جهل.

وهرب يوم فتح مكة فلحق باليمن، ولحقت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام^(٢)، تبحث عنه حتى وصلت إليه وقالت له: « يا ابن عم، قد جئتكَ من عند أَوْصَلِ الناس، وأَبَرِّ الناس، وخير الناس... لا تُهلك نفسك، إني استأمنت لك محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ». فقال لها: أنت قلت هذا؟ قالت: نعم^(٣).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه - قبل قدوم عكرمة عليه - كلمات

(١) هو عكرمة بن أبي جهل بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي، كان كأبيه من أشد الناس على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أسلم عام الفتح. انظر: ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص ٥٢٤، ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٣، ص ٢٦٩؛ ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٤، ص ٥٣٨.

(٢) هي: أم حكيم بنت الحارث بن هشام، زوج عكرمة بن أبي جهل، ابن عمها، أسلمت يوم الفتح، واستأمنت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لزوجها عكرمة، وكان عكرمة قد فرَّ إلى اليمن وخرجت في طلبه فردته حتى أسلم ولبث على نكاحها. ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص ٩٢٨.

(٣) الصالحى، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ج ٥، ص ٣٧٧.

جميلة.. قال: « يأتاكم عكرمة بن أبي جهل مؤمناً مهاجراً، فلا تسبوا أباه، فإن سب الميت يؤذي الحي، ولا يبلغ الميت»^(١).

أي أخلاق كريمة وهبها اله لرسوله؟! لقد كان أبو جهل فرعون هذه الأمة في شدة عداوته وأذاه للمسلمين، ومع ذلك فالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بِالْأَلَا يلعنوا أبا جهل أمام ابنه عكرمة، لكي لا يؤذوا مشاعره.

ودخل عكرمة بن جهل مكة المكرمة، ومن بعيد رآه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فماذا فعل؟!

هل تذكر أبا جهل؟ هل استعاد بذاكرته الغزوات التي شارك فيها عكرمة صاعداً عن سبيل الله؟! هل نظر إلى حالة الضعف والهوان الشديد التي جاء بها عكرمة، فأراد أن يُلْقِنَهُ درساً يعرف به قوة الدولة الإسلامية؟!

إنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يفعل أيّاً من هذه الأمور المتوقعة من أي سياسي!!

لقد وثب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى عكرمة وما عليه رداء فرحاً به، وجلس عكرمة بين يدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال: يا محمد، إن هذه أخبرتني بأنك أمتنتني!

(١) المصدر نفسه، ج ٥، ص ٣٧٧.

فقال الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « صَدَقْتَ فَأَنْتَ آمِنٌ »

وقال عكرمة: إلام تدعو يا محمد؟

فقال له: أدعو إلى أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله،
وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتفعل وتفعل حتى عد خصال
الإسلام.

فقال عكرمة: ما دعوت إلا إلى الحق وأمر حسن جميل!!

قد كنت والله فينا تدعو إلى ما دعوت إليه، وأنت أصدقنا
حديثاً، وأبرئنا برّاً، فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبداً لله
ورسوله^(١).

وفي لحظة واحدة انتقل عكرمة من معسكر الكفر إلى معسكر
الإيمان!!

ووهب حياته للجهاد في سبيل الله سواء في حروب الردة، أو في
فتوح الشام، حتى قتل شهيداً في اليرموك^(٢).

فأنظر كيف بدل الله ﷻ حياته كاملة بحسن معاملة الرسول
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعفوه عنه وبتأمينه إياه، وبغفرانه له كل التاريخ الأسود

(١) الواقدي: المغازي ص ٥٧٢؛ الصالحى: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد،

ج ٥، ص ٣٧٣.

(٢) ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص ٥٢٤.

الذي كان له مع المسلمين، وصدق رسول الله ﷺ القائل: «لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»^(١).

❖ ٣- العفو عن صفوان بن أمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٢):

صفوان بن أمية بن خلف كان من أكبر سادات المشركين وأشدّهم عداوة لرسول الله ﷺ وهو الذي شجع خطة اغتيال النبي ﷺ. في المدينة بعد معركة بدر، وحرص عمير بن وهب أحد شياطين قريش وشجعانها بتنفيذها، غير أن المحاولة فشلت وأسلم عمير بن وهب في المدينة بعد أن أخبره الرسول ﷺ بما دار بينه وبين صفوان في حجر الكعبة، ولم يكن صفوان بن أمية من المطلوبين الذين أهدر الرسول ﷺ دماءهم إلا أنه لشعوره بعظيم ما كان يرتكب من آثام في الجاهلية في

(١) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ج ٣، ص ١٧٠ ح (٣٧٠١).

(٢) هو صفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي الجمحي، وأمه أيضاً جمحية، يكنى أبا وهب، وقيل: يكنى، أبا أمية، وهما كنيّتان له مشهورتان، قتل أبوه أمية بن خلف ببدر كافراً، وقتل رسول الله ﷺ عمه أبي خلف بأحد كافراً طعنه فصرعه، فمات من جرحه ذلك، وهرب صفوان يوم الفتح، ثم رجع إلى النبي ﷺ فشهد معه حينئذ والطائف وهو كافر وامراته مسلمة، أسلمت يوم الفتح قبل صفوان بشهر، ثم أسلم صفوان فأقرهما رسول الله ﷺ على نكاحهما، ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص ٣٦٥.

حق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يطمئن على حياته، فخاف القتل، فهرب من مكة يوم الفتح يريد جدة ليركب منها إلى اليمن، فقال عمير بن وهب: يا نبي الله إن صفوان بن أمية سيد قومه، وقد خرج هارباً منك، ليقذف نفسه في البحر، فأمنه، صلى الله عليك، قال: « هو آمن » قال: يا رسول الله، فأعطني آية يعرف بها أمانك، فأعطاه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عمامته التي دخل فيها مكة، وخرج بها عمير حتى أدركه وهو يريد أن يركب في البحر، فقال: يا صفوان، فذاك أبي وأمي، الله الله في نفسك أن تهلكها، فهذا أمان من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد جئتكم به، قال: ويحك، أغرب عني فلا تكلمني، قال: أي صفوان، فذاك أبي وأمي، أفضل الناس، وأبر الناس، وأحلم الناس، وخير الناس، ابن عمك، عزه عزك، وشرفه شرفك، ومملكه ملكك، قال: إني أخافه على نفسي قال: هو أحلم من ذاك وأكرم فرجع معه، حتى وقف به على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال صفوان: إن هذا يزعم أنك قد أمنتني، قال: صدق، قال: فاجعلني فيه بالخيار شهرين، قال: « أنت بالخيار فيه أربعة أشهر »^(١).

ثم إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تعامل مع صفوان بن أمية بكل ثقة ولما خرج إلى حنين استعار منه أدرعاً وسلاحاً على سبيل العارية،

(١) الواقدي: المغازي، ص ٥٧٤؛ ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٤، ص ٣٥٣؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٢، ص ٣١٢؛ الصالح: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ج ٥، ص ٣٤٩.

وخرج صفوان وشهد حنين وأعطاه رسول الله من غنائم حنين ما لا كثيراً مما قوى جسر المحبة والثقة واستمال قلبه فأسلم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صادقاً طائعاً مختاراً، وكان ذلك العفو والتسامح هو جسر المودة والرغبة في الإسلام.

❁ ٤- العفو عن هند بنت عتبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا^(١):

في موقعة بدر الكبرى قتل حمزة بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عتبة بن ربيعة (والدهند) ، وشيبة بن ربيعة (عمها)، وأيضاً قُتِلَ في هذه المعركة أخوها (الوليد بن عتبة)^(٢) وحزنت عليهم حزناً شديداً، وراحت ترثيهم مر الرثاء.

وكانت من أشد المشركين كرهاً للإسلام والمسلمين، وفي يوم أحد خرجت مع المشركين من قريش، وهي تحرضهم على القتال، وتقول:

(١) هي هند بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ابن عبد مناف، أم معاوية، أسلمت عام الفتح بعد إسلام زوجها أبي سفيان بن حرب بن أمية فأقرهما رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على نكاحها، وكانت امرأة لها نفس وأنفة، شهدت أحد كافرة، كما شهدت معركة اليرموك بعد إسلامها وتوفيت في خلافة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. انظر: ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ص ٩٢٣.

(٢) الواقدي: المغازي ص ٥٧١؛ ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٢، ص ٥٥٢؛ الصالحى: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ج ٥، ص ٣٨٠.

نحن بنات طارق نمشي على النارق^(١)
إن تقبلوا نعانق أو تدبر نفارق
فراق غير وامق^(٢)

ووقفت هند بنت عتبة، والنسوة اللاتي معها من نساء المشركين
يخرضن على القتال ونسب لهن التمثيل بجثث الشهداء ومنهم حمزة مع
أن الأخبار في ذلك ليس لها أسانيد يعتمد عليها ومما نسب لها من
الشعر قولها:

نحن جزيناكم بيوم بدر والحرب بعد الحرب ذات سعر
ما كان عن عتبة لي من صبر وَلَا أَخِي وَعَمِّهِ وَبِكْرِي
شفيت نفسي- وقضيت نذري شفيت وحشي غليل صدري
فشكر وحشي- على عُمري حَتَّى تَرِمَ أَعْظَمِي فِي قَبْرِي^(٣)

(١) النارق: "اشتريت نمرقه" أي وسادة، وهي بضم النون والراء وبكسرهما، وبغيرها،
وجمعها: نارق ومنه حديث هند يوم أحد:

نحن بنات طارق نمشي على النارق

ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، باب النون مع الميم، ج ٥، ص ١١٨؛
الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ص ١٧٦١.

(٢) الوامق: المحب. ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٣، ص ٦١.

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٣، ص ٧٩.

وقد شرح الله صدرها للإسلام يوم فتح مكة عندما أعلن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العفو العام، حيث اجتمع الناس بمكة لبيعة رسول الله على الإسلام وبعد أن بايع الرجال الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بايع النساء فجاء وفدهن فأسلمن وبايعن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان من بينهن: هند بنت عتبة وعرفها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال: إنك لهند بنت عتبة، فقالت: أنا هند بنت عتبة، فاعف عما سلف عفا الله عنك^(١). فعفا عنها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقالت هند بنت عتبة بعد ذلك للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ما كان على ظهر الأرض من أهل خباء^(٢) أحب إليّ أن يذُلّوا من أهل خِبَائِكَ، ثمّ ما أَصْبَحَ اليوم على ظهر الأرض أهلُ خِباءٍ أحبُّ إليّ أن يَعِزُّوا من أهل خِبَائِكَ، قال: وأيضاً والذي نفسي بيده^(٣).

(١) الواقدي: المغازي ص ٥٧١؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٦٢؛

الصالحى: سبل الهدى الرشاد في سيرة خير العباد، ج ٥، ص ٣٨٠-٣٨١.

(٢) خباء: بكسر المعجمة وتخفيف الموحدة مع المدهي خيمة من وبرأ وصوف ثم أطلقت على البيت كيف ما كان. ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب ذكر هند بنت عتبة، ج ٧، ص ١٧٩.

(٣) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب مناقب الأنصار، باب ذكر هند بنت عتبة بن ربيعة، ج ٣، ص ٢٠٨، ح (٣٨٢٥).

فسرعان ما تحول الكفر إلى الإيمان والبغض إلى محبة ومودة، ولا يكون ذلك إلا بتأثير عظيم رائع من حبيبنا وسيدنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي استطاع بعفوه وصفحه النبيل أن يلامس هذه القلوب ويزيل ما علق بها من شوائب الكفر والحقْد الدفين حتى أعلنت تلك النفوس إسلامها ومحبتها فما أروعهُ من سلوك أخلاقي جميل انفرد به سيد البشر صلوات الله عليه وسلامه.

❖ ٥- هبار بن الأسود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١) :

هو الذي عرض لزينب بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سفهاء من قريش، حين بعث بها أبو العاص زوجها إلى المدينة فروّعها هبار بالرمح وهي في هودجها وكانت حاملاً، فلما روعت طرحت ما في بطنها^(٢) فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن وجدتُم هباراً فأحرقوه

(١) هبار بن الأسود بن عبدالمطلب ابن أسد بن عبدالعزى بن قصي القرشي الأسدي، أسلم بعد الفتح، وحسن إسلامه، انظر: ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ص ٧٣٤.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٣، ص ٥٧٧.

بالنار ثم قال: اقتلوه فإنه لا يعذب بالنار إلا رب النار»^(١).

وقد وصف الواقدي قصة إسلامه عن طريق محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، عن جده، قال: كنت جالساً مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أصحابه منصرفه من الجعرانة، فطلع هبار بن الأسود من باب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلما نظر القوم إليه قالوا: يا رسول الله هبار بن الأسود، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قد رأيته، فأراد بعض القوم القيام إليه، فأشار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن أجلس.

ووقف هبار، فقال السلام عليك يا رسول الله، إني أشهد أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله، ولقد هربت منك في البلاد وأردت اللقوق بالأعاجم، ثم ذكرت عائدتك وفضلك وبرك وصفحك عمن جهل عليك، وكنا يا رسول الله أهل شرك فهدانا الله وَجَّكَ بك، وأنقذنا من الهلكة فاصفح عن جهلي، وعما كان يبلغك عني، فإني مقر بسوء، فعلى، معترف بذنبي، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « قد عفوت عنك، وقد أحسن الله بك حيث هداك للإسلام والإسلام يجب ما كان قبله »^(٢).

(١) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب الجهاد، باب لا يعذب بعذاب الله، ج ٢، ص ٦٠٥ ح (١٤٩).

(٢) الواقدي، المغازي ص ٥٧٥-٥٧٦، المقرئ، إمتاع الأسماع، ج ١، ص ٤٠٠، الصالح: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ج ٥، ص ٣٤٠.

إنه عفو نبوي وصل إلى أعلى درجاته فهذا هبار بن الأسود الذي يعتبر مسؤولاً عن ما حدث لزینب حين ضربها بالرمح، حتى أسقطت جنينها، وعلى الرغم من ذلك كله وإهدار دمه إلا أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ارتقى في أعلى درجات العفو والتسامح والصفح عن ما أقدم عليه هبار من ذنب شنيع في حق ابنته زينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وكانت النتيجة لتلك المعاملة الحانية إسلام هبار بن الأسود، وندمه على ما فعله ندماً شديداً، وقد هداه الله للإسلام وشرح صدره، والإسلام يجب ما قبله كما وضح له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذلك ليطمئن قلبه ويذهب عنه الخوف من تبعة ما عمل في جهله وكفره.

❁ ٦ - العفو عن وحشي قاتل حمزة بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

لقد أصيب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم أحد إصابات كثيرة من أعدائه اللئام، حيث شجّوا وجهه الشريف، وكسروا رباعيته في ذلك اليوم، بنفسه هو وبأبي وأمي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومع ذلك راوده أصحابه أن يدعو الله تعالى عليهم فقال: «إني لم أبعث لعناً، ولكني بعث داعياً ورحمة، اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون»^(١).

(١) البيهقي، دلائل النبوة، ج ٣، ص ٢١٤ من حديث سهل بن سعد، وأصله في الصحيحين، البخاري في باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ج ٤، ص ٢١٤، ومسلم في الجهاد، باب غزوة أحد برقم (١٧٩٢) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كأنني أنظر إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحكي نبياً من الأنبياء وضربه قومه، فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون».

والأدهى والأمر في ذلك اليوم كان استشهاد عمه حمزة بن عبدالمطلب^(١) ووقوفه على جثته وقد قتل فإنه أشق على نفس رسول الله مما أصابه حيث قتله وحشي^(٢) مولى جبير بن مطعم، بل ومثلوا به رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث قطعوا كبده وأنفه، وقطعوا أذنيه، وبقروا بطنه، ولما رأى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حمزة قتيلاً بكى وعندما رأى ما مثل به شهق^{(٣)(٤)}.

(١) حمزة بن عبدالمطلب بن هاشم عم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقال له: أسد الله، وأسد رسول الله، يكنى: أبا عمار وأبا يعلى، أسلم في السنة الثانية من المبعث، وكان أخا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الرضاعة أرضعتها ثوية، وشهد بدرًا وأبلى فيها بلاءً حسناً، وشهد أحد بعد بدر فقتل شهيداً قتله وحشي بن حرب الحبشي مولى جبير بن مطعم بن عدي. انظر: ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص ٢٠٣.

(٢) وحشي بن حرب الحبشي، مولى جبير بن مطعم بن عدي، يكنى: أبا دسمة وهو الذي قتل حمزة بن عبدالمطلب عم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم أحد، وكان يومئذ وحشي كافراً، استخفى له خلف حجر، ثم رماه بحربة كانت معه، وكان يرمي رمي الحبشة فلا يكاد يخطئ، واستشهد حمزة حينئذ، ثم أسلم وحشي بعد أخذ الطائف، وشهد اليمامة ورمي مسيلمة بحربته التي قتل بها حمزة فقتله. انظر: ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص ٧٤٩.

(٣) شهق: كمتع وضرب وسمع، شهيقاً وشهاقاً، بالضم، وتشهاقاً، بالفتح: تردّد البكاء في صدره. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص ٩٤٥.

(٤) ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ص ٧٤٩.

وأمكنه الله منهم يوم الفتح العظيم، وقبض على ناصية الجبابرة
الطغاة، الذين أمر بإهدار دمائهم وكان من بينهم وحشي بن حرب.
وقد أفرد البخاري في صحيحه^(١) باباً أسماه (باب قتل حمزة
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ).

وجاء فيه عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري قال: خرجت
مع عبيد الله بن عدي بن الخيار، فلما قدمنا حمص، قال لي عبيد الله: هل
لك في وحشي نسأله عن قتل حمزة؟ قلت: نعم... إن حمزة قتل طُعِمة
بن عَدِيّ بن الخيار^(٢) ببدر، فقال لي مولاي جُبَيْرُ بن مُطعم: إن قتلت
حمزة بعمي فأنت حر، قال: خرجت مع الناس إلى القتال، فلما
اصطفوا للقتال خرج سباع^(٣) فقال: هل من مُبارز؟ قال: فَخَرَجَ إليه
حمزةُ بن عبدالمطلب فقال: يا سباعُ، يا ابن أم أنمار مُقطعة البُظُور^(٤)،
أُتْحَادَ الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قال: ثُمَّ شَدَّ عليه فكان كأمس

(١) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب المغازي، باب قتل حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ج ٣، ص ٣٠٦ ح (٤٠٧٢).

(٢) لم أجده.

(٣) هو سباع بن عبدالعزى الخزاعي، وأمه أم أنصار وكانت تحت النسا بمكة،
البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المغازي، باب قتل حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ج ٣، ص ٣٠٦ ح (٤٠٧٢).

(٤) مقطعة البظور: أي التي تحت النساء، والعرب تقول ذلك في معرض الذم والشتم.
المصدر نفسه، ج ٣، ص ٣٠٧ ح (٤٠٧٢) ..

الذّاهب^(١)، قال: وكمنت لحمزة تحت صخرة، فلمّا دنا مني رميته بحرّبتني، فأضعها في ثنته^(٢)، حتى خرجت من بين وركيه، قال: فكان ذاك العهد به. فلما رجع الناس رجعت معهم، فأقمت بمكة حتى فشا فيها الإسلام، ثم خرجت إلى الطائف، فأرسلوا إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسلاً، فقليل لي: إنه لا يهيج الرُّسل^(٣)، قال: فَخَرَجْتُ معهم حتّى قدمت على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلما رآني قال: أنت وحشي؟ قلت: نعم، قال: «أنت قتلت حمزة» قلت: قد كان من الأمر ما بلغك، قال: فهل تستطيع أن تُغيّب وجهك عني؟ قال: فخرجت^(٤).

فهذا موقف يتبين لنا فيه كيف كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكظم غيظه فأَيَّ كظم للغیظ هذا؟ بل أَيَّ حلم وعفو هذا الذي يلقي

(١) كأمس الذاهب: كناية عن قتله، أي قتله فلحق بالماضي، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٣٠٧، ح (٤٠٧٢).

(٢) ثنته: أي عاتته، وقيل: ما بين السرة والعانة، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٣٠٧، ح (٤٠٧٢)؛ ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، باب الثاء مع النون، ج ١، ص ٢٢٤.

(٣) لا يهيج الرسل: أي لا يزعجهم ولا يناهم بمكروه، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٣٠٧، ح (٤٠٧٢).

(٤) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب المغازي، باب قتل حمزة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ج ٣، ص ٣٠٦، ح (٤٠٧٣)؛ ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٣، ص ٦٤؛ الصالحی: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ج ٤، ص ٣١٩-٣٢٠.

به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قاتل عمه الأثير وصديقه النصير، وشريكه في الجهاد وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قادراً على أن يثار لعمه؛ بل كان كثير من الصحابة الكرام ينتظر إشارة من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيقتل بها وحشي ليتشفى غيظ نبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لكن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عفى عنه ابتغاء وجه الله تعالى، وفي هذا بيان لأتمته أن تتعلم العفو والصفح الجميل الذي كان من أهم آثاره إسلام وحشي بن حرب الذي قتل بحربته التي قتل بها حمزة مسيلمة الكذاب^(١) شر عباد الله وكان يقول: قتلت بحربتي هذه خير الناس وشر الناس^(٢).



(١) مسيلمة الكذاب: مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي، أبو شامة، متنبئ، من المعمرين، وفي الأمثال (أكذب من مسيلمة)، ولد ونشأ باليامة، في القرية المسماة اليوم بالجبيلة، بقرب (العيينة) بوادي حنيفة، في نجد، وتلقب في الجاهلية بالرحمن، وعُرف برحمان اليامة، وأخذ يطوف في ديار العرب والعجم يتعلم الأساليب التي يستطيع بها استغفال الناس واستجراهم لجانبه، وكان مسيلمة يدعي النبوة ورسول الله بمكة، وخلص المسلمون إلى مسيلمة لعنه الله في زمن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذ قتله وحشي بن حرب مولى جبير بن مطعم بحربته فأصابه، وخرجت من الجانب الآخر وسارع إليه أبو دجانة سهاك بن خرشة فضربه بالسيف فسقط. الصلابي: الإنشراح ورفع الضيق في سيرة أبي بكر الصديق، (دار التوزيع، القاهرة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م)، ص ٢٧٢.

(٢) ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص ٧٤٩.

المطلب الرابع: العفو عن بعض من هجاه من الشعراء

كان الشعراء من الكفار قد ألّبوا على رسول الله ﷺ وعلى الإسلام والمسلمين لكن عدداً منهم تراجع لما انتشر الإسلام. ولا غرو أن يفد الشعراء على الرسول ﷺ لإعلان إسلامهم وتوبتهم، فإن عفو النبي ﷺ وأخلاقه السمحة، وانتصارات المسلمين المستمرة كل ذلك دفع الشعراء إلى الوفود على رسول الله ﷺ وإعلان التوبة بين يديه، لعلمهم بأخلاقه وعفوه وتسامحه ﷺ مع من يرجى إسلامه أو يأتي مسلماً.

واتخذ هؤلاء الشعر وسيلة للوفود على الرسول ﷺ والاعتذار إليه، فمدحوا الدعوة وأنصارها وذموا الجاهلية وأمورها في أسلوب مقارنة واضحة، وندم حزين على ما كان منهم من عداء للرسول ﷺ ودعوته^(١).

ومن الشعراء الوافدين على رسول الله ﷺ بعد فتح مكة:

(١) انظر: عبدالله الفالح، الشعر ودوره الدعوي، (رسالة ماجستير، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية)، ص ١٠٠.

❖ ١- عبد الله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١) :

وكان قد هرب إلى نجران^(٢)، فهجاه حسان ثابت بيت واحد ما زاد عليه^(٣):

(١) هو عبد الله بن الزبير بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم، القرشي، السهمي، الشاعر، أمه عاتكة بنت عبد الله بن عمرو بن وهب بن حذافة بن جمح، كان من أشد الناس على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى أصحابه بلسانه ونفسه، وكان من أشعر الناس وأبلغهم، أشعر قریش قاطبة، وأبرعهم شعراً، كان يهاجي حسان بن ثابت وكعب بن مالك، ثم أسلم عبد الله بن الزبير بعد أن هرب يوم الفتح إلى نجران، فرماه حسان بن ثابت بيت واحد ما زاد عليه. انظر: ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ص ٤٥٠.

(٢) نجران: على وزن فعلان، وهي مدينة عريقة عرفت منذ أن عرف للعرب تاريخ، تتكون من مجموعة مدن صغيرة في وادٍ واحد، ولذا فكلما اندثرت مدينة من تلك المدن حملت الأخرى اسم نجران، وهي وادٍ كبير كثير المياه والزرع، يسيل من السراة شرقاً حتى يصب في الربع الخالي، وتقع على الطريق بين صعدة وأبها، على قرابة (٩١٠) أكيال جنوب شرقي مكة، في الجهة الشرقية من السراة، وتربطها بكل من مكة والرياض وشروري - في الربع الخالي - طريق معبدة، ولها مطار، وفيها آثار أهمها مدينة الأخدود وما كا يعرف بكعبة نجران، كان قوم أهلها في الجاهلية وصدر الإسلام بنو الحارث بن كعب من مذحج، وقوام أهلها اليوم قبيلة يام الهمدانية، ولها ذكر كثير في السيرة. البلادي، عاتق غيث، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص ٣١٤.

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٤، ص ٣٥٤.

لَا تَعْدِمَنَّ رَجُلًا أَحَلَّكَ بَغْضَهُ نَجْرَانٌ فِي عَيْشٍ أَحَدٌ^(١) لئيم
فلما جاء ابن الزبعرى شعر حسان تأثر، ثم قرر الوفود على
رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حتى جاء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو
جالس في أصحابه فلما نظر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليه قال: « هذا ابن
الزبعرى، ومعه وجه فيه نور الإسلام، فلما وقف على رسول الله
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: السلام عليكم أَيُّ رَسُولِ اللَّهِ شهدت أن لا إله إلا
الله، وأنت عبده ورسوله، والحمد لله الذي هداني للإسلام لقد
عاديتك وأجلبت عليك، وركبت الفرس والبعير، ومشيت على قدمي
في عداوتك، ثم هربت منك إلى نجران، وأنا أريد ألا أقرب الإسلام
أبدًا، ثم أرادني الله تَعَالَى بخير فألقاه في قلبي وحببه إليّ، وذكرت ما كنت
فيه من الضلالة، واتباع ما لا ينفع ذا عقل من حجر يعبد، ويذبح له لا
يدري من عبده ومن لا يعبد، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « الحمد
لله الذي هداك للإسلام إن الإسلام يُحِبُّ مَا كَانَ قَبْلَهُ »^(٢).
ثم أنشد:

يا رسول المليك إن لساني راتق^(٣) ما فتقت^(١) إذ أنا بُورُ^(٢)

(١) أَحَدٌ: القليل المنقطع وقد يجوز أن يكون معناه في عيش لئيم جدًا. ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٤، ص ٣٥٤.

(٢) الواقدي: المغازي، ص ٥٧٠؛ انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٣، ص ٣١٣.

(٣) الراتق: الساد، تقول: رتقت الشيء، إذا سدته. وقال تعالى: ﴿كَأَنَّا رَتَقًا
فَفَتَقْنَاهُمَا﴾. ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٤، ص ٣٥٤.

إذ أبادي^(٣) الشيطان في سنن^(٤) ومن مال ميله مثور^(٥)
 آمن اللحم والعظام لربي ثم قلبي الشهيد أنت النذير
 إنني عنك زاجر ثم حيّا من لؤي وكلهم مغرور^(٦)

ونلاحظ أن شعره تملؤه العاطفة الصادقة الجياشة المؤثرة، يعلن فيه التوبة والأسى على عدائه للدعوة فيما مضى، ويصف حاله حين ذاك بإتباع الشيطان والجري خلف سنن الغي، ثم يعلن تغلغل الإسلام في كيانه، وسعادته بذلك وإقرار قلبه بكل ما أتى به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٧).

وقد حرص النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالبيان له أن الإسلام يجب ما قبله حتى يتناسى الماضي الذي كان فيه ويبدأ حياة جديدة في ظلال الإسلام والدعوة إليه.

(١) فتقت: يعني في الدين، فكل إثم فتق وتمزيق، وكل توبة رتق، ومن أجل ذلك قيل للتوبة نصوح، من نصحت الثواب إذا خطته، والنصاح الخيط. المصدر نفسه، ج ٤، ص ٣٥٤.

(٢) بور: هالك. يقال: رجل بور وبائر، وقوم بور، المصدر نفسه، ج ٤، ص ٣٥٤.

(٣) أبادي: أجاري وأعارض، المصدر نفسه، ج ٤، ص ٣٥٤.

(٤) السنن: وسط الطريق، المصدر نفسه، ج ٤، ص ٣٥٤.

(٥) مثور: هالك. المصدر نفسه، ج ٤، ص ٣٥٤.

(٦) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٣٥٤.

(٧) عبد الله الفالح، الشعر ودوره الدعوي، ص ١٠٠.

❁ ٢- أبو سفيان بن الحارث^(١) :

كان أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب ابن هاشم القرشي الهاشمي، ابن عم رسول الله ﷺ وكان أخا رسول الله ﷺ من الرضاعة، أرضعته حليلة أياماً، فلما بُعث رسول الله ﷺ عاداه وهجاه وهجا أصحابه، فمكث عشرين سنة عدواً لرسول الله ﷺ مباعداً للإسلام شديداً على من دخل فيه، ولم يتخلف عن موضع تسير فيه قريش لقتال رسول الله ﷺ، فلما ضرب الإسلام بُجْرانَه بعد صلح الحديبية وتحرك رسول الله ﷺ إلى مكة عام الفتح قذف الله في قلب أبي سفيان الإسلام

(١) هو أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب ابن هاشم، القرشي، الهاشمي، ابن عم الرسول ﷺ وكان أخا رسول الله ﷺ من الرضاعة، وأمه غزية بنت قيس بن طريف من ولد فهر بن مالك ابن النضر بن كنانة، كان أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب من الشعراء المطبوعين، وكان قد سبق له هجاء في رسول الله ﷺ وإيأاه عارض حسان بن ثابت بقوله:

ألا أبلغ أبا سفيان عني مغلغلة فقد برح الخفاء

هجوت محمداً فأجبتُ عنه وعند الله في ذاك الجزاء

ثم أسلم فحسن إسلامه، فيقال: إنه ما رفع رأسه إلى رسول الله ﷺ حياءً منه، وكان إسلامه عام الفتح قبل دخول رسول الله ﷺ مكة، وشهد مع رسول الله ﷺ فتح مكة ويوم حنين والطائف هو وابنه جعفر، انظر: ابن عبد البر، الاستيعاب، ص ٨٠٥.

فخرج من مكة مهاجراً فلقي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الطريق ومعه ابنه جعفر بن أبي سفيان مُقنَّعين، فلما انتهيا إليه قالَا:

السلام عليك يا رسول الله، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «اسْفِرُوا تَعَرَّفُوا». فانتسبوا له وكشفوا عن وجوههم وقالوا: نشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله، فقال رسول الله: «أي مَطْرِدٍ طردتني يا أبا سفيان، أو متى طردتني يا أبا سفيان؟ قال: لا تثريب يا رسول الله، قال: «لا تثريب يا أبا سفيان» وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعلي بن أبي طالب: «بَصِّرْ ابن عمك الوضوء والسنة وِرْخْ به إليّ». فعلمه علي رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْهُ الوضوء ثم راح إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم معه، فأمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علي بن أبي طالب أن ينادي في الناس: (ألا إن الله ورسوله قد رضيا عن أبي سفيان فارضوا عنه)^(١).

فهذا الذي سعى جاهداً بقوله وفعله ضد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والدين الذي جاء به مع قرابته نسباً عندما يأتي مسلماً يعفو عنه رسول الله بل يعلن رضاء الله عنه وينادي بذلك بين المسلمين، مما كان له عظيم الأثر في نفس أبي سفيان بن الحارث فيستحي من رسول الله، ولا يستطيع أن يرفع إليه بصره، ثم كانت له مواقف مشرفة من الثبات يوم حنين مما يؤكد صدق إيمانه وأثر المعاملة النبوية في نفسه.

(١) الواقدي: المغازي، ص ٥٤٧؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٤، ص ٣٧.

وأنشد أبو سفيان أبياتاً يعتذر فيها عن عدائه للدعوة، وسفّه أعماله حين ذاك ومدح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال أبو سفيان:

لَتَغْلِبَ خَيْلُ اللَّاتِ خَيْلَ مُحَمَّدٍ	لَعَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ أَحْمِلُ رَايَةً
فهذا أواني اليوم أهدي واهتدي	لكا لِمَذْلَجِ الْحِيرَانِ أَظْلَمَ لَيْلُهُ
على الله مَن طَرَدْتُ كُلَّ مُطَرِّدٍ	هداني هادٍ غيرَ نَفْسِي وَدَلَّنِي
وَأَدْعَى وَإِنْ لَمْ أَنْتَسِبْ بِمُحَمَّدٍ ^(١)	أَفِرُّ وَأُنْأَى جَاهِداً عَنْ مُحَمَّدٍ

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٤، ص ٣٧.

❖ ٣- كعب بن زهير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١):

بعد فتح مكة ودخول الناس في دين الله أفواجا، لم يجد من عادى الله وروسوله ملاذاً، وكان منهم كعب بن زهير، فما كان من أخيه بجير بن زهير^(٢) وقد هداه الله للإسلام إلا أن بعث رسالة إلى أخيه كعب بن زهير يخبره فيها أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قتل عدداً من الشعراء المعادين للدعوة، وهرب بعضهم، ويدعوه فيها إلى الإسلام وإلى الوفود على رسول الله فإن محمداً لا يقتل أحداً جاءه تائباً، وإن أنت لم تفعل فاهرب واضرب في الأرض وأبعد عن متناول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهرب كعب ولكن ضاقت عليه الأرض بما رحبت،

(١) هو كعب بن زهير: بن أبي سلمى واسم أبي سلمى: ربيعة بن رباح المزني من مزينة بن أد ابن طابخة بن إلياس بن مضر، كان كعب بن زهير شاعراً مجوداً كثير الشعر، مقدماً في طبخته، هو وأخوه بجير وكعب أشعرهما، وأبوهما زهير فوقهما ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ص ٦٢٦؛ ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٣، ص ٥٢٨.

(٢) هو بجير بن زهير بن أبي سلمى واسم أبي سلمى: ربيعة بن رباح بن قرط بن الحارث ابن مازن بن ثعلبة بن ثور بن هذمة بن لاطم ابن عثمان بن مزينة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر المزني، أسلم قبل أخيه كعب بن زهير، وكان شاعراً محسناً هو وأخوه كعب، وأما أبوهما فأحد المبرزين الفحول من الشعراء، وكعب بن زهير يتلوه في ذلك. ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ص ١٠٧؛ ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ١، ص ١٩١.

فأجمع الوفود على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معلناً التوبة^(١) طالباً الصفح عما كان منه، مادحاً رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومشيداً بمحامد الدعوة، وأتباعها، ومسفهاً أعماله أيام الغواية، وعداء الدعوة، ونظم في ذلك قصيدته اللامية، وأهداها إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث سُرَّ بها^(٢)، ودعى الناس إلى الإنصات والاستماع لها، لما فيها من معاني الفخر والاعتزاز والمديح للدعوة وأنصارها، كما أن كعب وفق في تصوير مشاعر الخوف والوجل، وما ينتظره من خبر صارم لقاء معاداته للدعوة، ثم حديثه عن أخلاق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المتمثلة في سماحته وعفوه، فإنه من خلال ذلك يغري أعداء الدعوة بأنه يمكنهم تدارك الأمر بالوفود إليه، وإعلان الندم عما كان منهم من عمل معادي.

وبلغ من إعجاب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقصيدة كعب أن ألقى عليه برده^(٣)، وأهداه إياها، لإشعاره بالطمأنينة والأمن والراحة النفسية وكانت نتيجة تلك المعاملة الرائعة والعفو والتسامح النبوي أن الشاعر كعب بن زهير أعلن إسلامه وبذلك حصل مقصود رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال كعب بن زهير في قصيدته الاعتذارية إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والتي مطلعها^(٤):

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٤، ص ٤٢٤.

(٢) الإمام أحمد: المسند، ج ٢١، ص ١٨٦.

(٣) المصدر السابق، ج ٢١، ص ١٨٧.

(٤) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٤، ص ٤٣٥؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٤، ص ٣٧١؛ ابن سيد الناس: عيون الأثر في المغازي والسير، ص ٣٨٣-٣٨٤.

بَانَتْ سَعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتَّبُولٌ
مُتَمِّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُفِدَ مَكْبُولٌ
إِلَى أَنْ قَالَ:

نَبِئْتُ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي
مَهْلًا هَذَاكَ الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةً
ثُمَّ قَالَ:

إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ
فِي عُصْبَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ
زَالُوا فَمَا زَالَ أَنْكَاسُ وَلَا كَشْفُ
شُمِّ الْعَرَانِينِ أَبْطَالَ لُبُوسُهُمْ
بِيضُ سَوَابِغٍ قَدْ شُكَّتْ لَهَا حَلَقُ
لَيْسُوا مَفَارِيحُ إِنْ نَالَتْ رِمَاحُهُمْ
يَمْشُونَ مَشْيَ الْجَمَالِ الزَّهْرِ
لَا يَقَعُّ الطَّعْنُ إِلَّا فِي نُحُورِهِمْ
مُهَنَّدٌ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ مَسْلُوكٌ
بِطْنِ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا زُودُوا
عِنْدَ اللَّقَاءِ وَلَا مِيلَ مَعَازِيلُ
مَنْ نَسَجَ دَاوُدَ فِي الْهَيْجَا سَرَائِيلُ
كَأَنَّهَا حَلَقُ الْقَفْعَاءِ مَجْدُولُ
قَوْمًا وَلَيْسُوا مَجَازِيْعَا إِذَا نِيلُوا
ضَرْبُ إِذَا عَرَدَ السُّودُ التَّنَائِيلُ
وَمَا لَهُمْ عَنْ حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلُ

وقد خص كعب بن زهير بمدحه المهاجرين من أصحاب
رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فغضبت الأنصار عليه ثم إنه تدارك ذلك
بقصيدة أخرى خص فيها الأنصار ومدحهم فقال:

من سره كرم الحياة فلا
في مقنب من صالحى الأنصار

ورثوا المكارم كابراً عن كابر
والبائعين نفوسهم لنبيهم
إن الخيار هم بنو الأخيار
للموت يوم تعانق وكرار^(١)

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٤، ص ٤٣٥-٤٣٦.

❖ ٤- العفو عن أنس بن زعيم الديلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١) :

خرج عمرو بن سالم الخزاعي^(٢) في أربعين راكباً من خزاعة^(٣)

(١) هو أنس بن زعيم بن عمرو بن عبدالله بن جابر بن عبد عدي بن الديلي بن بكر بن عبد مناة بن كنانة الكناني الديلي، أهدر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دمه، فلما كان يوم الفتح أسلم أنس وأتى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعتذر إليه مما بلغه، وكلمه فيه نوفل بن معاوية الديلي، وقال: وأنت أولى الناس بالعفو فعفا عنه. ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ١، ص ١٤٥؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ١، ص ١١١.

(٢) عمرو بن سالم بن كلثوم الخزاعي، خرج مستنصراً من مكة إلى المدينة حتى أدرك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأشدد يقول:

يا رب إني ناشد محمداً حلف أبيه وأبيننا ألا تلدا
إن قريشاً أخلفتك الموعداً ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وزعموا أن لست تدعوا أحداً وهم أذل وأقل عدداً

إلى آخر الأبيات، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نصرت يا عمرو بن سالم. ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص ٥٦٧-٥٦٨.

(٣) خزاعة: بضم الخاء وفتح الزاي المعجمتين وألف ثم عين مهملة وهاء في الآخر وهم: بنو عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن مزبقياء بن مازن بن الأزد، وقال أبو عبيد: وعمر وهذا أبو خزاعة كلها، ومنه تفرقت بطونها، وسموا خزاعة لأن بني مازن بن الأزد لما تفرقت الأزد من اليمن في البلاد نزل بنو مازن على ماء يقال له غسان، وأقبل بنو عمرو فانخزعوا عن قومهم، فنزلوا مكة، ثم أقبل بنو أسلم ومالك وملكان فانخزعوا عن قومهم أيضاً، فسمي الجميع خزاعة، وكانت =

يستنصرون رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على قريش وبني بكر الذين غدروا بهم وقتلوهم في زمن الحديبية ثم إنهم أخبروا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن أنس بن زعيم الديلي قد هجاك، فأهدر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دمه، فبلغ أنس بن زعيم ذلك، فخاف ثم أرسل إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معذراً عما بلغه فقال:

أَنْتَ الَّذِي تُهْدِي مَعَدًّا بِأَمْرِهِ	بَلِ اللَّهُ يَهْدِيهِمْ وَقَالَ لَكَ أَشْهَدِ
وَمَا حَمَلَتْ مِنْ نَاقَةٍ فَوْقَ رَحْلِهَا	أَبْرًا وَأَوْفَى ذِمَّةٍ مِنْ مُحَمَّدٍ
أَحَثَّ عَلَى خَيْرٍ وَأَسْبَغَ نَائِلًا	إِذَا رَاحَ كَالسَّيْفِ الصَّقِيلِ الْمُهَنَّدِ
وَأَكْسَى لِبُرْدِ الْخَالِ قَبْلَ ابْتِدَالِهِ	وَأَعْطَى لِرَأْسِ السَّابِقِ الْمُتَحَرِّدِ
تَعَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ أَنَّكَ مُدْرِكِي	وَأَنَّ وَعِيدًا مِنْكَ كَالْأَخْذِ بِالْيَدِ
تَعَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ أَنَّكَ قَادِرٌ	عَلَى كُلِّ صِرْمٍ مُتْهِمِينَ وَمُنْجِدِ
تَعَلَّمَ بِأَنَّ الرُّكْبَ رَكْبَ عُوَيْمِرٍ	هُمُ الْكَاذِبُونَ الْمُخْلِفُونَ كُلَّ مَوْعِدِ
وَنَبَّوْا رَسُولَ اللَّهِ أَنِّي هَجَوْتُهُ	فَلَا حَمَلَتْ سَوَاطِي إِلَيَّ إِذْ يَدِي
سِوَى أَنَّنِي قَدْ قُلْتُ وَيْلٌ أَمْ فِتْيَةٍ	أُصِيبُوا بِنَحْسٍ لَا يَطْلُقُ وَأُسْعَدِ ^(١)

= مواطنهم مكة وممر الظهران وما بينهما، وكانوا حلفاء قريش، وكان لهم ولاية العهد بعد جرهم، وبقياء خزاعة بأرض الحجاز وغرة. القلقشندي: قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، ص ٩٨-٩٩.

(١) الواقدي: المغازي، ص ٥٣٥؛ ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٤، ص ٣٥٩،

وبلغت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قصيدته واعتذاره فيها.

وكلمه نوفل بن معاوية^(١) الديلي فقال: يا رسول الله أنت أولى الناس بالعفو ومن منا لم يعادك ويؤذك، ونحن في جاهلية لا ندري ما نأخذ وما ندع حتى هدانا الله بك من الهلكة، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عفوت عنه^(٢).

هذه هي أخلاق النبوة، وهذا هو نبينا بخلقه الرائع فقد ترك الفرصة لأنس بن زنيم لإعلان اعتذاره والندم والتوبة، وتأكيد العزم في العودة إلى الرشd، وبالفعل كان حدوث النتيجة المرضية بإسلام أنس بن زنيم وندمه على ما صدر منه أيام جهله.

(١) هو نوفل بن معاوية بن عروة، وقيل: نوفل بن معاوية بن عمرو الديلي، من بني الديل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، ثم أحد بن نفثة بن عدي بن الديل أسلم، وشهد مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتح مكة، ونزل المدينة حتى توفي بها أيام يزيد بن معاوية. ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٤، ص ٢٦٣-٢٦٤.

(٢) الواقدي: المغازي ص ٥٣٥، ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ١، ص ١٤٥؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ١، ص ١٠٩.

❖ ٥- العفو عن أسيد بن أبي أناس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١) :

قدم على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفد بني عبيد بن عدي، وقالوا: إنا لا نريد قتالك، ولو قاتلت غير قريش لقاتلنا معك، ثم أسلموا واستأمنوا لقومهم سوى رجل منهم أهدر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دمه يقال له: أسيد بن أبي أناس، ففبرأوا منه، فبلغ أسيداً ذلك، فأتى الطائف. فلما كان عام الفتح خرج سارية ابن زنيم^(٢) إلى الطائف فقال له أسيد: ما وراءك؟ قال: أظهر الله نبيه ونصره على عدوه، فأخرج يا ابن أخي إليه، فإنه لا يقتل من أتاه.

فحمل أسيد امرأته وخرج بها وهي حامل، فلما وصل عند قرن الثعالب^(٣) وضعت امرأته، ثم سار حتى قدم على أهله بمكة فلبس

(١) هو أسيد ابن أبي أناس بن زنيم بن عمرو بن عبد الله بن جابر بن محمية بن عبد بن عدي، بن الدئل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة الكناني الدئلي، ابن أخي سارية، كان أسيد شاعراً، فأهدر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دمه، ثم أتاه عام الفتح فأسلم وصحبه. ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ١، ص ١٠٥؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ١، ص ٧٣.

(٢) هو سارية بن زنيم بن عبد الله بن جابر بن محمية بن عبد بن عدي بن الدئل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة الدئلي. ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٣، ص ٤.

(٣) قرن الثعالب: هو قرن المنازل ميقات أهل نجد، وهو ما يعرف اليوم باسم السيل الكبير، يبعد من مكة ثمانين كيلاً على طريق الطائف، الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٣٢، البلادي: معجم المعالم الجغرافية، ص ٢٥٤.

قميصاً واعتم ثم أتى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسارية قائم بالسيف عند رأسه، فأقبل أسيد حتى جلس بين يدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا محمد أنذرت دم أسيد؟ قال: نعم، قال: أفتقبل منه إن جاءك مؤمناً؟ قال: نعم، فوضع يده في يد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا محمد هذه يدي في يدك أشهد أنك رسول الله وأن لا إله إلا الله^(١). فعفا عنه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينما جاء مسلماً.

والعفو والتسامح صفتان أساسيتان في الإسلام وكان واضح هذا الأساس محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فبعفوه وتسامحه وضع أصول التعامل الأخلاقي بين المسلمين واستطاع جذب العديد من الناس للدخول في الإسلام وتعامله مع أسيد بن أبي أناس يترجم حقيقة ذلك الأمر.



(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٣٠٦؛ الصالحى: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ج ٦، ص ٤١١.

المطلب الخامس : العفو عن شيبه بن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١)

كان طلحة بن عثمان العبدي قد أسلم في زمن هدنة الحديبية ووفد على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المدينة، ولَمَّا فَتَحَ اللهُ مَكَّةَ لِرَسُولِهِ طَلَبَ مِنْهُ مِفْتَاحَ الْكَعْبَةِ ثُمَّ دَخَلَهَا رَسُولُ اللَّهِ بَعْدَ أَنْ طُهِرَتْ مِنْ آثَارِ الْجَاهِلِيَّةِ، ثُمَّ أَعَادَ رَسُولُ اللَّهِ الْمِفْتَاحَ لَهُ وَقَالَ: خَذُوهَا خَالِدَةً تَالِدَةً لَا يَنْزِعُهَا مِنْكُمْ إِلَّا ظَالِمٌ، أَمَّا ابْنُ عَمِّهِ شَيْبَةُ بْنُ عُثْمَانَ فَقَدْ انْطَوَتْ نَفْسُهُ عَلَى الْحَقْدِ وَالْغَدْرِ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَنْتَرَكُهُ يَحْدِثُ عَنْ نَفْسِهِ بِقَوْلِهِ:

لَمَّا غَزَا رَسُولُ اللَّهِ حَنِينًا قُلْتُ أُسِيرُ مَعَ قَرِيشٍ إِلَى هَوَازِنَ، فَعَسَى إِنْ اخْتَلَطُوا أَنْ أَصِيبَ مِنْ مُحَمَّدٍ غَرَةً، وَتَذَكَّرْتُ أَبِي وَقَدْ قَتَلَهُ حَمْزَةٌ، وَعَمِي وَقَتَلَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَدْرِكُ ثَأْرِي مِنْ مُحَمَّدٍ، وَأَكُونُ أَنَا الَّذِي قَمْتُ بِثَأْرِ قَرِيشٍ كُلِّهَا، وَأَقُولُ: لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ أَحَدٌ إِلَّا اتَّبَعَ مُحَمَّدًا مَا تَبَعْتَهُ أَبَدًا، فَكُنْتُ مَرَصِدًا لَمَّا خَرَجْتُ لَهُ، لَا يَزِدَادُ الْأَمْرَ فِي نَفْسِي إِلَّا قُوَّةً، فَلَمَّا اخْتَلَطَ النَّاسُ، وَاقْتَحَمَ رَسُولُ

(١) شيبه بن عثمان بن أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي القرشي العبدي الحمصي المكي: يكنى أبا عثمان، وقيل: أبا صفية، وأبوه عثمان بن أبي طلحة قتلته علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم أحد كافرًا، أسلم شيبه يوم حنين، وكان ممن صبر معه يومئذ، وكان من خيار المسلمين، انظر: ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص ٣٦٢.

الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن بغلته. وانهمزم أصحابه جئته من يمينه فإذا العباس قائم عليه درع بيضاء فقلت: عمه لن يخذله، فجئته عن يساره، فإذا بأبي سفيان بن الحارث فقلت: ابن عمه لن يخذله، فجئته من خلفه، فلم يبق إلا أن أسورة بالسيف إذ رفع إليّ فيما بيني وبينه شواظ من نار كأنه برق، فخفت أن يتمحشني فوضعت يدي على بصري، خوفاً عليه، ومشيت القهقري، وعلمت أنه ممنوع فالتفت إليّ وقال: « يا شيب ادن مني » فدنوت منه، فوضع يده على صدري وقال: « اللهم اذهب عنه الشيطان ».

فرفعت إليه رأسي وهو أحبّ إليّ من سمعي وبصري وقلبي، ثم قال: « يا شيبة قاتل الكفار » قال: فتقدمت بين يديه أحب - والله - أن أقيه بنفسه كل شيء فلما انهزمت هوازن رجع إلى منزله ودخلت عليه فقال: « الحمد لله الذي أراد بك خيراً مما أردت » ثم حدثني بما هممت به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١).

لقد كان لصبره وصفحه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن هذا الذي أراد قتله أعظم الآثار في نجاح الدعوة، فقد رقق قلبه للإسلام، ورغبه فيه، بالدعاء له والعفو والتجاوز عنه، ولو كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شديداً زاجراً

(١) الواقدي: المغازي، ص ٦٠٧؛ الصالحى: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ج ٥، ص ٤٧٣؛ ابن سيد الناس: عيون الأثر في المغازي والسير، ص ٣٧٠؛ المقرئ: أمتاع الأسماع، ج ٢، ص ١٧.

ومعاقباً له، لأعرض عن الإسلام، ولما استجاب، بتلك السهولة، ولم يكن للدعوة هذا الانتشار وهذا النجاح، قال تعالى: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَئِنْ لَّمْ يَلْمِزْهُمْ وَتَوَكَّلْ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَنُفَضِّلَنَّ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (١).



(١) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

المبحث الثاني

العفو والمن على الأسارى

وفيه:

التمهيد.

- (١) إسلام الحكم بن كيسان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد العفو عنه.
- (٢) المن على بعض أسارى بدر.
- (٣) إسلام بني المصطلق لما أطلق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسراهم.
- (٤) العفو عن أسرى الحديبية.
- (٥) إسلام هوازن لما مَنَّ على أسراهم.
- (٦) عفو النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ثمامة بن أثال الحنفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وإسلامه.
- (٧) إسلام سَفَّانة بنت حاتم الطائي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

* * * * *

تهديد

لم يخرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن طبيعته الأخلاقية أبداً في أي أمر من أمور حياته، لذا لم يكن مستغرباً أن يتعامل مع أسرى الحرب بنفس الأخلاق النبيلة، والآداب الرفيعة، وما أكثر النصائح التي وجهها إلى أمته يدعوها ليس فقط إلى عتق الأسرى بل إلى بذل الجهد في ذلك، حتى أصبح هذا العتق قربة إلى الله ﷻ يفعلها المسلم لينال به رضاه سبحانه.

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فكوا العاني»^(١) وأطعموا الجائع، وعودوا المريض»^(٢).

وهناك الكثير من الأمثلة والوقائع التاريخية التي تظهر رحمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالأسرى ومنه عليهم.

وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمر أصحابه يوم بدر أن يكرموا الأسارى فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغداء، بل لم يقتصر

(١) فكوا العاني: هو الأسير واصله الخضوع ومنه قوله تعالى: (وعنت الوجوه للحي القيوم)، يقال منه عناً يعنوا وعنى يعنا ومنه اشتقاق العنوه. أبو الفضل اليحصبي السبتي: عياض بن موسى بن عياض بن عمرو، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، (المكتبة العتيقة ودار التراث، دط، دت)، باب (ع ن ي)، ج ٢، ص ٩٣.

(٢) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب فكك الأسير، ج ٢، ص ٦١٩ ح (٣٠٤٦).

الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على إطعام الأسرى من المشركين، بل إنه كان يقدم لهم الملابس وهذا ثابت في الصحيح، فقد جعل البخاري باباً في الصحيح سماه باب الكسوة للأسارى، وذكر فيه أن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: « لما كان يوم بدر أتى بأسارى وأتى بالعباس ولم يكن عليه ثوب فنظر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له قميصاً فوجدوا قميص عبد الله بن أبي يقدر عليه فكساه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إياه »^(١).

وكان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يوفر المأوى المناسب لهم فيجعلهم في أحد مكانين إما المسجد وهو أشرف مكان عند المسلمين، وإما بيوت الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ولم يكن اهتمام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالأسرى عن طريق راحتهم البدنية فقط، وإنما كان يحرص تمام الحرص على راحتهم النفسية كذلك، فيتعامل معهم بالرفق واللين، ويرد على استفساراتهم، ولا يسأم من أسئلتهم مما يوحي بسعة صدره، وعمق رحمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فكانت نتيجة تلك المعاملة الحسنة والرحمة بالأسرى إعلان إسلامهم في كثير من الوقائع التاريخية في السيرة النبوية كما سنوضحها في هذا المبحث.

(١) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب كسوة الأسرى، ج ٢، ص ٦٠٢، ح (٣٠٠٨).

١ - إسلام الحكم بن كيسان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١) بعد العفو عنه

أسر المسلمون في سرية عبدالله بن جحش وكانت في رجب من السنة الثانية للهجرة اثنين من المشركين هما:

الحكم بن كيسان، وعُثمان بن عبدالله، فأما -الحكم- فنظراً لما وجده من المعاملة الكريمة فإنه أسلم وحسن إسلامه، وأما عثمان بن عبدالله فلحق بمكة فمات بها كافراً^(١).

فعن المقداد بن عمرو قال: أنا أسرتُ الحكم بن كيسان فأراد أميرنا ضرب عنقه فقلت: دَعُهُ! نقدم به على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقدمنا فجعل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعوه إلى الإسلام فأطال أول الأمر حتى قال بعض الصحابة دعنا نضرب عنقه.

وقال الحكم: وما الإسلام؟ قال: تعبد الله وحده لا شريك له وتشهد أن محمداً عبده ورسوله، فقال: قد أسلمت، فالتفت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أصحابه فقال: «لو أطعتم فيه آناً فقتلته دخل النار». النار.

(١) للاستزادة عن سرية عبدالله بن جحش، انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٥٣٣.

وقال عمر: فأسلم والله فحسن إسلامه، وجاهد في الله حتى
قُتل شهيداً ببئر معونة^(١).

لقد تميزت سرية عبدالله بن جحش بمعاملة متميزة للأسيرين
من قبل رسول الله ﷺ مع أنهما أول أسيرين يظفر المسلمون
بهما بعد العناء والتعذيب من مشركي مكة الذين ينتسب لهما هذان
الأسيران، إلا أن ذلك لم يكن دافعاً لرسول الله ﷺ أن
يمسّهما بأذى، بل اتسمت معاملته بالرحمة والإكرام والصفح عنهما
على الرغم من اختلاف المعتقد، فلا تعذيب أو تخويف أو غيرهما من
وسائل القهر النفسي وإنما اعتمد الحوار الهادئ البناء والرحمة في أجلّ
صورها التي تمثلت في رفضه الطلب بقتل الحكم بن كيسان بل ما زال
يعرض عليه الإسلام حتى لامس في شخصية النبي ﷺ
الرحمة والتعامل الحسن ومن ثم أعلن إسلامه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهذا ما كان
يرجوه نبي الرحمة لإنقاذه من النار.



(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٤، ص ١٠٢.

٢- المن على بعض أسارى بدر

كانت غزوة بدر هي المعركة الأولى بين المسلمين والمشركين، وقد تم النصر فيها للمسلمين مع قلة عددهم وعدّتهم، وأسروا من المشركين سبعين، كما في رواية الإمام مسلم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين^(١).

ولما بلغ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصفراء^(٢) في طريق عودته إلى

(١) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الأمر بالملائكة، ج ٣، ص ١٣٨٤، ح (١٧٦٣)؛ البخاري: الجامع الصحيح، كتاب المغازي، ج ٤، ص ١٤٦٤، ح (٣٩٨٦) من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) الصفراء: من اللون الأصفر، جاءت في قول هند بنت أثاثة ترثي عبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب:

لقد ضُمن الصفراء مجدداً وسُودداً وحلماً أصيلاً وافر اللبّ والعقل
عبيدة فابكيه لأضيافه غربة وأرملة تهوي لأشعث كالجلد

والصفراء قرية، تعرف اليوم باسم الواسطة، ثم أعطت اسمها لوادي ليل، وهذا العطاء قديم جداً حيث نجد مضيق الصفراء وغيرها، وكأن الاسم أصيل للوادي وأن القرية كانت قرية الصفراء، غير أن الخبر الوارد في غزاة بدر سمى القرية الصفراء، وهو أول خبر عنها وعن الوادي، ووادي الصفراء من أودية الحجاز الفحول، كثير القرى، كثير الخيوف، وإن كان أكثرها اندثر اليوم، إذا خرجت من المدينة فتجاوزت الفريش فانت في أول نواشغ وادي الصفراء، ثم تسير فيه ماراً بالمسيجد والخيف والواسطة حتى تتجاوز بدرأ، أي إنه يلقاك على (٥١) كيلاً من

=

المدينة أمر علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقتل النضر بن الحارث^(١)، وفي منطقة عرق الظبية^(٢) أمر بقتل عقبة بن أبي معيط^(٣)، وذلك لعداوتها الشديدة للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يقتل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أسرى بدر غيرهما، وكان هذان الرجلان من أشد عباد الله كفراً وعناداً، وبغياً وحسداً وكانا من أكبر دعاة الحرب ومثيريها ضد الإسلام، وبلغ

= المدينة، ثم يفارقه على (١٦٣) كيلاً منها، ثم يدفع في البحر على آثار مدينة الجار التاريخية، ومن كان هذا الوادي اليوم بنو سالم من حرب، لا يخالطهم فيه إلا نزيل، وكان قديماً لغفار من كنانة، ويبدو أن بني غفار انصهرت في حرب، وكثير من القبائل تفعل ذلك حفاظاً على أوطانها وأملأذكها. البلادي: عاتق غيث، ص ١٧٦.

(١) هو النضر بن الحارث بن علقمة من بني عبد الدار، كان من شجعان قريش ووجوها ومن شياطينها، وهو ابن خالة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولما ظهر الإسلام استمر على الجاهلية، وأذى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، صاحب لواء المشركين يوم بدر، أسره المسلمون وقتله علي بن أبي طالب صبراً. ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٣، ص ٦٢٤؛ الزركلي: الأعلام، ج ٨، ص ٣٣.

(٢) عرق الظبية: موضع بالصفراء، ويعرف اليوم بالظبية، وهو قبل الروحاء بـ (٣٠) كم، وعمر الطريق إلى المدينة بقربه تراه من الروحاء شمالاً لا شرقياً، انظر: محمد بن محمد حسن شراب: المعالم الأثرية في السنة والسيرة، (ط ١)، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ١٤١١ هـ، ص ١٨٣.

(٣) هو عقبة بن أبان بن زكوان بن أمية بن عبد شمس، كنيته أبو اليد، والده أبو معيط، من مقدمي قريش في الجاهلية، كان شديد الأذى للمسلمين عند ظهور الإسلام، أسر يوم بد وقتلوه ثم صلبوه، قتله عاصم بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقيل: علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فكان أول مصلوب في الإسلام. ابن هشام: السيرة النبوية ج ٣، ص ٣٦٤.

أذاهما شخص رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو في مكة^(١).

أما بقية الأسرى فاستوصى بهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خيراً، قال أبو عزيز^(٢) أخو مصعب بن عمير كنت في الأسارى يوم بدر فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: استوصوا بالأسرى خيراً^(٣).

وقد استشار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وزيراه أبي بكر وعمر في شأنهم، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: فلما أسروا الأسارى قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي بكر وعمر ما ترون في هؤلاء الأسارى؟ فقال أبو بكر: يا نبي الله هم بنوا العم والعشيرة، أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله أن يهديهم للإسلام. فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما ترى يا ابن الخطاب، قلت: لا والله يا رسول الله ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم، فتمكن علينا من عقيل^(٤) فيضرب عنقه، وتمكني من فلان نسيباً لعمر

(١) انظر: باشميل، موسوعة الغزوات الكبرى، ج ١، ص ١٣٩.

(٢) اسمه: زرارة بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار العبدي، يكنى بأبي عزيز، وهو بكنيته أشهر، أمه أم خناس بنت مالك من بني لؤي، أسر يوم بدر مع من أسر من المشركين وقد أسلم. ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٧، ص ٢٧٤.

(٣) الطبراني: المعجم الكبير، ج ٢٢، ص ٣٩٣ ح (٩٧٧).

(٤) هو: عقيل بن أبي طالب بن عبد مناف القرشي الهاشمي، يكنى أبا يزيد، تأخر إسلامه إلى عام الفتح، وقيل: أسلم بعد الحديبية، وهاجر في أول سنة ثمان، وكان

فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها. فهو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما قال أبو بكر ولم يهو ما قال عمر^(١).

وقد نزل القرآن الكريم بعد هذا يعاتب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه أخذ الفداء^(٢) من الأسرى، قال تعالى: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٣)، لكنه أجاز تصرف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

= أسره يوم بدر ففداه عمه العباس، وشهد غزوة مؤتة، وكان عالماً بأنساب قريش ومآثرها ومثالبها، توفي في خلافة معاوية، وقيل: في أول خلافة يزيد قبل الحرة. ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ص ١٠٧٨؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٤، ص ٥٣١.

(١) النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، كتاب الجهاد والسير، باب الإعداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم، ج ١٢، ص ٣٠٧، ح (٤٥٦٣-٥٨).

(٢) الفداء بالكسر والمد، والفتح مع القصر: فكك الأسير، يقال: فداه يفديه فِدَاءً وفدى، وفداه يفاديه مُفَادَةً إذا أعطى فداهه وأنقذه، وفداه بنفسه وفداه إذا قال له: جُعِلَ فداك، والفدية: الفداء.

وقيل: المفاداة: أن تفتك الأسير بأسير مثله، وفيه: فاغفر فداءً لك ما افتنينا إطلاق هذا اللفظ مع الله تعالى محمول على المجاز والإستعارة؛ لأنه إنما يفدى من المكاره من تلحقه، فيكون المراد بالفداء التعظيم والإكبار، لأن الإنسان لا يفدى إلا من يعظمه، فيبذل نفسه له، ويروى "فداء" بالرفع على الابتداء، والنصب على المصدر. ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، باب الفاء مع الدال، ج ٣، ص ٤١٩.

(٣) سورة الأنفال، الآيات: ٦٧، ٦٨.

واجتهاده، وقد استمر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في إعفائهم من القتل، وقبول الفدية ممن يستطيع منهم، وقد تفاوت مقدار هذه الفدية ونوعها بحسب حالة كل أسير.

* من كان ذا مال: فكان فداؤه أربعة آلاف درهم، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: فادى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسارى بدر، وكان فداء كل رجل منهم أربعة آلاف^(١) ومن أخذ منه أربعة آلاف درهم أبو وداعة^(٢)، أما فداء العباس فمئة أوقية^(٣)، وقيل ثمانين أوقية، وآخرون أخذ منهم أربعين أوقية^(٤).

(١) أبي داود: سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في قتل الأسير صبراً، ج ٣، ص ٦٠، ح (٢٦٨٦).

(٢) هو: الحارث بن سعيد بن سعد بن سهم القرشي السهمي، أبو وداعة، أسر يوم بدر وهو أول أسير فدي من بدر، أسلم يوم فتح مكة. ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٧، ص ٤٥٨.

(٣) أوقية: فيه لا صدقة في أقل من خمس أواق، الأوقي جمع أوقية، بضم الهمزة وتشديد الياء، والجمع يشدد ويخفف، مثل أثقية وأثافي وأثاف، وربما يجيء في الحديث وقية، وليست بالعالية، وهمزتها زائدة، وكانت الأوقية قديماً عبارة عن أربعين درهماً، وهي في غير الحديث نصف سدس الرطل، وهو جزء من اثني عشر جزءاً وتختلف باختلاف اصطلاح البلاد. ابن الأثير: النهاية في غري الحديث والأثر، باب الهمزة مع الواو، ج ١، ص ٨٠.

(٤) ابن حجر: فتح الباري، شرح صحيح البخاري، ج ٧، ص ٣٢٢.

* ومنهم من أطلق سراحه مقابل إطلاق سراح أحد المسلمين، فأطلق سراح عمرو بن أبي سفيان مقابل إطلاق سراح سعد بن النعمان^(١)، الذي أسره أبو سفيان وهو يعتصر^(٢).

* ومن لم يكن لديهم مقدرة على الفداء وكانوا يعرفون الكتابة، كان فداؤهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: (كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء، فجعل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة)^(٣).

* ومنهم من قبل ما عنده عند تعذر المطلوب، فقد أرسلت زينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قلادة لها لتفدي بها زوجها أبو العاص بن الربيع^(٤) فردوها لها، وأطلقوا أسيرها من غير فداء.

(١) الصحابي الجليل: سعد بن النعمان بن زيد بن أكال الأنصاري، الأوسي، أخذه أبو سفيان بن حرب أسيراً، ففدى به ابنه عمرو بن أبي سفيان. انظر ترجمته في: ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص ٣١٧؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٣، ص ٨٧.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٣، ص ٢٠١؛ مهدي رزق الله: السيرة النبوية، ص ٣٥٩.

(٣) الإمام أحمد بن حنبل: المسند، ج ٤، ص ٤٧ ح (٢٢١٦).

(٤) أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي، وأمه هالة بنت خويلد أخت خديجة صهر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زوج ابنته زينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وكان ممن شهد بدرًا مع كفار قريش واسر، وأسلم في السنة السابعة للهجرة، توفي في خلافة أبي بكر سنة اثنتي عشرة من الهجرة. انظر ترجمته في: ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص ٨١٩.

* ومن لم يقدر على الفداء مَنْ عليهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بدون فداء، منهم المطلب بن حنطب^(١)، وصيفي بن رفاعة، وأبو عزة الشاعر^(٢)^(٣).

وأسلم أغلب هؤلاء الأسارى على فترات مختلفة قبل فتح مكة وبعدها، وكان للمعاملة الحسنة والمن عليهم من القتل وأخذ الفداء أثر في قلوبهم مما دفعهم للإسلام^(٤).

لقد كانت القاعدة العامة التي قررها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أول غزوة أخذ فيها المسلمون أسرى هي: استوصوا بالأسرى خيراً^(٥) وهذه القاعدة التي أمر بها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم تكن مجرد قانون

(١) المطلب بن حنطب الحارث بن عبيد بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي، أسر يوم بدر ثم أسلم . انظر ترجمته في: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٣، ص ١٣٢ .
(٢) أبو عزة الشاعر: هو عمرو بن عبدالله، كان يحضُّض على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأسر يوم بدر، فقال: يا محمد: إني رجل مُعِيل، ولي بنات فامنن عليّ، فمنّ عليه، فقال: لا أقاتل محمداً أبداً!.

الأزدي: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، الإشتقاق، (تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الجليل، لبنان، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م)، ص ١٣١.

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٣، ص ٢١١؛ مهدي بن رزق الله، السيرة النبوية، ص ٣٦٠.

(٤) للاستزادة في معرفة أسمائهم يراجع السهيلي، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام.

(٥) الطبراني: المعجم الكبير، ج ٢٢، ص ٣٩٣.

نظري ليس له تطبيق في واقع الحياة، وإنما تمثلت في مظاهر كثيرة تنبئ عن قلوب ملأتها الرحمة.

وقد تجلّى حرص رسول الله ﷺ في تعاملاته مع الأسرى في الاهتمام بمأكلهم وكسوتهم، فقد قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أمر رسول الله ﷺ أصحابه يوم بدر أن يكرموا الأسارى، وكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغداء»^(١).

بل كانوا ينتقون لهم أجود ما لديهم من طعام، ويقدمونه لهم عملاً بوصية رسول الله ﷺ لها هو أحد الأسرى أبو عزيز شقيق مصعب بن عمير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يروي ما حدث له بقوله: كنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر، فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصوني بالخبز، وأكلوا التمر لوصية رسول الله ﷺ إياهم بنا، ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحني بها، فأستحي فأردها فيردّها علي ما يمسّها قال ابن هشام: وكان أبو عزيز هذا صاحب لواء المشركين ببدر بعد النضر بن الحارث^(٢).

فالرجل لم يكن شخصية عادية، بل كان من أشد المشركين على المسلمين، فلا يحمل اللواء إلا شجعان القوم وسادتهم! ولكن هذا لم يغير من الأمر شيئاً، لأن الرحمة بالأسير أصل من أصول التعامل لا

(١) انظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج ٤، ص ٥٨٤.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ١٥؛ ابن كثير: السيرة النبوية، ج ٢، ص ٤٧٥.

يجوز التخلي عنه تحت أي ظرف من الظروف.

ولم يقتصر المسلمون على إطعام أسراهم من المشركين، بل كانوا يقدمون لهم الملابس أيضاً، وهذا ثابت في الصحيح، فقد جعل البخاري رحمته الله باباً في الصحيح سماه: باب الكسوة للأسارى ذكر فيه أن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر أتى بأسارى، وأتى بالعباس، ولم يكن عليه ثوب فنظر النبي صلى الله عليه وسلم له قميصاً فوجدوا قميص عبد الله بن أبي يقدر^(١) عليه فكساه النبي صلى الله عليه وسلم إياه^(٢).

وهذا أبوا لعاص بن الربيع يحدثنا قال: كنت في رهط من الأنصار جزاهم الله خيراً كنا إذا تعشنا أو تغدينا آثروني بالخبز، وأكلو التمر، والخبز معهم قليل، والتمر زادهم، حتى إن الرجل لتقع في يده كسرة فيدفعها إليّ. وكان الوليد بن المغيرة يقول مثل ذلك ويزيد، وكانوا يحملوننا ويمشون^(٣).

(١) يقدر عليه: -بضم الدال-، وإنما كان ذلك لأن العباس كان بين الطول، وكذلك كان عبد الله بن أبي. انظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ٦، ص ١٤٢.

(٢) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب كسوة الأسرى، ج ٢، ص ٦٠٢ ح (٣٠٠٨).

(٣) انظر: المغازي، الواقدي ص ١١٩.

ولا يمكن أن نستقصي جميع تعاملات رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي تظهر حقيقة سيرته، وحسن خلقه في سلمه وحربه وتعاملاته كلها، ولكننا اكتفينا ببعض هذه المواقف، والتي تدل دلالة واضحة على كمال أخلاقه، مما كان لها الأثر في إسلام أكثر أسرى بدر، وقد ذكر المؤرخون أسماء عشرين رجلاً ممن أسلم من الأسارى وهذا ليس على سبيل الحصر^(١).

لقد سرت دعوة الإسلام إلى قلوبهم وطهرت بحسن المعاملة نفوسهم، وعاد الأسرى إلى بلادهم وأهليهم، يتحدثون عن محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومكارم أخلاقه، وعن محبته وسماحته وعن دعوته وما فيها من البر والتقوى، والإصلاح والخير، إن هذه المعاملة الكريمة للأسرى شاهد على سمو الإسلام في المجال الأخلاقي، حيث نال أعداء الإسلام من معاملة الصحابة أعلى درجات مكارم الأخلاق التي تتمثل في خلق الإيثار والرحمة والعفو، مما كان له الأثر في قبول الكثيرين للإسلام.



(١) انظر: السهيلي: الروض الآنف، ج ٣، ص ١٨٠؛ ابن سيد الناس: عيون الأثر في المغازي والسير ص ١٩٤.

٣- إسلام بني المصطلق^(١)

لَمَّا أَطْلَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْرَاهُمْ

بلغ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن بني المصطلق يجمعون له، وقائدهم الحارث بن أبي ضرار^(٢) فلما سمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهم خرج إليهم، حتى لقيهم على ماء يقال له: المريسيع^(٣) من ناحية قديد إلى الساحل، فتزاحف الناس واقتتلوا، فهزم الله بني المصطلق،

(١) قال الواقدي: كانوا ينزلون ناحية الفرع، وهم حلفاء بني مدلج، وكان رأسهم وسيدهم الحارث بن أبي ضرار، وقال أبو عبيد عن هشام بن محمد السائب الكلبي: إنما سموا خزاعة، لأن بني مازن بن الأزد لما تفرقت الأزد من اليمن في البلاد، وأقبل بنو عمرو بن لحي، فانخزعوا من قومهم فنزلوا مكة. انظر: الواقدي، المغازي، ص ٣٠٣.

(٢) هو الحارث بن أبي ضرار المصطلق - الخزاعي - وهو والد جويرية بنت الحارث زوجة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكانت من ضمن سبايا بني المصطلق، حيث وقعت في السهم لثابت بن قيس بن شماس وأقبل أبوها الحارث بن أبي ضرار لفداء ابنته، وأسلم الحارث، وأسلم معه ابنه وناس من قومه. انظر: ابن عبد البر، الإستيعاب في معرفة الأصحاب، ص ١٦٥.

(٣) المريسيع: جزء من وادي "حورة" أحد روافد ستارة، فيه آبار زراعية، ونزل من بني سليم، وماؤه غيل يسيح على وجه الأرض، وأهله يقولون:

"المريسيع" وهي عادة البادية في قلب أمثاله لتقارب مخارج الحروف، وستارة وقديد وادٍ واحد، إنما الذي أُوهم في تحديده حتى ظنه كثير من الباحثين من الساحل، هو قول ابن إسحاق "إلى الساحل" والواقع أنه داخل عن الساحل، فبينه وبين سيف البحر قرابة (٨٠) كيلاً، بين جبال تهامة، وأهله اليوم سليم، ولا ذكر لخزاعة في هذه النواحي في يومنا هذا. البلادي: عاتق غيث، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص ٢٩٠.

وقتل من قتل منهم.

وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أصاب منهم سبياً كثيراً، فقسمه في المسلمين، وكان فيمن أصيب يومئذ من السبايا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار^(١).

قال ابن إسحاق: حدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: لما قسم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سبايا بني المصطلق وقعت جويرية بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس بن الشماس^(٢)، أو لابن عم له، فكاتبتة على نفسها، وكانت امرأة حلوة ملاحه، لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه فأتت رسول الله

(١) جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب بن عائذ بن مالك بن جذيمة، وجذيمة هو المصطلق من خزاعة زوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سبها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم المريسيع وهي غزوة بني المصطلق في سنة خمس من التاريخ، وقيل: في سنة ست، وكانت قبله تحت مسافع بن صفوان المصطلق، وكانت امرأة جميلة حففت جويرية عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وروت عنه، وتوفيت في ربيع الأول سنة ٥٦هـ. ابن عبد البر: الإستيعاب في معرفة الأصحاب، ص ٨٦٨.

(٢) ثابت بن قيس بن شماس بن ظهير ابن مالك بن امرئ القيس بن مالك بن الأغر ابن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج، وكان ثابت بن قيس خطيب الأنصار، ويقال له: خطيب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما يقال لحسان بن ثابت: شاعر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، شهد أحداً وما بعدها من المشاهد، وقتل يوم اليمامة شهيداً في خلافة أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ابن عبد البر: الإستيعاب في معرفة الأصحاب، ص ١٣٠.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تستعينه في كتابتها، قالت عائشة: فوالله ما هو إلا أن رأيته على باب حجرتي فكرهتها، وعرفت أنه سيرى منها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما رأيته فدخلت عليه، فقالت: يا رسول الله، أنا جويرة بنت الحارث بن أبي ضرار، سيد قومه، وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك، فوقعْتُ في السهم لثابت بن قيس بن الشماس، فكاتبته على نفسي، فجئتُك استعينك على كتابتي، قال: فهل لك في خير من ذلك؟ قالت: وما هو يا رسول الله؟ قال: أقضي عنك كتابتك وأتزوجك، قالت: نعم يا رسول الله، قال: قد فعلت.

قالت: وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد تزوج جويرة ابنة الحارث بن أبي ضرار، فقال الناس: أصهار رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأرسلوا ما بأيديهم، قالت: فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق، ٥٦ فما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها^(١).

وتعتبر غزوة بني المصطلق (المريسيع) من الغزوات الفريدة المباركة التي أسلمت عقبها قبيلة بأسرها وكان زواج

(١) الواقدي: المغازي، ص ٣٠٣-٣٠٤، وانظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٤، ص ٢٥٢-٢٥٣؛ البيهقي: دلائل النبوة، ج ٤، ص ٥٢؛ المقرئ: أمتع الأسماع، ج ١، ص ٢٠٥-٢٠٦؛ ابن سيد الناس: عيون الأثر في المغازي والسير، ص ٢٩٩؛ الصالح: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ج ٤، ص ٤٩٠؛ مهدي رزق الله: صفوة السيرة النبوية في سيرة خير البرية، ص ٣٠٢-٣٠٣.

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من جويرية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بنت زعيم القوم ذا مقصد عظيم مما أدى ثماره مباشرة، إذ استكثر الصحابة على أنفسهم، أن يكون أصهار رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تحت أيديهم أسرى، فأعتقوهم جميعاً فكان هذا دافعاً لإسلامهم، وهذه صورة من صور الحب والأدب من الصحابة مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أدت إلى إسلام القبيلة كلها..

وإن مرد هذا الحدث التاريخي هو حسن خلق رسول الله وحب الصحابة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتكريمهم إياه، وإكبارهم شخصه العظيم، وتأسيسهم بأخلاق قائدهم في معاملة الأسرى التي عهدوها منه.

فهذا الموقف العظيم يبين لنا مدى رحمة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالأسرى ويكشف الستار عن شخصية بلغت من السمو والرفعة مبلغاً بعيداً، شخصية تُحرك الأفئدة نحوها بفيض عارم من الرحمة والعفو والسماحة.



٤- العفو عن أسرى الحديبية

قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ (٢٤) ﴿١﴾.

قال القرطبي عند تفسير هذه الآية، روى يزيد بن هارون قال: أخبرنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن ثمانين رجلاً من أهل مكة هبطوا على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من جبل التنعيم^(٢) متسلحين يريدون غرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، فأخذناهم سِلماً فاستحياهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾^(٣) وقال عبدالله بن مغفل المزني^(٤): كنا مع النبي

(١) سورة الفتح، آية: ٢٤.

(٢) التنعيم: جاء ذكره في مواضع من السيرة، وقد يقال وادي التنعيم، وهو وادٍ خارج الحرم من الشمال، ينحدر من الثنية البيضاء، فيتجه شمالاً محاذياً الطريق العام المتجه إلى المدينة فيصب في وادي يأجج الذي يذهب سيله إلى مَرَّ الظهران شمال غربي مكة على قرابة (٢٠) كيلاً. البلادي: عاتق غيث، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص ٦٥.

(٣) القرطبي: أبي عبدالله محمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن (ط ١)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٧-٢٠٠٦م، ج ١٦، ص ٢٥٦.

(٤) هو عبدالله بن مغفل بن عبد غنم، ويقال: ابن عبد نهم بن عفيف بن سحيم بن ربيعة بن عدي بن ثعلبة بن رويد بن سعد بن عداء بن عثمان بن عمرو المزني، كان من أصحاب الشجرة، سكن المدينة، ثم تحوّل عنها إلى البصرة، وابتنى بها داراً قرب المسجد الجامع، وهو أحد البكائين في غزوة تبوك، وشهد بيعة الشجرة، وهو أحد العشرة

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالحديبية في أصل الشجرة التي قال الله في القرآن، فيينا نحن كذلك إذ خرج علينا ثلاثون شاباً عليهم السلاح فثاروا في وجوهنا فدعا عليهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخذ الله بأبصارهم إليهم فأخذناهم، فقال لهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هل جئتم في عهد أحد أو هل جعل لكم أحد أماناً قالوا: اللهم لا، فخلى سبيلهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾^(١).

فهذا عفو في موقف عجيب، فالمسلمون ممنوعون من دخول مكة، وقريش قد أعدت العدة لحربهم، ومع ذلك لا يأخذ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هؤلاء الأسرى رهينة بل يمن عليهم بغير فداء، ولا يجعلهم ورقة ضغط على المشركين حتى في هذا الموقف الصعب.

إنها الرحمة في أرقى صورها.

= الذين بعثهم عمر ليفقهوا الناس بالبصرة، وتوفي بالبصرة سنة ٦٠هـ. انظر: ابن عبد البر: الإستيعاب في معرفة الأصحاب، ص ٤٧٨؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٤، ص ١٩٦.

(١) النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، كتاب الجهاد والسير، باب قول الله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾، ج ١٢، ص ٣٩٢، ح (١٣٣/٤٦٥٦). الإمام أحمد بن حنبل: المسند، ج ٤، ص ٨٦، النسائي: سنن النسائي، كتاب التفسير، ح (٥٣١)؛ ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ٥، ص ٣١٥، أخرجه أحمد والنسائي من حديث عبدالله بن مغفل بسند صحيح، وأصله في صحيح مسلم ح (١٧٨٤) بنحوه مختصراً.

وبالفعل كان من نتائج هذا العفو توقيع صلح الحديبية، هذا الصلح الذي كان نقطة تحول للمسلمين، فقد كفى الله المسلمين شر قريش، وبذلك كانت الفرصة متاحة لدعوة القبائل الأخرى، وبالفعل زاد عدد المسلمين أضعافاً، فبينما كان عددهم في عمرة الحديبية لا يتجاوز الألف وأربعمائة، وأصبح عددهم -بعد سنتين- في فتح مكة عشرة آلاف، وهذا العفو منه يدل على بعد نظره وكمال خلقه وكانت المحصلة النهائية دخول الآلاف في الإسلام.

يقول الإمام ابن شهاب الزهري رحمته الله^(١) في ذلك: فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه، إنما كان القتال حيث التقى الناس، فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب أوزارها، وأمن الناس وكلم الناس بعضهم بعضاً والتقوا فتفاوضوا في الحديث، فلم يُكَلِّمْ أحداً بالإسلام

(١) هو: محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، الإمام، العلم، حافظ زمانه، أبو بكر القرشي، الزهري، المدني، نزيل الشام. قال المديني: له نحو من ألفي حديث. وقال أبو داود: حديثه ألفان ومائتا حديث، النصف منها مسند، وقال عنه الليث بن سعد: ما رأيت عالماً قط أجمع من ابن شهاب، يحدث في الترغيب فتقول: لا يحسن إلا هذا، وإن حدث عن العرب والأنساب، قلت: لا يحسن إلا هذا، وإن حدث عن القرآن والسنة، كان حديثه، وكان الزهري يوصف بالعبادة حتى أنه يُرى بين عينيه أثر السجود، ومن أقوال الزهري: لا يرضى الناس قول عالم لا يعمل، ولا عمل عامل لا يعلم. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٦، ص ٦٩.

يعقل شيئاً إلا دخل فيه، ولقد دخل في تينك الستين مثل من كان في
الإسلام قبل ذلك أو أكثر^(١).



(١) انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٤، ص ٢٧٤.

٥- إسلام هوازن لما من على أسراهم

لم تكن المعارك التي خاضها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمسلمون بهدف التشفي أو الانتقام من المشركين الذين مارسوا مع المسلمين شتى أنواع الأذى، وحاولوا إبادتهم في كثير من الأحيان، لكن المسلمين احتسبوا كل ذلك عند الله وَجَّكَ، ويؤكد هذا الأمر، أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كثير من المواقف كان يستطيع من دون شك أن يقتل من يريد من المشركين، ولكنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يتعامل بالحسنى والعفو والصفح، بل وينكر بقوة على من يخالف هذا الأمر.

ومعلوم أن قبيلة هوازن مع أولاد عموماتهم ثقيف قد قاموا بجمع أكبر عدد من المقاتلين بعد فتح مكة في حركة استباقية قبل أن يأتيهم المسلمون في دارهم فتقدموا نحو مكة حيث كانت موقعة حنين^(١) الخطيرة، ولكن الله وَجَّكَ شاء أن يكتب النصر للمسلمين بعد هزة سرعان ما تماسكوا بعدها، وبعد المعركة غنم المسلمون غنائم

(١) حنين: وادٍ من أودية مكة، يقع شرقها بقراة ثلاثين كيلاً، يسمى اليوم وادي الشرائع، وأعلى الصدر وصدر حنين - وماؤه يصب في المغمس فيذهب في سيل عرفة إذا كنت خارجاً من مكة إلى الطائف على طريق اليمانية، لقيت الشرائع على بعد (٢٨) كيلاً من المسجد الحرام، وهي عين وقرية نسب الوادي إليها كانت عينها تسمى المشاش، وقد أجزتها زبيدة إلى مكة، ثم انقطعت عن مكة. ولا يعرف اليوم اسم حنين إلا الخاصة من الناس، عاتق البلادي، معجم المعالم الجغرافية، ص ١٠٧.

كثيرة من الإبل والشياء، وأسروا عدداً كبيراً من أولاد المشركين ونسائهم بلغ في بعض الروايات ستة آلاف^(١)، وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عقب عودته من حصار الطائف انتظر حوالي شهراً في الجعرانة لم يقسم السبايا من هوازن على الجيش الإسلامي، بأمل أن يأتي وجوه هوازن وزعماءها ويطلبون تحرير نسائهم وأطفالهم، ولكن هوازن توانت في القدوم إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وألح عامة الجيش الإسلامي المنتصر على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طالبين منه تقسيم الغنائم بما في ذلك السبي، فقسم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الجند؛ لأن ذلك حق من حقوقهم كما تقضي بذلك قوانين الحرب في الإسلام^(٢).

وكما كان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتوقع، فقد بعثت هوازن بوفد من كبار زعمائها لمقابلة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإعلان إسلامهم ويقدم التماساً إليه يطلب فيه المنّ على السبي وتحريرهم.

وقد ورد خبر قدومهم في صحيح البخاري^(٣): أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين، فسأله أن يرد إليهم

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٤، ص ٤١٤.

(٢) انظر: باشميل: موسوعة الغزوات الكبرى، ج ٢، ص ١٦٨٤.

(٣) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب المغازي، باب قول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ

أَعْجَبَكُمْ كَثَرْتُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا﴾، ج ٣، ص ٣٩٤ ح (٤٣١٨/٤٣١٩).

أموالهم وسبيهم، فقال لهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَعِيَ مَنْ تَرَوْنَ، وَأَحَبُّ الْحَدِيثِ إِلَيَّ أَصْدَقُهُ، فَاخْتَارُوا إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ: إِمَّا السَّبْيَ، وَإِمَّا الْمَالَ، وَقَدْ كُنْتُ اسْتَأْنَيْتُ بِكُمْ، وَكَانَ أَنْظَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً حِينَ قَفَلَ مِنَ الطَّائِفِ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيْرُ رَادٍّ إِلَيْهِمْ إِلَّا إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ، قَالُوا: فَإِنَّا نَخْتَارُ سَبِينَا، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمُسْلِمِينَ فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ إِخْوَانَكُمْ قَدْ جَاؤُونَا تَائِبِينَ، وَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَنْ أُرَدَّ إِلَيْهِمْ سَبْيُهُمْ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيبَ ذَلِكَ فَلْيَفْعَلْ وَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ عَلَى حَظِّهِ حَتَّى نُعْطِيَهُ إِيَّاهُ مِنْ أَوَّلِ مَا يُفِيءُ اللَّهُ عَلَيْنَا، فَلْيَفْعَلْ، فَقَالَ النَّاسُ: قَدْ طُبِّبْنَا ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّا لَا نَدْرِي مَنْ أَذِنَ مِنْكُمْ فِي ذَلِكَ مِمَّنْ لَمْ يَأْذَنْ، فَارْجِعُوا حَتَّى يَرْفَعَ إِلَيْنَا عُرفَاؤُكُمْ أَمْرُكُمْ فَارْجِعَ النَّاسُ، فَكَلَّمَهُمْ عُرفَاؤُهُمْ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُمْ قَدْ طُيِّبُوا وَأَذِنُوا^(١).

وعند الواقدي تفصيل أكثر قال: قدم وفد هوازن، وكان في الوفد عمّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الرضاعة، قال يومئذ: يا رسول الله، إنما في هذه الحظائر من كان يكفلُك من عمّاتك وخالاتك وحواضنك وقد حصّناك في حُجُورنا، وأرضعناك بثدينا، ولقد رأيتك مرضعاً فما

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٤، ص ٤١٤-٤١٥.

رأيت مرضعاً خيراً منك ورأيتك فطيماً فما رأيت فطيماً خيراً منك، ثم رأيتك شاباً فما رأيت شاباً خيراً منك، وقد تكاملت فيك خلال الخير ونحن مع ذلك أهل وعشيرة، فامنن علينا مَن الله عليك، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قد استأنيت بكم حتى ظننت أنكم لا تقدمون وقد قسم السبي وجرت فيهم السهمان»^(١).

ويؤكد الواقدي إسلام الوفد وإسلام من خلفهم من هوازن وأنهم جاؤوا بإسلام الجميع فيقول: وقدم عليه أربعة عشر رجلاً من هوازن مسلمين، وجاءوا بإسلام من وراءهم من قومهم، فكان رأس القوم والمتكلم أبو صرد زهير بن صرد ثم أنشد أمام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قصيدة ذكرها الواقدي في المغازي.

ثم قام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الناس خطيباً، فقال: «إِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ جَاءُوا مُسْلِمِينَ، وَقَدْ كُنْتُ اسْتَأْنَيْتُ بِهِمْ فَخَيْرْتَهُمْ بَيْنَ النِّسَاءِ وَالْأَبْنَاءِ وَالْأَمْوَالِ فَلَمْ يَعْذِلُوا بِالنِّسَاءِ وَالْأَبْنَاءِ فَمَنْ كَانَ عَنْده مِنْهُنَّ شَيْءٌ فَطَابَتْ نَفْسُهُ أَنْ يَرِدَهُ فَلْيُرْسِلْ وَمَنْ أَبَى مِنْكُمْ وَتَمَسَّكَ بِحَقِّهِ فَلْيُرِدْ عَلَيْهِمْ، وَلِيَكُنْ فَرَضاً عَلَيْنَا سِتْ فَرَاثُصٍ مِنْ أَوَّلِ مَا يَفِيءُ اللَّهُ بِهِ عَلَيْنَا قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ رَضِينَا وَسَلَمْنَا، قَالَ: فَمَرُّوا عَرَفَاءَكُمْ أَنْ يَرْفَعُوا ذَلِكَ إِلَيْنَا حَتَّى نَعْلَمَ»^(٢).

(١) انظر: الواقدي: المغازي، ص ٦٣١.

(٢) انظر: المصدر نفسه، ص ٦٣١.

وهكذا حرر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من كان في السبي من هوازن في حنين فأعتقهم جميعاً ومنع أن يجري عليهم الرق^(١).

وبهذا وصل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع هوازن إلى هذا الحل، بإعادة نسائهم وأبنائهم، مع إشعارهم أنه معهم قلباً وقالباً، واقنع المسلمين في ذات الوقت بترك الأسرى والسبي ابتغاء مرضاة الله ﷻ، أو يعرضهم مما يفيء الله عليه في المستقبل وترك لهم الغنائم.

وما فعله الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو منتهى الحكمة، وبه انتهت مشكلة هوازن، ودخلت في الإسلام بنفس راضية، وقد تيقنت أنها تتعامل مع رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وليس مجرد زعيم أو قائد، وما اعتقد أن في تاريخ الأمم مثل هذا الرقي في التعامل مع العدو بعد النصر ولم يكن هذا ليحدث لولا أن إسلام القوم كان أحب إلى قلب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أموالهم وغنائمهم، ولولا أن القتال كان خالصاً لله ﷻ، فما أعظم عفوك يا رسول الله^(٢)!



(١) انظر: باشميل، موسوعة الغزوات الكبرى، ج ٢، ص ١٦٨٨.

(٢) انظر: راغب السرجاني، أخلاق الحروب في السنة النبوية، ص ١٧٢، (ط ١)، مؤسسة
اقرأ، القاهرة، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م)، ص ١٧٢.

٦ - عفو النبي ﷺ عن ثمامة بن أثال

الحنفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١) وإسلامه

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (بعث النبي ﷺ خيلاً قبل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له: ثمامة بن أثال، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي ﷺ فقال: « ما عندك يا ثمامة؟ فقال: عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ، إِنْ تَقْتُلْنِي تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمَ تُنْعِمَ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَتَرَكَهُ حَتَّى كَانَ الْغَدُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَّامَةُ؟ قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ. إِنْ تُنْعِمَ تُنْعِمَ عَلَى شَاكِرٍ، فَتَرَكَهُ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَدِ، فَقَالَ: مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَّامَةُ؟ فَقَالَ: أَطْلِقُوا ثُمَّامَةَ فَانْطَلَقَ ثُمَّامَةُ إِلَى نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَاغْتَسَلَ ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا

(١) هو ثمامة بن أثال بن النعمان بن مسلمة بن عتبة بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدؤل بن حنيفة الحنفي، أبو أمانة اليمامي، أسلم وقدم مكة معتمراً فقال: "والذي نفسي بيده لا تأتكم حبة من اليمامة - وكانت ريف أهل مكة - حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ"، وقد ثبت على إسلامه لما ارتد أهل اليمامة، وارتحل هو ومن أطاعه من قومه، وذكر له مقاماً حسناً في الردة، والإذكار على بني حنيفة في أبيات وهي:

أهم يترك القول ثم يردني إلى القول إنعام النبي محمد

شكرت له فكي من الغل بعدما رأيت خيلاً من حُسام مهند

انظر: ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ١، ص ٣٦١-٣٦٢.

إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، يَا مُحَمَّدُ، وَاللَّهُ مَا كَانَ عَلَى
الْأَرْضِ وَجْهَ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهَكَ أَحَبَّ
الْوَجُوهِ إِلَيَّ، وَاللَّهُ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينَكَ
أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ، وَاللَّهُ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ
بَلَدَكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ إِلَيَّ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذْتَنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ، فَمَاذَا
تَرَى، فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ
قَالَ لَهُ قَائِلٌ: صَبَوْتَ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ حَبَّةٌ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١).

قال ابن حجر: وفي قصة ثمامة من الفوائد، ربط الكافر في
المسجد، والمنَّ على الأسير الكافر، وتعظيم أمر العفو عن المسيء؛ لأنَّ
ثُمَّامَةَ أقسم أن بغضه انقلب حباً في ساعة واحدة لما أسداه النبي
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليه من العفو والمن بغير مقابل.. وفيه الملائمة مع من
يرجى إسلامه من الأسارى إذا كان في ذلك مصلحة للإسلام،
ولاسيما من يتبعه على إسلامه العدد الكثير من قومه^(٢).

(١) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب المغازي، باب وفد حنيفة وحديث ثمامة بن أثال،

ج ٣، ص ٤١٨، ح (٤٣٧٢).

(٢) ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ٨، ص ٨٨.

فهذه المعاملة الكريمة من رسول الله ﷺ تركت في نفس ثامة أثراً طيباً حتى إنه أسلم الله رب العالمين من ساعته، دون ضغط أو إكراه، بل إن إسلامه ولد قوياً إلى الدرجة التي دفعته إلى مقاطعة قريش من أجل أنها تحارب رسول الله ﷺ مضحياً بذلك بثروة هائلة كانت تأتيه من تجارته معها، ومضحياً كذلك بعلاقات اجتماعية مهمة مع أشرف قريش.

لقد كان إسلام ثامة على قدر كبير من التشبع والقناعة، مع أن النبي ﷺ لم يدعه إلى الإسلام دعوة مباشرة، ولا جعل إسلامه ثمناً لفكاكه، ولكن قناعة ثامة بالإسلام تكونت من خلال مشاهدته للبرنامج اليومي للرسول ﷺ والمسلمين معه في أعظم مجمع لهم، وهو المسجد.. وسماعه لآيات القرآن تتلى في صلوات الرسول ﷺ، فكان فيما رآه وسمعه برهاناً عملياً بصحة الرسالة، وصدق الرسول ﷺ، فآمن هذا الإيمان القوي الواثق، حتى دفعه هذا الوثوق بأن صدع بإسلامه بين ظهرائي قريش^(١).



(١) انظر: الطبري: قصص نبوية، ص ١١٥.

٧- إسلام سفانة بنت حاتم الطائي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا^(١)

روى الإمام أحمد عن عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (جاءت خيل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخذوا عمتي وناساً وفي رواية أختي سفانة، فلما أتوا بهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فصفوا له، قالت: يا رسول الله تأني الوافد، وانقطع الوالد، وأنا عجوز كبيرة ما بي من خدمة، فمَنْ عليّ مَنْ الله عليك قال: من وافدك، قالت: عدي بن حاتم، قال: الذي فر من الله ورسوله، قالت: فمَنْ عليّ، قالت: فلما رجع ورجل إلى جنبه نرى أنه علي، قال: سليه حملاناً، قالت: فسألته، فأمر لها، قال فأتني فقالت: لقد فعلت فعلة ما كان أبوك يفعلها، إئتته راغباً أو راهباً، فقد أتاه فلان فأصاب منه، وأتاه فلان فأصاب منه قال: فأتيته، فإذا عنده امرأة وصبيان أو صبي، فعرفت أنه ليس ملك كسرى ولا قيصر، فقال: يا عدي بن حاتم ما أفرك أن يقال: لا إله إلا الله، فهل من إله إلا الله، ما أفرك أن يقال: الله أكبر؟ فهل من شيء هو أكبر من الله ﷻ، قال: فأسلمتُ فرأيت وجهه استبشر، وقال: إن المغضوب عليهم اليهود، وإن الضالين هم النصارى)^(٢).

(١) هي سفانة بنت حاتم بن عبد الله بن سعد الحشرج بن امرئ القيس بن عدي الطائي،

أسلمت وحسن إسلامها. ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٨، ص ١٩٨.

(٢) الإمام أحمد بن حنبل: المسند، ج ٤، ص ٣٧٨، الترمذي: سنن الترمذي، ج ٥،

ص ٢٠١-٢٠٣، ح (٢٩٥٣)؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٣، ص ٦٤.

وتعطي كتب السيرة والتاريخ تفصيلاً أكثر حيث أسرت ابنة حاتم الطائي وهو المشهور بالكرم في الجاهلية فجعلت مع السبايا في حظيرة باب المسجد فمر بها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقامت إليه، وكانت امرأة جزلة فقالت: يا رسول الله هلك الوالد، وغاب الوافد، فامنن عليّ من الله عليك، قال: ومن وافدك؟ قالت: عدي بن حاتم، قال: الفار من الله ورسوله.

ثم مضى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتركها حتى إذا كان الغد مر بها، فقالت له مثل ذلك، فرد عليها مثل ما قاله بالأمس، حتى إذا كان بعد الغد مر بها وقد يئست، فأشار إليها علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ قومي فكلمي، ففعلت، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قد فعلت، فلا تعجلي بخروج حتى تجدي من قومك من يكون له ثقة حتى يُبلغك إلى بلادك، ثم أذنيني، تقول ابنه حاتم الطائي وأقمت حتى قدم ركب من بلي^(١) أو قُضاعة^(١)، وإنما أريد أن آتي أخي بالشام، فجئت فقلت: يا

(١) قبيلة بلي: هم بني بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاعة وما بعد قضاعة مختلف فيه بين قولين هما:

١ - أنه قضاعة بن معد بن عدنان.

٢ - أنه قضاعة من مالك بن حمير بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

وأولاد بلي هما: فران وهنيئ. انظر: ابن سيد الناس: عيون الأثر في فنون الغازي والسير، ص ٣١١.

رسول الله قد قدم رهط من قومي لي فيهم ثقة وبلاغ، قالت: فكساني، وحملني، وأعطاني نفقة، فخرجت معهم حتى قدمت الشام^(٢).

قال عدي: فو الله إني لقاعد في أهلي، إذ نظرت إلى طعينة تصوب إليّ تؤمنا، قال: فقلت ابنة حاتم، قال: فإذا هي هي، فلما وقفت عليّ انسحلت، تقول: القاطع الظالم، احتملت بأهلك وولدك، وتركت بقية والدك عورتك، قال: قلت: أي أختة لا تقولي إلا خيراً، فوالله ما لي من عذر، لقد صنعت ما ذكرت. قال: ثم نزلت فأقامت عندي، فقلت لها: وكانت امرأة حازمة، ماذا ترين في أمر هذا الرجل؟ قالت: أرى والله أن تلحق به سريعاً، فإن يكن الرجل نبياً فللسابق إليه فضله، وإن يكن ملكاً، فلن تذل في عزّ اليَمَن، وأنت أنت. قال: قلت: والله إن هذا الرأي.

(١) هو قضاة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير، وأم قضاة هي مغالة بنت جوشم بن جلهمة بن عامر بن عوف بن علي بن دب بن جرهم، وهم من أكثر العرب عدداً وأشدّهم بأساً وأوسعهم دياراً في عصر الخلافة الراشدة، وهم فخائد وبطون كثيرة، منهم: بنو جهينة، وبنو بهراء، وبنو نهد، وبنو بلي، وبنو مهرة، وبنو كلب، وبنو عذرة، وغيرهم الكثير، وكانت قضاة تسكن اليمن وشمال الجزيرة العربية وغربها والشام. انظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ١٨٠.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٤، ص ٤٨٩؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٢٢٤؛ السهيلي، الروض الأنف، ج ٤، ص ٣٦١؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٣، ص ٦٤؛ ابن سيد الناس: عيون الأثر في المغازي والسير، ص ٤٠٦؛ الصالح: سبل الهدى والرشاد، ج ٦، ص ٥٧٧-٥٧٨.

نرى بوضوح في هذا الموقف أثر التعامل الإنساني الرحيم من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع هذه الأسيرة، حيث مَنْ عليها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما استعطفته ثم لم يرضَ أن تخرج منفردة وحيدة، بل طلب منها ألا تتعجل بالخروج حتى تجد من قومها من يكون ثقة فتسير معه، كما نلاحظ في الموقف أيضاً التعاطف من الصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مع الأسرى فيها هو علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يشير لابنة حاتم الطائي أن تكلم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الوقت المناسب، حتى يمن عليها ويطلق سراحها، وهذا ما تم بالفعل، ثم إنها تشهد بنفسها أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قدم الوفد الذي وجدت فيه بغيتها من الأمن بالثقة كساها، وأعطاهما ما يحملها، وأعطاهما أيضاً نفقة تكفيها حتى تصل إلى قومها آمنة وفي راحة وسلامة وهذا الموقف جعلها تسلم وتحث أخاها عدي على الوفود إلى رسول الله، ومثل هذا التعامل الأخلاقي والرحمة والكرم كان دافعاً لكثير من قومها وغيرهم للدخول في الإسلام.



الخاتمة

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، وبعد:

فأحمد الله ﷻ وأشكره على أن وفقني إلى كتابة هذه البحث، وأعاني على إتمامه، وإنجازه، وقد توصلت من خلال دراستي لهذا الموضوع إلى نتائج أعرض لأهمها على النحو التالي:

- أن أخلاق النبي ﷺ كانت معروفة منذ أن شب وترعرع وقبل بعثته، حيث أدبه ربه، ونشأ على مكارم الأخلاق واستمر عليها بعد بعثته إلى وفاته.

- أنه ﷺ الصلاة والسلام كان يترجم القرآن العظيم بأخلاقه في جميع وقائعه وأفعاله وأقواله التي كانت مرآة لعظمة القرآن كله.

- إتران أخلاقه ﷺ بحيث لم يطغى خلق على آخر.

- ثبات أخلاقه ﷺ ثباتاً راسخاً مدة حياته، بحيث لم يحصل منه ما يناقض أخلاقه العظيمة في أي حال من الأحوال.

- عظم الأثر الذي تركته أخلاقه ﷺ في النفوس من خلال الوقائع التاريخية التي كشفت لنا طيب المعاملة وحسن الخطاب والكرم والوفاء والعفو والمن والصفح وبالتالي ظهرت الفائدة المرجوة والغاية النبيلة وهي انتشار الإسلام انتشاراً عظيماً.

-إن حقيقة المحبة للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي في سلوك طريقته وهديه، واتباع سنته وتطبيقها في واقع حياتنا وسلوكنا محبة وتقديراً وإجلالاً وتعظيماً.

-استخراج الدروس والعبر من وقائع السيرة النبوية وتحليلها لإبراز الآثار الباهرة التي ترجمتها أخلاقه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وطيب معاملته.

-معرفة المنهج الدعوي للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من خلال دراسة السيرة النبوية بمختلف وقائعها وأحداثها، وكيف تعامل مع أخطاء الناس، وجفاء الأعراب، ومكايد الأعداء، ودسائس المنافقين.

-كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رؤوفاً رحيماً، حريصاً على هداية الخلق إلى الحق.

-كان حكيماً في معالجة المشكلات في الوقائع المختلفة.

-كان حليماً يعذر الجاهل حتى يتعلم ويهتدي إلى طريق الحق.

-من خلال منهجه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدعوة وبأخلاقه العظيمة استطاع إخراج الأمة من ظلمات الجهل والتعصب والشتات والتفرق، إلى نور الإسلام، وهداية الرحمن، والترقي في ذلك حتى كانت خير أمة أخرجت للناس.

-التمسك بالدين والصبر على ما يلاقي في طريق الدعوة، فقد لقي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صنوفاً من الأذى في سبيل الدعوة إلى الله،

وإبلاغ ما أنزل إليه من ربه، ورسول الله ناله الأذى المعنوي والجسدي، فضرب وحوصر، وأخرج من أرضه وأحب البلاد إليه، وحاولوا اغتياله وقتله مرات عديدة، فصبر وضحّى بذلك حتى أظهره الله عليهم ومكّنه منهم يوم الفتح، فما انتقم ولكن عفا وأكرم.

-عدم اليأس والثقة بنصر الله لدينه ولأوليائه الصالحين، فالمطلع على سيرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسير دعوته، يرى انتقالها من نصر إلى نصر، وازدياد أتباع الدعوة من أهل مكة ثم من النزاع من القبائل رغم الأذى الشديد والمواجهة القوية من المشركين، وتنويعهم الأساليب في محاربة الدعوة وأهلها ويدرك بكل يقين عظمة أخلاق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وطيب معاملته وحسن خطابه وعاقبة ذلك في التمكين والنصر لدين الله وحملته، وهذا مما يقوي الثقة في نفوس المؤمنين في كل مكان وكل زمان بأن يجددوا ويجهدوا ويثبتوا حتى يأتيهم النصر جاعلين أخلاق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبراساً يضيء لهم طريقهم^(١).

-التعرف على أخلاق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الجهاد وآثارها في تحرير الأمم والشعوب، وإزالة الظلم عنها، وإخراجها من الظلمات وعبادة الطاغوت إلى عدل الإسلام ورحمته، وتحكيم شرعه الذي

(١) السلمي، محمد بن صامل: السيرة النبوية أهميتها، أقسامها، مقاصد دراستها، (ط١، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م)، ص ٥٦.

ضمن لهم المساواة وتحقيق الإنسانية الحقة، وممارسة الإنسان لحقوقه الطبيعية كما أراد له خالقه، فأتيحت له الحرية، وأزيلت من أمامه العوائق التي تمنعه من الاختيار الصحيح، فإن الجهاد كما هو معلوم ليس لإجبار الناس على اعتناق الإسلام، وإنما هو لإزالة الموانع والحواجز والأنظمة التي تصد عن سبيل الله ولا تتيح الحرية للناس ليختاروا لأنفسهم بعد تمعن وتأمل في دلائل التوحيد، حتى يروا أمام أعينهم النموذج الأخلاقي المثالي مطبقاً في الواقع بكل عدله واستقامته فيدخلون في دين الله أفواجاً طائعين راغبين^(١).

- تبيين من خلال الدراسة أثر أخلاقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سرعة من عاشره عن قرب إلى الدخول في الإسلام كأبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وخديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وريب بيت النبوة علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومولاه زيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فكانوا من السابقين الأوائل في الدخول في الدين الإسلامي.

- أوضح البحث رقي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حسن الخطاب والحوار حتى استطاع أن يجذب سامعيه ويلاصق برحمته وطيب معاملته قلوبهم فدخلوا في دين الله معلنين محبتهم وولائهم لله ورسوله.

(١) محمد بن صامل السلمي: المصدر السابق، ص ٥٦.

-أظهرت الدراسة أثر كرمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تأليف القلوب عليه فقد كان بالغاً جداً ويدل على ذلك عطاؤه العظيم في غزوة حنين حيث كان يعطي الرجل غنماً بين جبلين فيرجع إلى قومه فيقول: يا قوم أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء لا يخشى الفاقة، وكان من أولئك صفوان بن أمية، والأقرع بن حابس، وعيينة بن حصن، وأبو سفيان بن حرب... وغيرهم.

-تبين من خلال الدراسة أن كرمه وعطاؤه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان عند كل مغنم، وكل مال يجبي إليه، ولا ريب أن مثل هذا الكرم والعطاء يملك القلوب ويؤثر فيها تأثيراً بالغاً.

-كما بين البحث أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يتألف قلوب أعدائه عليه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، فكان يداري أي يلاين ويلاطف أعداءه من كفار ومنافقين، يتألفهم بذلك، علَّ الله أن يهديهم للإسلام فيعفو عن من أراد قتله ومن هجاه من الشعراء، ومن أساء له بقول وفعل.

-من خلال دراسة عفو النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصفحه اتضح أن لعفوه وصفحه دلالة واضحة على أخلاقه الكريمة التي ترتبت عليها ثمرات إيجابية كبيرة، فقد كان يساء له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأبي هو وأمي، فلا يكاد يتغير لذلك، فما يلبث العدو أن ينقلب إلى ولي، يؤمن به ويحبه ويستعد للاستماتة في الدفاع عنه وعن الدين الذي جاء به ويدعوا إليه، وذلك كما في عفوه عمن كان يعزم على اغتياله، فيتمكن عليه الصلوة والسلام منه، فلا يؤاخذ به بذلك، فما يبرح أن يشهد شهادة الحق ووضح البحث

على ذلك وقائع تاريخية عديدة.

-أبرزت الدراسة ما كان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من الرحمة والإنسانية في إطلاقه لأسرى الحرب وَمَنَّهُ عليهم بدون فداء، فيملك رقابهم بالإحسان حيث أكد البحث على ذلك في وقائع تاريخية عديدة، وكان لهذا المن ثمرة كبيرة كان يتشوق إليها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ألا وهي دخولهم في الإسلام رغباً أو رهباً، فمن دخله رغبة فذاك، ومن دخله رهبة لم يكد يمر عليه وقت حتى تمكن منه وخالط بشاشة قلبه، وبذلك أنقذهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من النار، وضمن نصرتهم له وللإسلام الذي جاء به، وحملوا رايته إلى أقطار الأرض، وأضحوا بعد ذلك أئمة الأمة وقاداتها في أمور دينها ودنياها.

أما عن أهم التوصيات، فهي كالتالي:

- إن ما نشاهده اليوم من خلل وفوضى وتردي منزلة الأخلاق بين المسلمين أدت إلى انتقاص رقعة الإسلام واضطهاد أبنائه، هو ناتج عن عدم تخلق المسلمين بآداب الإسلام وتعاليمه، ولعل في إحياء نفوسهم بأخلاق رسولهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وآدابه أول الطريق لإعادة نور الإسلام وانتشاره وعظمته.

- أوصي أن يكون للوقائع التاريخية المتعلقة بأخلاق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأثرها في انتشار الإسلام نصيب من العناية الكبرى في جميع مراحل الدراسة.

- أوصي العمل على تشجيع الباحثين إلى إبراز جانب وقائع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المتعلقة بأخلاقه وأثرها في انتشار الإسلام حتى تحيا في المجتمعات الإسلامية الروح الأخلاقية الكريمة التي كان عليها سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والتي تمثلها أصحابه الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فكانت سلاحاً فعالاً عظيماً في جذب الناس للإسلام، حيث كانت الأمم تدخل في الإسلام لتأثرها بأخلاق المسلمين الذين يصلون إلى بلدانهم دعاة أو فاتحين كما ثبت تاريخياً من أحوال انتشار الإسلام.

ولا يسعني إلا أن أدعو الله جل في علاه أن يتقبل مني هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ويجعله لي ذخراً يوم ألقاه، وأن يعم النفع به عامة المسلمين، وأن يحشرني في زمرة سيد الأولين والآخرين،

وَيُشَفِّعُهُ فِينَا وَفِي وَالِدِينَا وَأَزْوَاجِنَا وَمَشَائِخِنَا وَأَحْبَائِنَا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ،
وَأَنْ يَسْقِينَا مِنْ حَوْضِهِ الشَّرِيفِ وَمَنْ يَدُهُ الْكَرِيمَةُ شَرْبَةً لَا نَظْمًا بَعْدَهَا
أَبَدًا.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ



الفهارس

– فهرس المصادر والمراجع

– فهرس الموضوعات

فهرس المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم (جل منزلة وعلا):

ثانياً: المصادر:

• ابن الأثير: الإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد (٦٠٦هـ).

- النهاية في غريب الحديث والأثر، تعليق: أبو عبدالرحمن صلاح، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

• ابن الأثير، الإمام عز الدين أبي الحسين علي بن محمد الجزري (٦٣٠هـ).

- أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: خليل مأمون شيخا، ط ٢، دار المعرفة، بيروت ١٤٢٤هـ - ٢٠٠١م.

- اللباب في تهذيب الأنساب: دار صادر، بيروت.

- الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

• ابن تيمية: أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام (٧٢٨هـ).

- الإيمان، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط ٥، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

• ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي؟

– الثقات، (مراقبة: محمد عبدالمعيد خان، المعارف العثمانية بحيدر آباد، الهند، ط ١، ١٩٣٩هـ/١٩٧٣م)، ج ٣، باب الواو، ص ٤٢٤-٤٢٥.

• ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ-١٤٨م).

– فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ط ١، دار السلام، الرياض، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

– الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: خيري سعيد، المكتبة التوفيقية، مصر.

• ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (٤٥٦هـ).

– جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة.

• ابن حنبل: أحمد بن حنبل (٢٤١هـ).

– المسند، ط ١، دار الرسالة، بيروت، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

• ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر.

– وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار
الصادر، بيروت، دت، دط.

• ابن سعد، محمد بن سعد الزهري (ت ٢٣٠هـ).

– الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، ط ٢، دار الكتب
العلمية، بيروت ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

• ابن سيد الناس: أبو الفتح محمد بن محمد ابن سيد الناس اليعمري
(٧٣٤هـ).

– عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير، تحقيق: محي الدين
مستو، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة.

• ابن عبدالبر، أبي عمر يوسف (ت ٧٣٧هـ).

– الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: خليل مأمون شيحا،
ط ١، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.

• ابن قيم الجوزية: الإمام شمس الدين أبي عبيد الله محمد بن أبي بكر
الزرعي الدمشقي (ت ٧٥١هـ).

– زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط،
عبدالقادر الأرنؤوط ٤، دار الرسالة، بيروت، ١٤٢٤هـ -
٢٠٠٣م.

- ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر (٧٧٤هـ).
- البداية والنهاية، تحقيق: أحمد جاد، دار الحديث ، القاهرة، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- تفسير القرآن العظيم، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٩هـ - ٢٠٠٨م.
- السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى عبدالواحد، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٥هـ - ١٩٧م.
- ابن منظور: أبي الفضل جمال الدين محمد (٧١١هـ - ١٣١م).
- لسان العرب، ط٣، بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- ابن هشام، أبو محمد عبدالملك بن هشام المعافري (٢١٣هـ - ٨٢٨م).
- السيرة النبوية، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- أبو الطيب: محمد شمس الحق العظيم أبادي (١٣٢٩هـ).
- عون المعبود شرح سنن أبي داود، تحقيق: عبدالرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة.
- أبو داود: سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (٢٧٥هـ).
- سنن أبي داود، تحقيق: محمد عوامة، ط٣، قرطبة، بيروت، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

- أبو نعيم: أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن موسى.
- معرفة الصحابة، تحقيق: عادل يوسف الفزاوي، دار الوطن، الرياض، ط ١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
- البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (٢٥٦هـ).
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه، وأيامه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، ط ١، دار الرسالة العالمية، دمشق، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.
- البلاذري: أبي العباس أحمد بن يحيى بن جابر (٢٧٩هـ).
- فتوح البلدان، تحقيق: عبدالله أنيس الطباع، عمر أنس الطباع، بيروت.
- البيهقي، أبي بكر أحمد بن الحسين (٤٥٨هـ).
- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تعليق: عبدالمعطي قلعجي، ط ٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.
- الترمذي: أبي عيسى محمد بن عيسى (٢٧٥هـ).
- الجامع الصحيح، سنن الترمذي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، سعيد اللحام، دار الرسالة العالمية، دمشق، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

• الحاكم: الإمام أبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري (٤٠٥هـ).

– المستدرک علی الصحیحین، تعلیق: أبي عبدالله عبدالسلام بن محمد، دار المعرفة، بیروت، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

• الحموي: الإمام شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت الحموي (٦٢٦هـ).

– معجم البلدان، ط٨، دار صادر، بیروت، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
• الدار قطني: علي بن عمر (٣٨٥هـ).

– سنن الدارقطني، تحقیق: عادل أحمد، علي محمد، دار المؤید، الرياض، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

• الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (٧٤٨هـ - ١٣٤٨م).

– سير أعلام النبلاء ، تعلیق: محمد الشبراوي، دار الحديث ، القاهرة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٦.

– تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير، القاهرة ١٣٦٧هـ، تحقیق: عبدالسلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، بیروت، ١٤١١هـ.

- الزبيدي: محمد مرتضى (١٠٢٥هـ).
- تاج العروس من جواهر القاموس، ط ١، مكتبة الحياة، بيروت.
- الزركلي: خير الدين (١٣٩٦هـ).
- الأعلام، ط ١٥، دار العلم، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- السهيلي: أبي القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد بن أبي الحسن الخثعمي (٥٨١هـ).
- الروض الأنف، تعليق: مجدي بن منصور بن الشوري، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت.
- السيوطي، الإمام جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (٩١١هـ).
- تاريخ الخلفاء، تحقيق: إبراهيم صالح، ط ١، دار صادر، بيروت، ١٤١٣هـ - ١٩٩٧م.
- سن النسائي: شرح الحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق: مكتبة التراث الإسلامي، ط ٧، دار المعرفة، بيروت، ١٤٣٩هـ - ٢٠٠٩م.
- الصالحى: الإمام محمد بن يوسف (٩٤٢).
- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تحقيق: مصطفى عبدالواحد، القاهرة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٧م.

- الطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب، أبو القاسم (٣٦٠هـ).
 - المعجم الكبير، تحقيق: حميد عبدالمجيد السلفي، ط ٢، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.
- الطبري: محمد بن جرير (٣١٠هـ).
 - تاريخ الأمم والملوك، ط ٣، دار صادر، بيروت، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- - جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: محمد شاكر، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري.
 - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، ط ٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- الفيروز آبادي: أبي طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب (٨١٧هـ).
 - القاموس المحيط، ترتيب: حسان عبدالمنان، ط ٣، بيت الأفكار الدولية، الأردن.
- القرطبي: أبي عبيدالله محمد بن أبي بكر (٦٧١هـ).
 - الجامع لأحكام القرآن، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧هـ - ٢٠٠٦م.

- القسطلاني: أحمد بن محمد (٩٢٣هـ).
 - المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، تحقيق: صالح أحمد الشامي، ط ٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ).
 - نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
- الكلبي، هشام بن محمد.
 - جمهرة النسب، تحقيق: ناجي حسن، ط ١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١هـ - ٨٧٥م).
 - الجامع الصحيح، صحيح مسلم، دار الجيل، بيروت.
- المقرئزي: تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ - ١٤٤١م).
 - أمتاع السماع بالنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

- النوي: محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف الدين (ت ٦٧٦هـ).
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق: خليل مأمون شوحا، ط ١٧، دار المعرفة، بيروت، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- الواقدي: محمد بن عمرو بن واقد (٢٠٧هـ).
- المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، ط ١، عالم الكتب، بيروت ١٤١٧هـ - ٢٠٠٦م.

ثالثاً: المراجع:

- إبراهيم بن إسحاق الحربي.
- غريب الحديث، تحقيق: سليمان بن إبراهيم العابد، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط ١، ١٤٠٥هـ.
- أبو بكر جابر الجزائري.
- هذا الحبيب محمد ﷺ يا محبي ، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبدالله البغدادي.
- غريب الحديث، تحقيق: محمد عبدالمعيد خان، ط ١، دائر المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م.

- أبو منصور محمد بن أحمد الأزهر.
- تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.
- أحمد الحداد.
- أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة، ط ١، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- أحمد الزيات، حامد عبدالقادر، محمد النجار.
- المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، تركيا.
- أحمد مختار عبدالحميد عمر.
- معجم اللغة العربية المعاصرة، ط ١، عالم الكتب، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.
- أكرم ضياء العمري.
- السيرة النبوية الصحيحة، ط ٧، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٤٨هـ - ٢٠٠٧م.
- الحسيني معدي.
- محمد ﷺ في عيون غربية منصفة، ط ١، دار الكتاب العربي، دمشق، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

- حمود بن جابر الحارثي.
- دعوة النبي ﷺ للأعراب، ط ١، دار السلم، الرياض، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- حنان اللحام.
- هدي السيرة النبوية في التغيير الاجتماعي ، ط ١، دار الفكر ، دمشق، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
- راغب السرجاني.
- أخلاق الحروب في السنة النبوية، ط ١، مؤسسة اقرأ، القاهرة، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.
- سليمان العودة.
- قضايا ومباحث في السيرة النبوية، ط ١، دار الإسلام، الرياض، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.
- صالح الشامي.
- من معين السيرة، ط ٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- صفى الرحمن المباركفوري.
- الرحيق المختوم، ط ١، دار الكتاب والسنة، باكستان، د.ت.

- عاتق البلادي.
- معجم المعالم الجغرافية، ط ١، دار مكة، مكة المكرمة، ١٤٠١ هـ - ١٩٨٢ م.
- عبدالرحمن بن ناصر السعدي.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- عبدالوهاب ناصر الطريري.
- قصص نبوية، ط ٢، الإسلام اليوم، الرياض، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.
- علي محمد الصلابي.
- السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، ط ٢، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- الإنشراح ورفع الضيق في سيرة أبي بكر الصديق، دار التوزيع، القاهرة، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م.
- عمر رضا كحالة.
- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ط ٣، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

- محمد السيد الوكيل.
- تأملات في سيرة الرسول ﷺ، ط ١، دارالمجتمع، جدة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.
- محمد أمخزون.
- منهج النبي ﷺ في الدعوة من خلال السيرة الصحيحة، ط ١، دار السلام، القاهرة، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
- محمد بن أحمد باشميل.
- موسوعة الغزوات الكبرى، ط ٣، دار الفضيلة، السعودية، دار الهدي النبوي، مصر، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.
- محمد بن سيدي الشنقيطي.
- منهج الرسول ﷺ في دعوة أهل الكتاب، مكتبة أمين محمد أحمد سالم.
- محمد بن صامل السلمي.
- السيرة النبوية (أهميتها، أقسامها، مقاصد دراستها)، ط ١، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.
- محمد بن فتوح بن عبدالله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحميدي.

– تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، تحقيق: زبيدة محمد سعيد عبدالعزيز، ط ١، مكتبة السنة، القاهرة، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

• محمد حسن شراب.

– المعالم الأثرية في السنة والسير، ط ١، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ١٤١١هـ – ١٩٩١م.

• محمد رشيد رضا.

– تفسير المنار، ط ٢، ١٣٦٦هـ – ١٩٤٧م.

• محمود شاكر.

– الخلفاء الراشدين، ط ٥، المكتب الإسلامي، ١٤١١هـ – ١٩٩٢م.

• مهدي رزق الله.

– السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ط ٣، دار إمام الدعوة، الرياض، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

– صفوة السيرة النبوية في سيرة خير العباد، ط ١، دار إمام الدعوة، الرياض، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.

• ناصر الحارثي.

– المعجم الأثري لمنطقة مكة المكرمة ، لجنة المطبوعات في التنشيط السياحي، الطائف، ٢٠٠٣م.

رابعاً: رسائل الماجستير:

• سليمان بن عبدالعزيز الدويش.

– أسلوب الترغيب في دعوة النبي ﷺ، قسم الدعوة والاحتساب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

• عبدالله الفالح.

– الشعر ودوره والدعوى، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

خامساً: الدوريات والمجلات :

• راغب السرجاني.

– سلسلة السيرة النبوية بين حنين والطائف، موقع إسلام ويب (is iamwebenel. 1431)

• رشاد لاشين.

– مقال بعنوان (عظمة محمد مع أطفال غير المسلمين) جامعة الزقازيق ، الشريعة الإسلامية، منشور في موقع رسول الله ﷺ.

• عصام محمود.

– حوارات النبي ﷺ مع أهل الكتاب وعلى أي شيء نتحاور، مجلة
جامعة المدينة المنورة المحكمة، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا،
قسم الدعوة وأصول الدين، رقم ٩٧٣٥ - ٢٢٣١
(<http://maqazine.mediun.edu.mq>)

• مجلة نداء الإيمان:

– وقف لوجه الله تعالى، قصة الراعي الأسود في غزوة خيبر،
برعاية المجموعة الوطنية للتقنية (www.aleman.com)

• مقال بعنوان: (بر الرسول ﷺ مع مالك بن عوف) موقع قصة
الإسلام (<http://www.islams torq.com>)

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٣	تقديم
٧	المقدمة
١١	التمهيد
	كمال أخلاق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشيئله
١٢	المبحث الأول: التعريف بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
١٥	المبحث الثاني: أخلاقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل البعثة وبعد البعثة
٣٣	الفصل الأول: طيب المعاملة وحسن الخطاب
٣٤	المبحث الأول: مسارعة من عاشره عن قرب إلى دخول الإسلام
٣٥	تمهيد
٣٨	١ - إسلام خديجة بنت خويلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا
٤٥	٢ - إسلام علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
٤٨	٣ - إسلام أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
٥١	٤ - إسلام زيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
٥٧	المبحث الثاني: حسن الخطاب مع المدعوين
٥٨	تمهيد

الصفحة	الموضوع
٦٠	١ - إسلام عداس النصراني <small>رضي الله عنه</small>
٦٣	٢ - إسلام عمرو بن عبسة <small>رضي الله عنه</small>
٦٦	٣ - إسلام سويد بن الصامت <small>رضي الله عنه</small>
٦٩	٤ - إسلام الحصين بن عبيد <small>رضي الله عنه</small>
٧٢	٥ - إسلام ضهاد الأزدي <small>رضي الله عنه</small>
٧٦	٦ - إسلام عبدالله بن سلام <small>رضي الله عنه</small>
٧٩	٧ - إسلام أسلم الحبشي <small>رضي الله عنه</small>
٨٣	٨ - إسلام ضمام بن ثعلبة السعدي <small>رضي الله عنه</small>
٨٧	٩ - إسلام الجارود بن عمر العبدي <small>رضي الله عنه</small>
٩٠	١٠ - إسلام عدي بن حاتم <small>رضي الله عنه</small>
٩٧	١١ - إسلام بعض من أرسل إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الملوك والأمراء (النجاشي: ملك البحرين - عمان - اليمن)
١٢٧	المبحث الثالث: طيب المعاملة
١٢٨	تمهيد
١٣٠	١ - إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي <small>رضي الله عنه</small>

الموضوع	الصفحة
٢- إسلام أبو محذورة الجمحي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	١٣٥
٣- إسلام زيد بن سَعْنَةَ الحبر الإسرائيلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	١٣٨
٤- إسلام الغلام اليهودي الذي كان يخدم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	١٤٣
٥- إسلام الوفود التي قدمت المدينة في العهد النبوي	١٤٦
وفد أشجع	١٤٥
وفد عبد القيس	١٤٧
وفد حضرموت ووائل بن حجر	١٥٠
وفد ثقيف	١٥٢
وفد عذرة	١٥٦
وفد بني تميم	١٥٨
الفصل الثاني: الكرم والعطاء والوفاء	١٦٣
المبحث الأول: عطاياه يوم حنين	١٦٤
تمهيد عطاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم حنين للمؤلفة قلوبهم	١٦٥
١- عطاؤه لأبي سفيان صخر بن حرب	١٦٧
٢- عطاؤه لحكيم بن حزام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	١٧٤
٣- عطاؤه لسهيل بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	١٧٨
٤- عطاؤه لصفوان بن أمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	١٨٣

الموضــــــــــــــــوع	الصفحة
٥- معاملته للنضير بن الحارث رَضِيَ اللهُ عَنْهُ	١٩٠
٦- معاملته لعينة بن حصن الفزاري	١٩١
٧- تعامله مع الأقرع بن حابس	٢٠٢
٨- تعامله مع العباس بن مرداس السلمي	٢٠٤
٩- إكرامه للشيماء بنت الحارث وقومها	٢٠٧
١٠- تعامله مع مالك بن عوف النصري	٢١٢
المبحث الثاني: أثر كرمه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ووفائه	٢١٧
تمهيد أثر كرمه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ووفائه	٢١٨
١- إسلام المرأة صاحبة المزادتين وقومها	٢١٩
٢- إسلام أبي رافع رسول قريش إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	٢٢٢
٣- إسلام أبي العاص بن الربيع	٢٢٦
٤- وفاء الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع مشركي قريش في صلح الحديبية وأثر ذلك في نشر الإسلام وتمكينه	٢٣٠
٥- إسلام الأعرابي الذي طلب منه مالاً	٢٣٩
الفصل الثالث: العفو والمن والصفح	٢٤٢
المبحث الأول: عذوه عمن أساء	٢٤٣
تمهيد	٢٤٤

الصفحة	الموضوع
٢٤٦	المطلب الأول: العفو عن عمير بن وهب
٢٥١	المطلب الثاني: العفو عن الأعرابي الذي أراد قتله
٢٥٤	المطلب الثالث: العفو عن أهل مكة
٢٥٦	١- عبد الله بن سعد بن أبي سرح
٢٥٨	٢- عكرمة بن أبي جهل
٢٦١	٣- العفو عن صفوان بن أمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
٢٦٣	٤- العفو عن هند بنت عتبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا
٢٦٦	٥- هبار بن الأسود
٢٦٨	٦- العفو عن وحشي قاتل حمزة بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا
٢٧٣	المطلب الرابع: العفو عن بعض من هجاه من الشعراء
٢٧٤	١- عبد الله بن الزبير
٢٧٧	٢- أبو سفيان بن الحارث
٢٨٠	٣- كعب بن زهير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
٢٨٤	٤- العفو عن أنس بن زنيم الدبلي
٢٨٧	٥- العفو عن أسيد بن أبي أناس
٢٨٩	المطلب الخامس: العفو عن شيبه بن عثمان
٢٩٢	المبحث الثاني: العفو والمن على الأسارى

الموضوع	الصفحة
تمهيد	٢٩٣
١- إسلام الحكم بن كيسان بعد العفو عنه	٢٩٥
٢- المن على بعض أسارى بدر	٢٩٧
٣- إسلام بني المصطلق لما أطلق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسراهم	٣٠٧
٤- العفو عن أسرى الحديبية	٣١١
٥- إسلام هوازن لما منّ على أسراهم	٣١٥
٦- عفو النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ثمامة بن أثال الحنفي وإسلامه	٣٢٠
٧- إسلام سَفَّانة بنت حاتم الطائي	٣٢٣
- الخاتمة	٣٢٧
- التوصيات	٣٣٤
- الفهارس	٣٣٦
- فهرس المصادر والمراجع	٣٣٧
- فهرس الموضوعات	٣٥٤

